



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية التربية بمكة المكرمة

قسم التربية الإسلامية والمقارنة

المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب الأدب من
صحيح الإمام البخاري رحمه الله

إعداد الطالبة

سعاد بنت سعيد بن درويش الزهراني

الرقم الجامعي

٤٢٢٨٠٠٨٨

إشراف

أ.د. / حامد بن سالم الحربي

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي الأول

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

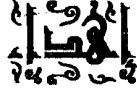
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القلم: آية ٤]

عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن سعد بن هشام :
(قلت: يا أم المؤمنين أنبئني عن خلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالت: أأست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خُلُقَ
رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كانَ القرآنَ)

[رواه احمد بن حنبل في المسند ، ج ٦ ، ص ٥٤]



- إلى أغلى من في الوجود.....أمي وأبي
- إلى توأم روحي.....زوجي
- إلى رفقاء دربي.....أخوتي
- إلى كل مسلم ومسلمة رضيا بالله ربا وبالإسلام منهجا وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا.
- إلى كل هؤلاء اهدي جهدي المتواضع واسأل الله القبول .

الباحثة

الحمد لله رب العالمين ، له الشكر وله الحمد ، هو الواهب دون سواه ، له الحمد من قبل ومن بعد ، حمدا كثيرا طيبا حتى يرضى ، أحمدته سبحانه على فضله وكرمه وإحسانه ، وأحمدته على ما من به علي من نعم كثيرة ومنها إتمام هذه الرسالة العلمية .
 وشكره تعالى مقرون بشكر الوالدين لقوله تعالى : ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ .^(١) .. ، فلهما الفضل بعد توفيق الله تعالى ، فلهما أتقدم بأعظم كلمات الشكر التي عجز عن خطها قلبي ، لأمي ينبوع الحنان الذي لا ينضب ، ولوالدي قدوتي الأولى الذي طالما اتخذته نبراسا لي في طلب العلم والمثابرة والصبر في تحصيله ، فتشربت منه الهمة العالية ووجدت فيه الأب والمعلم والمربي والمرشد ، فلم يألو جهدا في تشجيعي وتوجيهي وإرشادي وتقويتي في كل خطوة خطوتها في مراحل تعليمي حتى وصلت إلى ما وصلت إليه .

فلوالدي مني الدعاء وخالص الشكر على ما منحاني من رعاية وما غمراني من عطف وحنان ، وما غرسا في من أخلاق ، وما زرعا في من حب للعلم ، و ما رفاعا من اكف الضراعة ليل نهار بالدعاء لي بالتوفيق ، فاسأل الله تعالى أن يمد في عمريهما و ان يرزقهما العمل الصالح ، كما اخص بالشكر زوجي الذي آثرني بجهدته ووقته ومشورته وتحمل معي ما تكبدت من مشقة في هذه الدراسة ، كما أخص بالشكر أخوتي الذين لم يألوا جهدا في مساعدتي بكل ما استطاعوا .

كما أتقدم بالشكر لسعادة الأستاذ الدكتور / حامد بن سالم الحربي المشرف على هذه الرسالة والذي لم يدخر جهدا في تقديم النصح والتوجيه والتشجيع ، مما كان له أبلغ الأثر في انجاز هذه الدراسة ، كما أتقدم بالشكر لسعادة الأستاذ الدكتور / محمد بن جميل خياط ، وسعادة الدكتور / خليل بن عبد الله الحدري ، على تفضلهما بتحكيم أول خطوات هذا الدراسة وهي خطة الدراسة .

(١) سورة لقمان : الآية (١٤) .

كما أتقدم بالشكر لهذا الصرح العلمي الشامخ جامعة أم القرى ، فأشكرها ممثلة في:

- معالي مديرها ، الأستاذ الدكتور / ناصر بن عبد الله الصالح
- سعادة عميد الدراسات العليا ، الأستاذ الدكتور / ثامر بن حمدان الحربي .
- سعادة عميد كلية التربية سابقا ، الأستاذ الدكتور / محمود بن محمد كسناوي ، وسعادة عميد كلية التربية حاليا الدكتور / زهير بن أحمد علي الكاظمي
- سعادة رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة سابقا الدكتور / نايف بن همام الشريف ، و سعادة رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة حاليا الدكتور / نجم الدين بن عبد الغفور بن نجم الدين الأندجاني ، ورئيسة قسم التربية الإسلامية والمقارنة للطالبات سعادة الدكتورة / أميره بنت طه بخش .

كما أتقدم بالشكر لأعضاء هيئة التدريس بكلية التربية الذين تلقيت على أيديهم العلم النافع ، واستفدت منهم الخلق الكريم ، فكانوا خير ناصح وموجه.

كما أتقدم بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة ، فضيلة الشيخ الدكتور / محمد سعيد بن حسن بخاري ، من كلية الدعوة وأصول الدين ، وسعادة الدكتورة / أميره بنت طه بخش ، على قبولهما مناقشة هذه الرسالة وإثرائها بالملاحظات القيمة إن شاء الله تعالى و الله أسأل أن يكون ذلك في ميزان حسناتهما إنه سميع مجيب ، كما أشكر كل من أعارني كتابا أو دلي على فكرة أو نهني على خطأ ، أو أسدى لي نصحا ، أو دعا لي دعوة صالحة بظهر الغيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الغر المحجلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عنوان البحث : المبادئ التربوية المتضمنة في (كتاب الأدب) من صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى .

إعداد الطالبة : سعاد بنت سعيد بن درويش الزهراني.

أهداف البحث : ١/ إبراز مكانة الإمام البخاري رحمه الله وصحيحه ، ٢/ إبراز المبادئ التربوية من أحاديث كتاب الأدب من

صحيح البخاري رحمه الله ، ٣ / بيان دور (الأسرة) في تطبيق المبادئ التربوية المتضمنة في أحاديث كتاب

الأدب من صحيح البخاري رحمه الله .

منهج البحث : المنهج المستخدم المنهج الوصفي مع استخدام المدخل الاستنباطي .

فصول البحث : (الفصل الأول) : الإطار العام للبحث .

(الفصل الثاني) : مكانة الإمام البخاري العلمية ، وصحيحه من السنة .

(الفصل الثالث) : المبادئ التربوية المتضمنة في (كتاب الأدب) من صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى

(الفصل الرابع) : دور الأسرة في تطبيق المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري.

(الفصل الخامس) : خاتمة البحث .

نتائج البحث : أهمها : ١- أهمية تعليم القرآن والسنة والعلوم الشرعية الضرورية في وقت مبكر للفرد لما له من أثر تربوي ،

٢- غزارة السنة النبوية بالمبادئ التربوية التي تشكل منهج حياة المسلم ، ٣- ضمنية التربية الإسلامية من خلال

مبادئ البحث تقوية ترابط أفراد المجتمع المسلم وتماسكه. ٤- المبادئ التربوية الواردة في البحث وسعت المسلم

وغير المسلم ، ٥- التواضع والحلم والرحمة والحياء من المبادئ الأخلاقية التي يتوقف عليه نجاح المربي ، ٦-

إن تربية المبادئ في نفوس الأولاد إنما يعتمد بالدرجة الأولى في التربية الإسلامية على الأسرة باعتبارها البيئة

الاجتماعية الأولى للفرد .

توصيات البحث : أهمها : ١- أوصي كل مسلم ومسلمة بتطبيق المبادئ التربوية الإسلامية وان يجعلها سمة مميزة لشخصيته،

ليكون منبراً دعويًا لهذا الدين العظيم، ٢- على الآباء أن يحرصوا على تعليم أولادهم منذ وقت مبكر القرآن الكريم

والسنة النبوية وعلوم الشريعة الضرورية، ٣- على المربي أن يتحلى بخلق الحلم والتواضع والرحمة والحياء

، لينجح في رسالته التربوية ، ٤- على الوالدين تهيئة البيئة التربوية الصالحة داخل الأسرة التي تساعد على غرس

المبادئ التربوية الإسلامية في نفوس أولادهم .

مقترحات البحث : أهمها : ١- أن تكون سيرة العلماء المسلمين نموذجاً يقتدى به بعد سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في طلب

العلم والعمل به وتضمين ذلك كله في المناهج المدرسي، ٢- أن تعمل المدرسة على تهيئة البيئة التربوية التي

تساهم في تربية المبادئ التربوية الإسلامية من خلال المنهج المدرسي والمعلم وأعضاء الإدارة المدرسية ، وكل

من يحيط بالطالب داخل البيئة المدرسية ، ٣- على الإعلام أن يعمل على إيجاد برامج إعلامية إسلامية قادرة

على تأصيل المبادئ الأخلاقية وتمييزها في نفوس الناشئة، ٤- على المؤسسات التربوية المختلفة مثل الأسرة و

المدرسة والإعلام والمسجد أن تكتف التعاون المشترك فيما بينها للقضاء على الانحرافات الأخلاقية الحاصلة الآن

، ٥- الكتابة في مبادئ تربوية أخرى متضمنة في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى ،

وكذا تطبيقها على مؤسسات مهمة أخرى غير الأسرة في أبحاث أخرى، ٦- على المؤسسات البحثية التربوية أن

تعنى بتأصيل البحوث التربوية من خلال التركيز على القرآن الكريم وكتب السنة النبوية ، حيث تحوي ثروة

تربوية كاملة ، قادرة على إثراء الفكر التربوي في كل زمان ومكان .

Thesis abstract

Thesis Title: Educational principles in the book of moral (Kitab al – Adab) in the Correct Book of Imam Al Bokhari.

Prepared by: Soad Bent Said Ben Darwish Al Zahrani.

Research objectives:

- 1- To illustrate the prestige of Imam Al Bokhari and his Correct Book.
- 2- To illustrate the educational principles of the traditions (ahadeeth) in the Book of Morals (Kitab Al-Adab) of the Correct Book of Al Bokhari.
- 3- To explain the family's role in practicing the educational principles included in the Book of Morals of Al Bokhari's Correct Book.

Research chapters:

(First chapter): The general frame of the research.

(Second chapter): The scientific status of Imam Al Bokhari and his Correct Book in tradition (Sunnah).

(Third chapter): The educational principles included in the Book of Moral in the Correct Book of Imam Al Bokhari.

(Fourth chapter): Conclusion.

Main results:

- 1- The importance of teaching Qur'an and Al Sunnah and the religious sciences form the early years of life because this has an educational effect.
- 2- The prophetic tradition (sunnah) is very rich in educational and instructive principles that form the approach of Muslim's life.
- 3- Through the research principles, the Islamic education guarantees the strong relationships and tenacity among the individuals of the Islamic society.
- 4- The educational principles included in the research fit the Muslim and non Muslim individuals.
- 5- Humbleness, patience, mercy and modesty are moral principles necessary for the parent or educator to act well and successfully.
- 6- Deep- rooting the principles in the children's souls depends primarily on the family in the Islamic education as the family is considered the first social environment for the individual.

Recommendations:

- 1- It is recommended for each male and female Muslim to apply and practice the Islamic educational principles and keep them as distinguishing characteristics for their personalities to be a model for this great religion.
- 2- Parents should give due care and teach their children from the very beginning of their lives Qur'an and prophetic tradition and religious sciences.
- 3- Parents and educators should adhere to patience, humbleness mercy and modesty to succeed in their tasks and roles.
- 4- Parents should provide the best educational environment inside the family. This environment will help in deep-rooting the Islamic principles in the souls of their children.

Suggestions :

- 1- The biography of the Muslim scholars should be a model added to the biography of the prophet Mohammad (Peace Be Upon Him) in searching for knowledge and science and to apply this knowledge. This of course should be included in the school curricula.
- 2- The school should spare no efforts in offering the educational environment that contributes in teaching the educational principles through the scholastic curriculum, teachers and all the staff in the school.
- 3- Mass media should provide Islam in programs capable of deep-rooting the moral principles and developing them in the children.
- 4- All different educational institutions such as family, school, media and mosques should cooperate to fight and remove all moral corruption and depravity.
- 5- To rectify what has not been dealt with by the researcher from other educational principles in the Book of Morals in the Correct Book of Al Imam Al Bokhari and applying them in other important institutions other than the family in other researches.
- 6- The educational institutions of research should give due care to founding the educational researches through concentrating on the Holy Qur'an and all books of tradition (sunnah) because these contain treasures of educational principles able to enrich the educational thought at any time and any where.

المحتويات :

ب..... آية و حديث

ج..... إهداء

د..... شكر وتقدير

ه..... ملخص الدراسة

ح..... فهرس المحتويات

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

٢..... أولاً: المقدمة

٤..... ثانياً : موضوع الدراسة

٦..... ثالثاً: أسئلة الدراسة

٧..... رابعاً: أهداف الدراسة

٧..... خامساً : أهمية الدراسة

٨..... سادساً : منهج الدراسة

٨..... سابعاً : مصطلحات الدراسة

٩..... ثامناً : حدود الدراسة

٩..... تاسعاً : الدراسات السابقة

الفصل الثاني

مكانة الإمام البخاري وصحبه من السنة

المبحث الأول: ترجمة الإمام البخاري .

- أولاً : لمحة موجزة عن عصر الإمام البخاري و موطنه ١٦
- ثانياً : سيرة الإمام البخاري الشخصية ٢٠
- نسبه..... ٢٠
- موطنه..... ٢١
- مولده ونشأته ٢٢
- صفاته الخلقية ٢٢
- خلقه ٢٣
- زهده وورعه..... ٢٦
- محنته..... ٢٧
- وفاته..... ٢٩
- ثالثاً : سيرة الإمام البخاري العلمية ٣٠
- تعليمه ٣٠
- مكانته العلمية ٣٥
- شيوخه..... ٣٩
- تلاميذه ٤٠
- رحلاته العلمية ٤١

٤٥..... مؤلفاته

المبحث الثاني: التعريف بصحيح الإمام البخاري

٤٧..... تمهيد

٤٨..... اسم الكتاب

٤٨..... الباعث على تأليفه

٤٩..... مدة ومكان تأليفه

٥٠..... فضله ومكائنه

٥٣..... منهجه

٥٥..... عدد أحاديثه

٥٥..... شروطه

٥٥..... شروحه

الفصل الثالث

المبادئ التربوية المتضمنة في (كتاب الأدب) من صحيح الإمام البخاري

المبحث الأول مبدأ بر الوالدين

٥٩..... مفهوم مبدأ بر الوالد

٦٤..... فضل الوالدين

٦٩..... مكانة مبدأ بر الوالدين في التربية الإسلامية

٨٢..... حقوق الوالدين

- عقوق الوالدين ٩٣
- الأمور المعينة على تطبيق مبدأ برا الوالدين ٩٨
- أثار مبدأ بر الوالدين : ٩٩

المبحث الثاني مبدأ صلة الرحم

- مفهوم مبدأ صلة الرحم ١٠٣
- حقيقة صلة الرحم ١٠٤
- مكانة مبدأ صلة الرحم في التربية الإسلامية ١١٠
- حقوق الرحم ١١٩
- الأمور المعينة على تطبيق مبدأ صلة الرحم ١٢٤
- أثار مبدأ صلة الرحم ١٢٥

المبحث الثالث مبدأ البر بالأولاد

- مفهوم مبدأ البر بالأولاد ١٢٧
- حقوق الأولاد ١٢٨
- الأمور المعينة على تطبيق مبدأ بر الأولاد ١٥٠
- أثار تطبيق مبدأ بر الأولاد ١٥١

المبحث الرابع مبدأ الوصاة بالجار

- مفهوم مبدأ الوصاة بالجار ١٥٢
- حقيقة الجوار ١٥٤
- مكانة مبدأ الوصاة بالجار في التربية الإسلامية ١٥٦
- حقوق الجار ١٦٤

- ١٧١..... الأمور المعينة على تطبيق مبدأ الوصاة بالجار
- ١٧٢..... آثار مبدأ الوصاة بالجار

المبحث الخامس مبدأ إكرام الضيف

- ١٧٤..... مفهوم مبدأ إكرام الضيف
- ١٧٧..... مكانة مبدأ إكرام الضيف في التربية الإسلامية
- ١٨٩..... آداب الضيافة
- ٢٠١..... الأمور المعينة على تطبيق مبدأ إكرام الضيف
- ٢٠١..... آثار مبدأ إكرام الضيف

المبحث السادس مبدأ الحياء

- ٢٠٢..... مفهوم مبدأ الحياء
- ٢٠٣..... حقيقة الحياء
- ٢٠٩..... مكانة مبدأ الحياء في التربية الإسلامية
- ٢١٩..... علامات الحياء
- ٢٢٥..... أسباب اكتساب مبدأ الحياء
- ٢٢٥..... آثار مبدأ الحياء

المبحث السابع مبدأ الرحمة

- ٢٢٧..... مفهوم مبدأ الرحمة
- ٢٢٨..... مكانة مبدأ الرحمة في التربية الإسلامية
- ٢٤١..... صور الرحمة في التربية الإسلامية
- ٢٥٢..... أسباب اكتساب مبدأ الرحمة

٢٥٢..... آثار مبدأ الرحمة

المبحث الثامن مبدأ الحلو

٢٥٣..... مفهوم مبدأ الحلو

٢٥٤..... حقيقة مبدأ الحلو

٢٥٥..... مكانة مبدأ الحلو في التربية الإسلامية

٢٦٨..... أسباب اكتساب مبدأ الحلو

٢٦٩..... آثار مبدأ الحلو

المبحث التاسع مبدأ التواضع

٢٧١..... مفهوم مبدأ التواضع

٢٧٢..... حقيقة التواضع

٢٧٣..... مكانة مبدأ التواضع في التربية الإسلامية

٢٨٣..... مظاهر التواضع

٢٨٦..... أسباب اكتساب مبدأ التواضع

٢٨٧..... آثار مبدأ التواضع

المبحث العاشر مبدأ حفظ اللسان

٢٨٩..... مفهوم مبدأ حفظ اللسان

٢٩٣..... مكانة مبدأ حفظ اللسان في التربية الإسلامية

٣٠٣..... آفات اللسان

٣٤٠..... أسباب اكتساب مبدأ حفظ اللسان

٣٥٠..... آثار مبدأ حفظ اللسان

الفصل الرابع

دور الأسرة في تطبيق المبادئ التربوية المتضمنة في كتابه الأحدي من
صحيح الإمام البخاري رحمه الله

المبحث الأول مفهوم الأسرة :

مدخل ٣٥٤

مفهوم الأسرة ٣٥٥

المبحث الثاني أسس تكوين الأسرة:

مدخل ٣٥٨

الأساس الديني ٣٥٨

أساس الأصل (الوراثة) ٣٦٢

أساس الإنجاب ٣٦٤

المبحث الثالث وظائف الأسرة

مدخل ٣٦٦

١- إقامة حدود الله تعالى ٣٦٦

٢- التكاثر ٣٦٧

٣- المحافظة على الأسباب ٣٦٨

٤- سلامة المجتمع من الانحلال ومن الأمراض ٣٦٩

٥- إشباع الحاجات الفطرية (العاطفة الجنسية والوالديه) ٣٧٠

٦- تعاون الزوجين في تربية الأولاد..... ٣٧١

المبحث الرابع أساليب الأسرة التربوية في غرس المبادئ المتضمنة في
كتاب الأديب من صحيح الإمام البخاري :

١- تأسيس الأسرة على أساس صالح ٣٨٩

٢- بناء العلاقة بين الوالدين على أساس المودة والرحمة والإحترام ٣٩٠

٣- الاستمرارية والثبات في تطبيق المبادئ التربوية ٣٩١

٤- ربط الأولاد بقنوات صالحة ٣٩١

٥- بناء العلاقة بين الأولاد والاباء على أساس الأخلاق الفاضلة ٣٩٢

٦- التركيز على تربية الولد الأكبر ٣٩٤

٧- استخدام أساليب الإقناع ٣٩٤

٨- توثيق صلة الأولاد بكتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة ٣٩٧

٩- إشباع الحاجات النفسية والمادية للأولاد بتوازن ٣٩٧

١٠- الاتزان في الثواب والعقاب ٣٩٩

١١- غرس محبة الرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس الأولاد ٤٠٠

١٢- استغلال المواقف لغرس المبادئ التربوية في نفوس الأولاد ٤٠٠

١٣- تجنب الأولاد الغضب ٤٠١

١٤- الدعاء بصلاح الأولاد..... ٤٠١

١٥- تعميق الجانب الإيماني في نفوس الأولاد ٤٠٢

١٦- العدل بين الأولاد ٤٠٣

١٧- التدرج في غرس المبادئ التربوية الإسلامية ٤٠٣

- ٤٠٤..... ١٨- ملاحظة الأولاد ومتابعتهم باستمرار
- ٤٠٥..... ١٩- تدريب الأولاد على ممارسة المبادئ التربوية الإسلامية
- ٤٠٦..... ٢٠- تجنيد الأولاد وسائل الإعلام المنحرفة خلقياً
- ٤٠٦..... ٢١- تعويد الفتاة على الاحتشام
- ٤٠٦..... ٢٢- غرس مبدأ الحياء في نفوس الأولاد
- ٤٠٧..... ٢٣- توفير مكتبة للأولاد
- ٤٠٧..... ٢٤- تنمية ثقافة الوالدين
- ٤٠٧..... ٢٥- تربية الأولاد على المحافظة على الصلاة

الفصل الخامس

خاتمة الدراسة

- ٤٠٩..... أولاً : النتائج
- ٤١٣..... ثانياً :التوصيات
- ٤١٤..... ثالثاً :المقترحات

المصادر

- ٤١٧..... فهرس الآيات القرآنية
- ٤٣٠..... فهرس الأحاديث النبوية
- ٤٤٥..... المصادر و المراجع

الفصل الأول الإطار العام للدراسة

مخطط الفصل :

- أولاً : المقدمة
- ثانياً : موضوع الدراسة .
- ثالثاً : أسئلة الدراسة.
- رابعاً : أهداف الدراسة.
- خامساً : أهمية الدراسة.
- سادساً : منهج الدراسة.
- سابعاً : مصطلحات الدراسة .
- ثامناً : حدود الدراسة.
- تاسعاً : الدراسات السابقة .

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

أولاً : المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين الرحمن الرحيم رب الخلائق أجمعين ، فربى خير الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، رباه على الخلق الكريم ، فكان خير مُربٍ .

أشهد أن لا إله إلا الله ، القائل في محكم التنزيل : ﴿ وَاتَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾^(١).

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرشد أمته لصلاحها إلى مكارم الأخلاق بقوله وفعله وحاله ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْخَلْقِ " .^(٢)

والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

لقد تميزت التربية الإسلامية عن سائر أنواع التربيّات الأخرى باستنادها إلى ركنين أساسيين ، ودعامتان قويتان هما الكتاب والسنة ، فهما ركنان أساسيان لا يصح أحدهما إلا مع الأخذ بالآخر قال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾^(٣) فقرن تعالى طاعته بطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .^(٤)

(١) سورة القلم : الآية (٤).

(٢) ابن حنبل ، احمد بن محمد الشيباني : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ ، ج ٢ ، ص (٣٨١) .

(٣) سورة النساء : الآية (٨٠) .

(٤) سورة الأحزاب : الآية (٢١) .

وقال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (١)، يقول ابن كثير في معنى الآية : أي عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته ، فتوازن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان... ومعنى قوله "فتنة" كفر أو نفاق أو بدعة ، عذاب أي قتل أو حبس ... " (٢)

إن القرآن والسنة منهج متكامل ينظم حياة المسلم ، يقول الكيلاني في معنى الحكمة في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣)

: " فالقرآن الكريم قد تضمن الجانب النظري من الحكمة فإن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم الجانب العملي المثل الكامل للحكمة لأنها جمعت معاني الحكمة ... ، ففيها الإتقان والحلول الملائمة ، وفيها القدرة الفائقة على التمييز بين الصواب والخطأ ، وفيها صواب الرأي وحسن النظر في الأمور وتقييم المواقف ، وفيها حسن الإدارة والتصرف ، وفيها العبرة والحجة الواضحة . ولقد كانت مناهج الفهم النبوي والتفكير النبوي والتطبيق النبوي تجسيدا للسنن والقوانين التي تضمنتها آيات الكتاب المنزل من الله تعالى فلقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعالج الأوضاع والمواقف ويتعامل مع الأفراد والجماعات بالحكمة المثلى وكان يتعرف على قدرات أصحابه واستعداداتهم ثم يوزعهم طبقا لها بين مختلف الميادين لإعدادهم إعدادا وظيفيا حتى يغطي جميع التخصصات " (٤)

(١) سورة النور : الآية (٦٣).

(٢) ابن كثير ، إسماعيل بن كثير الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ، المكتبة العصرية ، لبنان ، بيروت ، ١٤٢٤هـ ، ج ٣ ، ص (٢٨٨).

(٣) سورة البقرة : الآية (١٢٩).

(٤) الكيلاني ، ماجد عرسان : تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، دراسة منهجية في الأصول التاريخية للتربية الإسلامية ، ط ٢ ، دار ابن كثير ، سوريا ، دمشق ، ١٤٠٥هـ ، ص (٥٤).

فالقرآن يحتوي على الجانب النظري الذي تُجسده السنة النبوية الشريفة من خلال مواقفها التربوية .

فالقرآن والسنة هما ينبوعان أصيلان لا ينضبان للتربية يُغنيان عن المصادر الغربية الوضعية التي ظلت التربية ردحا من الزمن تُستقى منها ، فهي لا تمت لحياة المسلم بأي صلة ، ولا تتناسب مع الطبيعة البشرية بل هي تخضع لإغراض وأهواء واضعيتها من بني البشر ، فكانت سببا لانحطاط الغرب وتخلفهم في هذا العصر من الناحية التربوية ، وتبعثهم في ذلك البلاد الإسلامية بسبب بعدها عن مصادرها الأصيلة جريا وراء تلك المبادئ الغربية باسم التقدم والمدنية ، فما زادتهم إلا انحطاطا وتخلفا .

لذا كان لزاماً على المسلمين العودة إلى منابع تربيتهم الإسلامية وهما الكتاب والسنة كما كان عليه حال السلف الصالح ، فتمسكهم بمبادئ الكتاب والسنة في جميع جوانب حياتهم كان سبب لازدهار تربيتهم ورقيا ، ومن عنايتهم بها أن سخروا جهودهم لحفظها ومن هؤلاء الإمام البخاري رحمه الله تعالى الذي يُعد صحيحه اصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، فحريّ بنا نحن الآن أن نعود لهذا التراث الفكري الأصيل و نبحث فيه ما يشكل فكرنا التربوي ، و يصلح ما آل إليه حال المجتمعات الإسلامية الآن.

ثانياً : موضوع الدراسة :

السنة هي المصدر الثاني من مصادر التربية الإسلامية ، حيث تحتوي على الكثير من المبادئ التربوية التي تُنظم علاقة الإنسان بربه وبالآخرين من بني جنسه و بالكون من حوله، وقد تكفل الله لها بالحفظ مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١) ، فمن تمام حفظ كتاب الله حفظ السنة التي هي مفسرة وشارحه ومفصلة... الخ لكتاب الله ، فتكفل الله تعالى بحفظها فسخر لها العلماء

(١) سورة الحجر : الآية (٩).

المخلصين الذين تصدوا للذب عن أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم التي تشكل لنا الوعاء الفكري الذي تضمن العديد من المبادئ التربوية المتمثلة في فعله وقوله وتقريره صلى الله عليه وسلم.

فالمتتبع لنصوص السنة النبوية ليجدها مليئة بالمواقف التربوية العظيمة التي نضمت لنا مبادئ تربوية شاملة لشتى مجالات حياة الانسان ، سيقت بأسلوب تربوي متميز على الاطلاق ، فاتضحت من خلال مواقف النبي صلى الله عليه وسلم مع كل من حوله .

يقول النحلاوي : "وهكذا يجد الباحث في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم مربيا عظيما ذا أسلوب تربوي فذ ، يراعي حاجات الطفولة وطبيعتها ، ويأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم ، أي يراعي الفروق الفردية ، كما يراعي مواهبهم واستعداداتهم وطبائعهم ، يراعي في المرأة أنوثتها وفي الرجل رجولته .. ويلتمس دوافعهم الغريزية ، فيجود بالمال لمن يحب المال حتى يتألف قلبه .. وهو في خلال ذلك يدعوهم لتطبيق شريعته ، لتكميل فطرتهم ، وتهذيب نفوسهم شيئا فشيئا ، وتوحيد نوازعهم وقلوبهم ، وتوجيه طاقاتهم وحسن استغلالها للخير والسمو : طاقات العقل وطاقات الجسم وطاقات الروح ، لتعمل معا وتتجاوب للهدف الأسمى ، وبذلك يسموا الفرد وينهض المجتمع." (١)

فالسنة لها فائدتان في المجال التربوي : (٢)

١- إيضاح المنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم وبيان التفاصيل التي لم ترد في القرآن الكريم .

٢- استنباط أسلوب تربوي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه ، ومعاملته الأولاد ، وغرسه الإيمان في النفوس .

(١) النحلاوي عبد الرحمن : أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، ط٢٣ ، دار الفكر ، سوريا ، دمشق ، ١٤١٧هـ ، ص (٢٥) .
(٢) المرجع السابق ، ص (٢٥) .

ومما سبق تولد لدى الباحثة إحساس بمدى الحاجة إلى الرجوع إلى هذا التراث الفكري الغني بالمبادئ التربوية التي تنظم حياة المسلم ، وتُخرج المسلمين من حالة الضعف التي ألمت بهم كنتيجة طبيعية لبعدهم عن الكتاب والسنة لذا اتجهت الباحثة إلى صحيح البخاري اصح الكتب بعد كتاب الله تعالى ، فقد اقر له بالقبول جمع كبير من العلماء ، يقول ابن تيمية : " ليس تحت أديم السماء كتاب اصح من البخاري ومسلم بعد القرآن " ، وقال الذهبي : " و اما جامع البخاري الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى وهو أعلى في وقتنا هذا إسناداً للناس " . (١) ، فقد تضمنت أحاديثه مبادئ تربوية تستحق الدراسة ، فوقع اختيار الباحثة على كتاب الأدب الذي أشتمل على (٢٥٦) حديثاً (٢) ، تتناول مبادئ تربوية تتعلق بتنظيم العلاقات الإنسانية وتقويتها ، وسوف تتناول الباحثة هذا الكتاب بالدراسة لتستنبط ماتضمنته من مبادئ تربوية وتبين دور أهم المؤسسات التربوية وهي (الأسرة) في تطبيق هذه المبادئ.

ثالثاً : أسئلة الدراسة :

يدور البحث حول سؤال رئيسي وهو :

ما المبادئ التربوية المتضمنة في أحاديث كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري رحمه الله ؟

ويتفرع منه الأسئلة التالية :

س١: ما مكانة الإمام البخاري وصحيحة من السنة ؟

س٢: ما المبادئ التربوية المستنبطة من أحاديث كتاب الأدب من صحيح الإمام

البخاري رحمه الله ؟

(١) المظاهري ، تقي الدين الندوي : الإمام البخاري ، اعلام الاسلام ، (د،ت) ، ج ١٣ ، ص (٨٨،٨٩).

(٢) العسقلاني ، احمد محمد بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المكتبة العصرية لطباعة والنشر ، لبنان ، بيروت ، ١٤٢٣هـ ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، ص (٧٤١٨).

س٣: ما دور الأسرة باعتبارها من أهم المؤسسات التربوية في تطبيق المبادئ التربوية المستنبطة من أحاديث كتاب الأدب من صحيح البخاري رحمه الله ؟

رابعاً : أهداف الدراسة :

١- إبراز مكانة الإمام البخاري رحمه الله وصحيحه .

٢- إبراز المبادئ التربوية من أحاديث كتاب الأدب من صحيح البخاري رحمه الله.

٣- بيان دور (الأسرة) في تطبيق المبادئ التربوية المتضمنة في أحاديث كتاب الأدب من صحيح البخاري رحمه الله .

خامساً : أهمية الدراسة:

١- تبرز أهمية هذا الموضوع من أهمية السنة النبوية الشريفة التي تعتبر الأصل الثاني من أصول الدين الإسلامي القويم ، فقد احتوت على منهج حياة متكامل في جميع المجالات ، فتشكل لنا من خلالها وعاء فكري تناول العديد من المبادئ التربوية .

٢- أهمية تأصيل العلوم ، ولا سيما في مجال التربية ، ذلك الذي ظل ربحاً من الزمن يستقي من مصادر غريبة بعيدة عن واقع حياة المسلم ، فمن خلال هذا البحث حاولت الباحثة أن تصبغ هذا المجال بالصبغة الإسلامية الأصيلة التي بلا شك هي الأنسب والأفضل على الإطلاق قال تعالى : ﴿ ... أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ... ﴾ (١).

٣- أن هذه الإضافة إلى الفكر التربوي تستقي من أصح الكتب بعد كتاب الله ، وهو صحيح الإمام البخاري رحمه الله الذي مازال يثري الفكر الإسلامي.

(١) سورة المائدة : الآية (٣).

سادساً : منهج الدراسة :

المنهج المستخدم المنهج الوصفي وهو : وصف ما هو كائن ، ثم تفسيره و تحليله للخروج بنتائج ذات دلالات بالنسبة لموضوع البحث (١) وسيتم أيضا استخدام المدخل الاستنباطي وهو كما عرفه حلمي فوده : " الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة " (٢).

سابعاً : مصطلحات الدراسة :

المبادئ:

في اللغة :المبدأ : مبدأ الشيء : أوله ومادته التي يتكون منها ، كالنواة مبدأ النخل؛ أو يتركب منها ، كالحرف مبدأ الكلام ، وجمع مبدأ مبادئ ، ومبادئ العلم أو الفن أو الخلق أو الدستور أو القانون : قواعده الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها . (٣)

في الاصطلاح التربوي :

"هي القواعد الأساسية والمنطلقات العامة التي تكون في مجموعها التربية الإسلامية أو المنهج التربوي . أو هي مجموعة القواعد والأسس والأفكار المستنبطة أساسا من القرآن والسنة والتي تقوم عليها النظرية التربوية في الإسلام أو المنهج التربوي " . (٤)

(١) عبد الحميد جابر ، واحمد كاظم : مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ط ٢ ، دار النهضة العربية ، مصر ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص (١٣٦)

(٢) حلمي فوده ، وعبد الرحمن عبد الله : المرشد في كتابة البحوث التربوية ، طه ، دار الشروق ، المملكة العربية السعودية ، جده ، ١٤٠٨هـ ، ص (٤٣) .

(٣) إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، ط ٢ ، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، استنبول ، (د . ت) ، ج ١ ، ص (٤٢) ، و ابن منظور ، جمال الدين : لسان العرب ، المطبعة المصرية ، مصر ، القاهرة ، (د . ت) ، ج ١ ، ص (١٨) .

(٤) خياط ، محمد جميل علي : المبادئ والقيم في التربية الإسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة ، ١٤١٦هـ ، ص (٢١) .

ثامناً : حدود الدراسة :

تقتصر الدراسة على استنباط المبادئ التربوية من كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري المولود سنة ١٩٤هـ والمتوفى سنة ٢٦٥هـ .

ويقع كتاب الأدب في المجلد الخامس، و اشتمل كتاب الأدب من الأحاديث المرفوعة على مائتين وستة وخمسين حديثاً، المعلق منها خمسة وسبعون والبقية موصولة، المكرر منها فيه وفيما مضى مائتا حديث وحديث، تبدأ (باب البر والصلة)، وتنتهي (باب إذا تخاصم فليضع يده على فيه) (١).

تاسعاً : الدراسات السابقة :

أولاً : دراسة : عوض بن رده السعدي (المبادئ التربوية المستنبطة من الأربعين النووية) (٢):

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى استنباط مبادئ تربوية من الأربعين النووية .

منهج الدراسة :

استخدم الباحث المنهج التحليلي حيث يتم استخراج المبدأ التربوي ثم إدراجه تحت الجانب الخاص .

النتائج :

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث : إن أحاديث الأربعين النووية اشتملت على مبادئ تربوية لا غنى عنها في حياة المسلم ، حيث اشتملت على جوانب تربوية

(١) العسقلاني ، " فتح الباري شرح صحيح البخاري "، مرجع سابق ، ج١٢، كتاب الأدب ، ص (٧٤١٨).

(٢) عوض بن رده السعدي : المبادئ التربوية المستنبطة من الأربعين النووية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية ، مكة المكرمة عام ١٤٠٨هـ .

مهمة متعلقة بالناحية الروحية والفكرية والجسمية والخلقية .

التوصيات :

من أهمها :

١- أن تكون التربية الإسلامية واقعا ملموسا في حياتنا إذا لابد من القول المرتبط بالفعل ، ليحصل التطبيق والالتزام .

٢- يجب أن نستخرج التربية من القواعد الأساسية للتربية القرآن والسنة لتكون الأساس لبناء التربية الإسلامية المنشودة .

٣- الاهتمام بالمؤسسات التعليمية بحيث تكون ملتزمة بالأهداف العامة للتربية الإسلامية ولا نخرج عنها .

ثانياً : دراسة : محمد بن عبد العزيز الحلاف (نماذج من المبادئ التربوية المستنبطة من الأحاديث القدسية من خلال صحيح البخاري)^(١) :

أهداف الدراسة :

يهدف البحث إلى استنباط نماذج من المبادئ التربوية في الأحاديث القدسية المتعلقة بالجانب الروحي والأخلاقي والاجتماعي وإبراز الآثار المترتبة عليها في حياة الإنسان .

منهج الدراسة :

استخدم الباحث المنهج الاستنباطي التحليلي حيث يستعرض الباحث شروح الأحاديث لفهمها ، ومن ثم استنباط المبادئ التربوية منها ، ومن ثم إدراجها تحت الجانب الخاص بها .

(١) محمد بن عبد العزيز الحلاف : نماذج من المبادئ التربوية المستنبطة من الأحاديث القدسية من خلال صحيح البخاري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية ، مكة المكرمة عام ١٤١١هـ .

النتائج :

١- اشتمال الأحاديث القدسية علي المبادئ التربوية التي لا غنى عنها في جميع جوانب حياة المسلم ، وكمالها وخلوها من النقصان الذي يعترى المنهج البشري .

٢- القرآن والسنة منهجان متكاملان لحياة المسلم فالقرآن يمثل الجانب النظري والسنة الجانب التطبيقي .

٣- واقعية التربية النبوية ، وحفظها لقطرة الإنسان عن كل ما يؤذيها بما تميزت به من أساليب تربوية .

التوصيات:

١- الاهتمام بدراسة الأحاديث النبوية ووضعها في إطار مناهج الدراسة في كل مراحلها المختلفة .

٢- إبراز أثر التربية الإسلامية وجعله واقعا ملموسا في حياتنا مقترنا بالتطبيق الفعلي لها .

٣- العمل على تأصيل المناهج الدراسية في مختلف المراحل التعليمية تأصيلا إسلاميا مرتبطا بالكتاب والسنة .

ثالثاً : دراسة : منى بنت محمد الصانع (الدلالات التربوية للأحاديث

التي روتها أم المؤمنين عائشة في كتاب العلم في الصحيحين) (١) :

أهداف الدراسة :

١- إبراز العوامل التي أثرت في نشأة السيدة عائشة رضي الله عنها .

(١) منى بنت محمد الصانع :الدلالات التربوية للأحاديث التي روتها أم المؤمنين عائشة في كتاب العلم في الصحيحين ، إشراف : أ . د / حامد الحربي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، قسم التربية وعلم النفس ، جده عام ١٤١٧هـ .

٢- إلقاء الضوء على مكانة الصحيحين في المجال التربوي .

٣- دراسة الأحاديث التي روتها السيدة عائشة في كتاب العلم من الصحيحين مع الدلالات و التطبيقات التربوية .

منهج الدراسة :

استخدمت المنهج الوصفي والتاريخي .

النتائج :

من أهمها :

١- الاستفادة من القرآن والسنة المصدرين الأساسيين لتربية الإسلامية من أهم العوامل لتحسين وتأصيل العملية التربوية .

٢- يعتبر ما في الصحيحين ومن ذلك كتاب العلم المنطلقات الأساسية للفكر التربوي الإسلامي .

٣- إبراز الدلالات التربوية المتعلقة بكل من المعلم والمتعلم والطريقة والأسلوب والوسيلة.

رابعاً : دراسة : عائد بن محمد الحارثي (المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب البر والصلة الأدب) من صحيح الإمام مسلم يرحمه الله (١):

أهداف الدراسة:

١- إبراز مكانة الإمام مسلم وصحيحه من السنة .

٢- استنباط أهم المبادئ التربوية التي تضمنتها أحاديث (كتاب البر والصلة والآداب) من صحيح الإمام مسلم .

(١) عائد بن محمد الحارثي: المبادئ التربوية المتضمنة في (كتاب البر والصلة الأدب) من صحيح الإمام مسلم يرحمه الله ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية ، مكة المكرمة عام ١٤٢٣هـ .

٣- إيضاح المبادئ التربوية المستنبطة ، وبيان كيفية الاستفادة منها تربوياً في تربية الفرد والأسرة والمجتمع .

منهج الدراسة :

استخدم الباحث المنهج الوصفي مع التركيز على المدخل الاستنباطي وذلك بهدف استنباط المبادئ التربوية من الأحاديث الشريفة من خلال دراسة شروحيها .

النتائج :

١- إن تعليم الطفل القرآن الكريم والسنة النبوية وبعض علومها في سن مبكرة يقوي صلته بخالقه ، ويتم مكارم أخلاقه ، ويوسع مدارك عقله ، ويحسن ألفاظه ، ويقوم لسانه ، وهذا ما حرص عليه سلفنا الصالح .

٢- إن مبادئ بر الوالدين وصلة الرحم وحسن الجوار والأخوة الإسلامية ، حلقات اجتماعية مهمة في تكوين المجتمع وتماسكه .

٣- أن كلا من مبادئ : الصدق والصبر والحلم والعدل ، خلق فطري ، ويمكن أن يكتسبه المرء إن فقدته بعوامل متعددة ومؤثرات مختلفة ، وأن من أهم تلك العوامل والمؤثرات : القدوة الحسنة ، والجلس الصالح ، والتربية الفاضلة ، لذا تضافرت النصوص القرآنية والنبوية للاهتمام والعناية بهذه المبادئ ، مراعية تلك العوامل والمؤثرات .

التوصيات :

١- تنشئة الأولاد على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢- أن يكتف القائمون على شؤون المساجد جهودهم في إعداد الأئمة والخطباء على مستوى عالٍ من الحفظ والتلاوة والعلم والفكر .

٣- التعاون المشترك الهادف والبناء بين المؤسسات التربوية النظامية ووسائل الإعلام، والتنسيق فيما بينها لإنتاج برامج إسلامية تربوية واجتماعية وثقافية هادفة .

٤- العناية باختيار المعلم الكفاء لمهنة التعليم ، وتهيئة الظروف العلمية المناسبة داخل المدرسة ؛ لتعليم وتطبيق المبادئ التربوية الإسلامية ، وغرسها في نفوس الناشئة .

مكانة الدراسة الحالية من الدراسات السابقة :

تتشترك جميع الدراسات السابقة في هدف واحد وهو تأصيل التربية الإسلامية من خلال استنباط المبادئ التربوية من السنة النبوية الشريفة ، واستخدمت نفس المنهج وهو المنهج الوصفي ، و أجمعت على نتيجة واحدة وهي غزارة السنة النبوية بالمبادئ التربوية ، و أوصت كلها بضرورة تأصيل المناهج الدراسية وضرورة تقوية صلتنا بالكتاب والسنة المصدران الأصيلان لمنهج حياة المسلم.

وتتشترك الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في أنها أيضا تهدف إلى تأصيل التربية الإسلامية من خلال البحث في السنة النبوية إلا أنها تبحث في صحيح البخاري في كتاب الأدب، ويمكن الاستفادة من الدراسات السابقة فيما يخص بعض المبادئ التي حوتها أحاديث كتاب الأدب التي تشترك مع الدراسات السابقة ، كذلك فيما يخص التطبيقات التربوية .

الفصل الثاني

مكائنة الإمام البخاري وصحيحه من السنة

مخطط الفصل :

المبحث الأول : ترجمة الإمام البخاري رحمه الله تعالى .

المبحث الثاني : التعريف بصحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى.

الفصل الثاني

مكانة الإمام البخاري وصحيحه من السنة

تتناول الباحثة - بمشيئة الله تعالى - في هذا البحث المبادئ المتضمنة في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى ، لذا كان لزاماً قبل الشروع في استنباط المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري التعريف بالإمام البخاري رحمه الله تعالى وصحيحة ، من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول

ترجمة الإمام البخاري رحمه الله تعالى

مدخل للمبحث :

أولاً : لمحة موجزة عن عصر الإمام البخاري و موطنه :

عاش البخاري رحمه الله في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري ، أي من عام ١٩٥هـ - ٢٥٦هـ ، أي انه عاصر العصر الأول للدولة العباسية ، وهو ما يسمى عند المؤرخين بالعصر الذهبي ، و عاصر البخاري من خلفاء العصر العباسي ثمانية خلفاء ، وهم : المأمون (١٩٧ - ٢١٨ هـ) ، المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) ، الواثق بالله (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) ، المتوكل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) ، المنتصر بالله (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ) ، المستعين بالله (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ) ، المعتز بالله (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ) ، المهدي بالله (٢٥٥ هـ) وكانت مدة خلافته أحد عشر شهراً (١) .

" قامت الدولة العباسية على أساس ديني قوامه إحياء السنة والدين وإعادة حكم العدل والعودة إلى نظام الخلافة الحقيقي الذي يغلب عليه الطابع الديني بدلا من نظام

(١) المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب تصنيف ومعادن الجواهر ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٥ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٣هـ ، ج ٤ ، ص (٤ - ١٨٢) .

الملوك الذي أقامه الأمويون ... وقد اتخذ العباسيون للخلافة رسوماً لها صبغة دينية بحتة ، فكان خلفاؤها يرتدون بردة النبي صلى الله عليه وسلم في المناسبات الخاصة كالصلاة والعديد وعند توليهم الخلافة ، ويقربون إليهم العلماء والفقهاء ويستشيرونهم في أمور الدولة ومشكلاتها ، ويستندون على نظرية الإمامة في الحكم تأكيداً للمعنى الديني^(١) ، باعتبار أنهم ورثة بيت الرسول صلى الله عليه وسلم بسبب قرابتهم له ...»^(٢)

ونتيجة لانتهاج العباسيون هذه السياسة في الحكم ، ساعدوا على نشر الدين الإسلامي ، والتمسك بمبادئ الدين مما أدى إلى تطبيق التربية الإسلامية في المجتمع الإسلامي في ذلك العصر، و اتساع الدولة الإسلامية ، وقوة نفوذها واستقرارها سياسياً و أمنياً ، وساعد على الازدهار الاقتصادي الذي كانت تتمتع به الأمصار الإسلامية تحت مظلة الدولة العباسية في ذلك العصر، فتجلت مظاهر هذا الازدهار على جميع مجالات الحياة في مختلف طبقات المجتمع التي تنوعت من فلاحين وتجار وأدباء ، وضمت مختلف الأجناس من عرب وبربر و فرس و أتراك و هنود ، كلهم يعيشون تحت مظلة الدولة الإسلامية وينعمون بالعدل والأمان تطبيقاً لمبدأ العدل الذي اتسم به الحكم بهذه الشريعة الإسلامية قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾^(٣)

فارتفع المستوى الاقتصادي في العصر العباسي ، حتى امتلأ بيت مال المسلمين

(١) الإمامة أو الخلافة هي : " حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها ، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به " . ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : المقدمة ، دار الشعب ، القاهرة ، (د . ت) ، ص (١٧٠ - ١٧١) .

(٢) سالم ، السيد عبد العزيز : العصر العباسي الأول ، دراسات في تاريخ العرب ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د . ت) ، ج ٣ ، ص (١٤١) .

(٣) سورة النساء : الآية (٥٨) .

كما ذكر ابن الأثير حيث كان به عند وفات الرشيد تسعمائة ألف ألف ونيف . (١)

و ازدهرت مختلف الصناعات من زراعة وصناعة وتجارة ، فامتلات بطون كتب التاريخ الاوائل تصف ما وصلت إليه الحالة الاقتصادي من ازدهار في ذلك العصر، فظهر الترف على مظاهر الحياة في المجتمع في ذلك العصر، ففتفنن المسلمون في الأكل والشرب والملبس و في العمارة وتخطيط المدن ، فمدينة سامرا التي بناها المعتصم للأثر اك ، كانت مظهر من مظاهر التقدم الاقتصادي في ذلك الوقت (٢).

فانتشار الدين الاسلامي كان من أهم عوامل اتغير الاقتصادي والتغير الاجتماعي على حد سواء حيث ظهر التغير الإجتماعي وتجلى بوضوح في المجتمعات التي انتشر فيها الاسلام وهذا التغير كان يعني تقبل التشريع الإسلامي في تنظيم الأسرة والأخلاقيات وأدب السلوك والعلاقات الاجتماعية ، والاحتفال بالأعياد الإسلامية والميل الأكبر لتقاليد العرب والتشبه بحياتهم الاجتماعية ، والميل للاختلاط بالجماعات الإسلامية الأخرى .

والاختلاط بالشعوب الأخرى أثر بشكل كبير على العادات والتقاليد في المأكل والملبس والمسكن . (٣)

أما من الناحية العلمية في العصر العباسي، فقد كان لانتشار الإسلام وما تبعه من تطبيق لمبادئه وما نتج عن ذلك من استقرار سياسي وأمني ، و ما تبعه من ازدهار اقتصادي وتغير اجتماعي ، كل ذلك كون لنا بيئة فكرية ، كانت تتسم بمظاهر

(١) ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني : الكامل في التاريخ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ ، ج ٥ ، ص (٢٥٤).

(٢) المسعودي : " مروج الذهب وتصنيف ومعادن الجواهر " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٥٤ - ٥٥) ، حسن أحمد محمود ، احمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ط ٥ ، دار الفكر العربي ، مصر ، القاهرة ، (د . ت) ، ص (٢٣٤ - ٢٣٦) .

(٣) حسن أحمد محمود ، احمد إبراهيم الشريف : " العالم الإسلامي في العصر العباسي " ، مرجع سابق ، ص (٢٣٤ - ٢٣٦) .

عدة منها، ظهور الترجمة كنتيجة لاختلاط بالتقافات الأخرى ، والتدوين حيث دونت العلوم المختلفة التي كان من أبرزها علم الحديث فصنفت الجوامع ، ومن أبرزها موضوع بحثنا وهو الجامع الصحيح للبخاري ، وكذا صاحب ذلك حركة التصنيف للعلوم فقد فصل الحديث عن فتاوى الصحابة والتابعين بعد أن كان مختلطاً بها ، وكذا استقل علم التفسير والفقه وعلوم اللغة ، والتاريخ ، كذلك ظهرت لنا حركة التأليف فألفت الكتب في مختلف الفنون^(١).

وقاد هذه الحركة العلمية العلماء المسلمون الذين نبغوا من مختلف أقطار الدولة الإسلامية من مختلف الأجناس فالإسلام لا يفرق بين عربي ولا عجمي في طلب العلم كما جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ»^(٢).

فقد تحقق مبدأ المساواة في طلب العلم ، وشجع الخلفاء طلبة العلم و خصوهم بالعطاء وخصصوا لهم مجالس يجتمعون فيها بهم ، فكان للمأمون مجلس يجمع فيه الفقهاء ويتشاور معهم ، وكذا كان الواثق له مجلس للفلاسفة والأطباء^(٣) .

فكل ذلك أوجد علماء جهابذة خدموا الإسلام والمسلمين من غير العرب وكان من بينهم من يعد كتابه و إنتاجه العلمي الفريد محور بحثنا وهو الإمام البخاري أحد الموالى الذي خرج من خراسان ، فخرج منها العلماء بمختلف المصنفات التي خدمت البشرية جمعا إلى وقتنا الحاضر ، وما زالت تثري الفكر البشري إلى الآن .

(١) المرجع السابق ، ص (٢٤٨ - ٢٨١) .

(٢) نور الدين الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ط ٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ ، ج ١ ، كتاب العلم ، باب في طلب العلم ، ص (١١٩) ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير وألا وسط، وفيه: عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان القرشي، عن حماد بن أبي سليمان، وعثمان هذا، قال البخاري: مجهول، ولم يقبل من حديث حماد إلا ما رواه عنه القدماء شعبة وسفيان الثوري والدستوائي، ومن عدا هؤلاء رووا عنه بعد الاختلاط.

(٣) المسعودي ، : " مروج الذهب وتصنيف ومعادن الجوهر " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (١٩) ، (٧٧).

ثانياً : سيرة الإمام البخاري الشخصية :

نسبه:

اتفق أغلب المؤرخين على أن نسب الإمام البخاري هو :

" أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة بن بردزبة^(١) البخاري. (١)

والإمام البخاري فارسي الاصل ، وكان أول من اسلم من أجداده المغيرة بن برزذبة ، على يد والي بخارى " اليمان الجعفي " فنسب اليه بالولاء . (٣)

والبخاري : " بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة وبعد الألف راء ، هذه النسبة إلى بخارا ، وهي من أعظم مدن ما وراء النهر ، وبينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام ، وقد خرج منها جماعة من العلماء في كل فن" . (٤)

(١) بردزبه : " بفتح الباء وكسر الدال المهملة وسكون الزاي وفتح الباء ، جد البخاري فارسية معناها الزراع " الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ج ١ ، فصل الهمزة والباء ، ص (٣٩) .

(٢) القسطلاني ، أبي العباس شهاب الدين احمد : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، (د ، ت) ، ج ١ ، ص (٣١) . أبي بكر احمد بن علي ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، ج ٢ ، ص (٦) .

(٣) فوالد المغيرة أسلم على يد يمان والي بخارا فنسب إليه نسبة ولاء عملاً بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص كان ولاؤه له ولذا قيل للبخاري الجعفي ، ويمان هذا هو جد المحدث عبد الله بن محمد بن جعفر بن يمان الجعفي المسندي . القسطلاني ، أبي العباس شهاب الدين احمد : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، (د ، ت) ، ج ١ ، ص (٣١) .

(٤) ابن خلكان ، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، (د . ت) ، ج ٤ ، ص (١٩١) ، و ابن الأثير : " اللباب في تهذيب الأنساب " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (١٢٥) ، وتقع بخارا في ازبكيستان حالياً .

و والد الإمام البخاري كان من العلماء الورعين وقد روى عن عدد من العلماء ، ومنهم مالك وحماد بن زيد وروى عنه العراقيون . (١)

و قال عنه أحمد بن حفص : " دخلت على أبي الحسين إسماعيل بن إبراهيم عند موته فقال لا أعلم في جميع مالي درهما من شبهة فقال أحمد فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك " . (٢)

وذكره ولده أبو عبد الله في التاريخ الكبير فقال : " إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو الحسن رأى حماد بن زيد صافح ابن المبارك بكلتا يديه ، وسمع مالكا " (٣) .

موطنه :

موطن الإمام البخاري ومسقط رأسه بخارا وهي من أعظم مدن ما وراء النهر ، وتقع قرب نهر جيحون ، وهي تابعة لولاية خراسان ، وقد فتحها بعد محاولات عدة لفتحها قتيبة بن مسلم الخرساني في عهد الدولة الأموية في عصر الحجاج ، فبنى قتيبة فيها جامع وألزم أهلها بتطبيق الشريعة (٤) ، وقد كانت أيام العباسيين تحت ولاية طاهر بن الحسين حيث استعمل عليها أيام المأمون سنة ٢٠٥هـ ، وبعد وفاته سنة ٢٠٧هـ استعمل ابنه عبد الله ، وتمتاز بخارا بأنها أرض تكسوها الخضرة وتكثر بها البساتين المليئة بالفواكه، وبينها وبين مرو اثنا عشر مرحلة وبينها وبين خوارزم أكثر من خمسة عشر يوما ، وقيل فيها ، هي مدينة على أرض مستوية وبنائها خشب مشبك ويحيط به القصور والبساتين و والسكك المقترشة والقرى المتصلة سور يكون اثنتا عشر فرسخا في مثلها يجمع هذه القصور والأبنية والقرى والقصبة ، فلا ترى

(١) ابن حبان ، محمد بن حبان بن احمد أبي حاتم التميمي البيهقي : كتاب الثقات ، ط ١ ، دار الفكر ، ١٤٠٢هـ ، ج ٨ ، ص (٩٨) .

(٢) القسطلاني : "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ، ص (٣١) .

(٣) البخاري ، محمد بن إسماعيل : التاريخ الكبير ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، ج ١ ، ص (٣٤٢-٣٤٣) .

(٤) النرشخي ، أبي بكر محمد بن جعفر : تاريخ بخارا ، ذخائر العرب ، تحقيق : أمين عبد المجيد بدوي ، نصر الله مبشر الطرازي ، دار المعارف ، مصر ، (د . ت) ، ص (٧٣) .

خلال ذلك قفار ولا خرابا .

وقد خرج منها الكثير من العلماء في مختلف الفنون (١).

مولده ونشأته و أخلاقه :

ولد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في بخارا ، يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة
لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة للهجرة .

وبحسب ما توصلت إليه الباحثة من مصادر ومراجع عن سيرة الإمام البخاري
الشخصية لم يذكر المؤرخون فيها عن مراحل حياة الإمام البخاري الخاصة شيئا فيما
يختص بزواجه أو أولاده ، سوى قول الحاكم " و أما البخاري ومسلم فإنهما لم يعقبا
نكرا " (٢).

وقد كان الإمام البخاري شيخاً نحيف الجسم ليس بالطويل ولا القصير . (٣)

تربى الإمام البخاري رحمه الله تعالى في بيئة صالحة غذته دينياً وخلقياً وعلمياً
وفق منهج التربية الإسلامية الحقة ، وهذا الصلاح ما كان ليتم لولا صلاح الأب والأم
ركنا الأسرة الأساسيان ، فوالد الإمام البخاري كان عالماً ورعاً تقياً ، انعكس ورعه
وتقواه على تربية أبنائه ، ويبرز ذلك في حرصه على تغذية أبنائه حلالاً صافياً ، فقد
قال عنه أحمد بن حفص : " دخلت على أبي الحسين إسماعيل بن إبراهيم عند موته
فقال لا أعلم في جميع مالي درهماً من شبهة فقال أحمد فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك
" (٤).

(١) ابن الأثير : "اللباب في تهذيب الأنساب" ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص (٣٦٨) ، وياقوت
الحموي ، أبي عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان ، دار الكتاب العربي ، لبنان ،
بيروت ، (د . ت) ، ج ١ ، ص (٣٥٥-٣٥٧).

(٢) الحاكم ، محمد بن عبد الله ، كتاب معرفة علوم الحديث ، ط ٢ ، مطبعة مجلس دائرة
المعارف العثمانية ، الهند ، حيدر آباد ، ١٣٨٥هـ ، ص (٦٦).

(٣) الخطيب البغدادي : "تاريخ بغداد" ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٦) .

(٤) القسطلاني : "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ، ص (٣١) .

والتغذية الجسمية لها أثر بالغ على الجوانب الخلقية والروحية وغيرها، يقول الغزالي في رياضة الصبيان : " بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضائنه وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي أنعجت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث." (١) ، فإذا كان هذا شأن والد الإمام البخاري في ما يتصل بتغذية أبنائه من الناحية الجسدية فما يكون شأنه في التغذية الروحية ، إنها عقيدة صافية وخلقاً كريماً وعلماً نافعاً ورثه الأبناء من أباهم وهذا هو الميراث الحقيقي ، والزوجة إنما عكست صلاح الزوج فوالدة الإمام البخاري كنت امرأة تقية ورعة ، شديدة التوكل على الله تعالى ، فقد روي انه فقد بصره في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك ، أو لكثرة دعائك ، فأصبح وقد رد الله عليه بصره . (٢)

فالتوكل على الله تعالى إنما هو دلالة على مدى عمق الجانب الإيماني ، فيبرز بذلك اثر تعميق الجانب الإيماني في شخصية الوالدين على تربية الأبناء.

والمرأة الصالحة إنما يظهر أثر صلاحها على تربية أبنائها فقد توفي والد الإمام البخاري وهو صغير فتكفلت والدته بتربيته تربية صالحة، فحرصت على أن يقتني أثر والده في طلب العلم لما رأت من نجابته وما ظهر له من ميزات شخصية تؤهله لذلك ، فوجهته منذ وقت مبكر لدراسة السنة النبوية ، حيث تشرب من المنهج النبوي وهو لم يتجاوز العاشرة ، فكان لذلك الأثر البالغ في شخصيته .

فالبينة الصالحة التي تربي فيها الإمام البخاري أخرجت سمات شخصية مميزة لهذا العالم الجليل ظهرت من خلال سيرته .

(١) الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان. ١٤٠٢هـ — ، ج ٣ ، ص (٧٢).

(٢) الخطيب البغدادي : " تاريخ بغداد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٦ - ١٠)

فتمتع الإمام البخاري بإيمان راسخ و بأخلاق عالية أهلته لحمل سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وحفظها ونشرها وتطبيقها، وقد عدد العلماء مناقبه ، وامتلات صفحات كتبهم بفضائله ومكارم أخلاقه ، قال عنه ابن خزيمة : " كان البخاري رحمه الله تعالى في غاية الحياء والشجاعة ... و كان حيباً فاضلاً يحسن كل شئ " (١).

وكان عفيف اللسان يتحرى الصدق ويحرص أن يكون أبعد عما حرم الله تعالى، فكان يقول: "إني أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا". (٢)

وليحرص على أن لا يقع في الغيبة كان ينتقي الألفاظ التي تبعده عنها عند كلامه عن الرجال فكان يقول : سكتوا عنه ، فيه نظر ، تركوه ، ونحوه ، وقل ما يقول وضاع كذاب. (٣)

و من الأثر التربوي الذي عكسه حفظه لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم أيضا تعظيمه لمساجد الله التي هي منبع التربية الإسلامية في عصر صدر الإسلام " فعن علي بن محمد بن منصور يقول : سمعت أبي يقول : كنا في مجلس أبي عبد الله محمد بن إسماعيل فرفع إنسان من لحيته قذاة فطرحها على الأرض فأدخلها في كفه ، فلما خرج من المسجد رأيت أنه أخرجها فطرحها على الأرض ". (٤)

وقد أدرك الإمام البخاري عظمة العلم الذي يحمله بين جنبيه فشرفت نفسه وعلت ، ذلك العلو الذي هو أبعد عن الغرور و إنما هو نابع لإدراكه قيمة العلم وشرفه ولاسيما المصدر الثاني من مصادر الشريعة ، فقد كان سبب مفارقتة لبخارا أن أميرها سأله أن يحضر منزله فيقرأ الجامع والتاريخ على أولاده فامتنع فسأله أن يعقد لأولاده مجلسا لا يحضره غيرهم فامتنع أيضا وقد رد البخاري على الأمير بقوله

(١) ابن كثير ، أبو الفداء : البداية والنهائية ، ط ٢ ، مكتبة المعارف ، لبنان ، بيروت ، ١٩٧٧م ج ١١ ، ص (٢٦) .

(٢) الخطيب البغدادي : " تاريخ بغداد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٣) .

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (٦٧٢) .

(٤) الخطيب البغدادي : " تاريخ بغداد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٣) .

" في بيته العلم والحلم يؤتى " ، فاستعان الأمير عليه بمن تكلم في مذهبه ونفاه من البلد فدعا البخاري عليهم فاستجيب له . (١)

وعلى الرغم مما وصل إليه رحمه الله من العلم إلا إنه كان شديد التواضع يعترف بفضل شيوخه عليه ويعترف بمن هم أعلم منه ومن ذلك قوله : " ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني ، ما سمعت الحديث من في إنسان أشهى عندي أن أسمعه من في عليّ . " (٢)

وكان الإمام البخاري يمثل الشخصية الإسلامية ألحقه في جميع تعاملاته حيث التزم الوفاء بعهده ولم ينقضه ابداً ، فقد حمل إليه يوماً بضاعة أنفذها إليه شخص فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم فقال لهم انصرفوا الليلة ، فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم وقال : " إني نويت البارحة أن أدفع إلى الذين طلبوا أمس بما طلبوا أول مرة . فدفعها إليهم بما طلبوا — يعني الذين طلبوا أول مرة — ودفع إليهم بربح خمسة آلاف ، وقال : " لا أحب أن أنقض نيّتي . " (٣)

فالمؤمن راسخ الإيمان يرتبط بالله تعالى في أدق تفاصيل حياته لأنه يؤمن بأن الله تعالى له مقاليد كل شيء فهو المعطي وهو الواهب ، وهذا يبرز لنا اثر تعميق الجانب الإيماني في نفس الإمام البخاري ومدى ارتباطه بالجانب الخلقى فالشخصية الإسلامية في التربية الإسلامية تبرز جوانب تربيتها متكاملة ومتسقة مع بعضها البعض كل منها يؤثر وينمي الآخر .

وتتميز الإمام البخاري بالسماحة والعفو ، و روي أن جاريته أرادت دخول المنزل فعثرت على محبرة بين يديه فقال لها كيف تمشين قالت إذا لم يكن طريق

(١) ابن كثير : " البداية والنهاية " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص (٢٧) .
(٢) الخطيب البغدادي : " تاريخ بغداد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٨) .
(٣) المرجع السابق ، ص (١٢) .

فكيف أمشي ، فبسط يديه وقال : أذهبي فقد أعتقتك ، فقيل له يا أبا عبد الله أغضبتك .
قال : فقد أرضيت نفسي بما فعلت . (١)

وكان لترويح من خلال التربية الجسدية نصيبا وافر في نشأة الإمام البخاري فقد تمتع بهواية الرمي وكان ماهراً بها ، ولم يخطئ إلا مرتين ، يروى أنه كان يرمي ذات يوم مع أصحابه فأصاب سهمه وتد قنطرة^(٢) كانت على النهر ، فشققها ، فأهتم لذلك كثيرا فأرسل صاحبه إلى صاحب القنطرة ليطلب منه أن يقيمها أو يعوضه ثمنها ، ولكن صاحب القنطرة سامحه ، وقال : " أنت في حل مما كان منك فإن جميع ملكي لك الفداء ، فلما عرف ذلك البخاري تهلل وجهه وسر سرورا كثيرا وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث ، وتصدق بثلاثة مائة درهم . " (٣)

وهنا تبرز ترابط جوانب التربية الأخلاقية والجسدية في شخصية الإمام البخاري فقد ربط الترويح وتنمية مهاراته الجسمية بالأخلاق الرفيعة وهذا من سمات الشخصية الإسلامية الحقة .

وكان الإمام البخاري كريما سخيا جوادا لطلبة العلم ومما يروى في ذلك أنه : ذبح ذات يوم لطلبة رباط يلي بخارا بقرة وأشترى رغيف بثلاثة دراهم فأجتمع عليه ما يزيد عن مائة نفس فأكل الناس جميعا وفضل . (٤)

وبهذه الشخصية المتميزة الكريمة التي طبع عليها سلوك الإمام البخاري أكسبته محبة الناس وتعظيمهم له و قد كان الناس يعظمونه جدا ، فقد نثروا على رأسه الذهب والفضة يوم دخل بخارى عائدا إلى أهله . (٥)

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (٦٧٢) .
(٢) وتد قنطرة : الوند : " بالفتح وبالتحريك وككتف مأزر في الأرض ، أو الحائط من خشب الفيروز أبادي : " القاموس المحيط " ، مرجع سابق ، ج ١ ، فصل الواو ، ص (٣٥٦) .
القنطرة : " الجسر وما أرتفع من البنيان " المرجع السابق ، ج ٢ ، فصل القاف ، ص (١٢٦) .
(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (٦٧٢) .
(٤) القسطلاني : " إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣٧) .
(٥) ابن كثير : " البداية والنهاية " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص (٢٧) .

فمدى محبة الناس للإمام البخاري إنما هي دلالة على مدى الأثر الصالح الذي خلفه في مجتمعه ، فقبول المجتمع لأفراده إنما يكون بقدر صلاحهم ومدى النفع الذي يحققونه له ، والفرد الصالح إنما تنتج الأسرة الصالحة ، حيث تبرز هنا فائدة تربية وهي مدى الأثر الذي تتركه الأسرة على الفرد والمجتمع فإذا صلحت أنتجت فرداً صالحاً لنفسه ومجتمعه من حوله .

زهده وورعه وعبادته :

إن تعميق التربية الإيمانية في نفس الفرد منذ نعومة أظفاره لها أكبر الأثر في مراحل حياته ، وهذا ما كان ظاهراً في سيرة الإمام البخاري رحمه الله تعالى ، فقد كان زاهداً في هذه الدنيا يربو الآخرة ، فزهده بما فيها من أكل ونوم ، ولشدة زهده كان لا يأتيه (١).

ولشدة ورعه يقول عن نفسه : " منذ ولدت ما اشتريت من أحد بدرهم شيئاً قط ولا بعت من أحدهم بدرهم قط فسألوه عن شراء الحبر والكواغد فقال : كنت أمر إنساناً يشتري لي " (٢).

وقال عمر بن حفص الأشقر : كنا مع محمد بن إسماعيل بالبصرة نكتب الحديث ففقدناه أياماً فوجدناه في بيته وهو عريان وقد نفذ ما عنده ولم يبق معه شيء فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوباً وكسوناه ثم أندفع معنا في كتابة الحديث (٣).

و كان كثير العبادة خاشعاً في صلاته ، فإذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم ويقراً في كل ركعة عشرين آية وكذلك إلى أن يختم القرآن . وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (٦٧٣) .

(٢) الخطيب البغدادي : " تاريخ بغداد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١١) .

(٣) المرجع السابق ، ص (١٣) .

في كل ثلاث ليال وكان يختم بالنهار كل يوم ختمه ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة
ويقول : عند كل ختم ، دعوة مستجابة ... " (١).

وعن شدة خشوعه : " كان يصلي ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة ،
فلما قضى صلاته قال : انظروا إيش هذا الذي آذاني في صلاتي ؟ فنظروا فإذا
الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعاً ولم يقطع صلاته " (٢) .
وكان كثير الصدقة ، سراً وجهراً ، ليلاً ونهاراً (٣).

محنته :

إن سبب محنة الإمام البخاري رحمه الله كان بسبب الخوض في مسألة خطيرة
سببت فتنة كبيرة ومشهورة بين أهل السنة والمعتزلة وهي مسألة : " القول بخلق
القرآن " (٤).

وقد حدثت بسبب هذه المسألة فتنة عظيمة في عهد الدولة العباسية سنة ٢١٨هـ
في عهد المأمون ، و امتحن بسببها الكثير من العلماء (٥) ، ومنهم الإمام البخاري
رحمه الله بسبب حسد بعض علماء عصره له ومنهم الذهلي .

يقول السبكي في قصة محنته : " قال لنا الذهلي لما ورد البخاري نيسابور
أذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه فذهب الناس إليه وأقبلوا على السماع منه

(١) المرجع السابق ، ص (١٢) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) ابن كثير : " البداية والنهاية " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص (٢٦) .

(٤) اختلف أهل السنة والجماعة مع المعتزلة في مسألة خلق القرآن ، وذلك أن عقيدة المعتزلة
تتضمن إنكار جميع صفات الله عز وجل ابتعاداً بزعمهم عن التشبيه لذا فقد أنكروا صفة الكلام لله
تعالى ، فقالوا بخلق القرآن ، و مذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات صفات الله تعالى بلا تشبيه
ولا تعطيل كما يليق بجلاله وقدرته ، لذا فمذهبيهم في مسألة خلق القرآن ، أنهم ينكرونها ويقولون
في القرآن : " أنه كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً و أنزله على رسوله وحيا و صدقه المؤمنون على
ذلك حقاً ، و أيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم أنه
كلام البشر فقد كفر " شرح العقيدة الطحاوية ، حققها وراجعها جماعة من العلماء ، خرج
أحاديثها : محمد ناصر الدين الألباني ، ط ٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩١هـ ، ص
(١٠٨ - ٢٠١) .

(٥) ابن الأثير الجزري : " الكامل في التاريخ " ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص (٤١٦ - ٤١٧) .

حتى ظهر الخلل في مجلس الذهلي فحسده بعد ذلك وتكلم فيه ، وقال أبو أحمد ابن عدي ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد واجتمعوا عليه حسده بعض المشايخ فقال لأصحاب الحديث أن محمد بن إسماعيل يقول أن اللفظ بالقرآن مخلوق فامتحنوه فلما حضر الناس قام إليه رجل فقال يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن، مخلوق هو أم غير مخلوق فاعرض عنه ولم يجبه فأعاد السؤال فاعرض عنه ثم أعاد فالتفت إليه البخاري وقال القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقه والامتحان بدعة فشغب الرجل وشغب الناس وتفرقوا عنه وقعد البخاري بمنزله^(١).

فانتهاز حسدته هذه المسألة للأضرار به ، فكانت سبب في طرده من بخارا حيث أن ما ذكر سابقاً من طرد أمير بخارا له إنما هذه المحنة قد تكون مترتبة عليه.

ويقول السبكي : " أن الأئمة نهو عن الخوض في مسائل الكلام وكلام البخاري عندنا محمول على ذكر ذلك عند الاحتياج إليه فالكلام في الكلام عند الاحتياج واجب والسكوت عنه عند الاحتياج سنة...وكيف يضمن البخاري أنه يذهب إلى شيء من أقوال المعتزلة وقد صح عنه فيما رواه الفربري وغيره أنه قال أني لأستجهل من لا يكفر الجهمية ولا يرتاب المنصف في أن محمد بن يحيى الذهلي لحفته آفة الحسد التي لم يسلم منها إلا أهل العصمة وقد سأل بعضهم البخاري عما بينه وبين محمد بن يحيى فقال البخاري كم يعتري محمد بن يحيى الحسد في العلم والعلم رزق الله يعطيه من يشاء ولقد ظرف البخاري وأبان عن عظيم نكائه حيث قال وقد قال له أبو عمرو الخفاف أن الناس خاضوا في قولك لفظي بالقرآن مخلوق يا أبا عمر وأحفظ ما أقول لك من زعم من أهل نيسابور وقومس والري وهمدان وبغداد والكوفة والبصرة ومكة والمدينة أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب فإني لم أقله إلا أني قلت أفعال العباد مخلوقة (قلت) تأمل كلامه ما أدكاه ومعناه والعلم عند الله أني لم أقل لفظي

(١) السبكي ، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين : طبقات الشافعية الكبرى ، ط ٢ ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، ج ٢ ، ص (١١) .

بالقرآن مخلوق لأن الكلام في هذا خوض في مسائل الكلام وصفات الله لا ينبغي الخوض فيها إلا للضرورة ولكني قلت أفعال العباد مخلوقة وهي قاعدة مغنية عن تخصيص هذه المسألة بالذكر فإن كل عاقل يعلم أن ألفاظنا من جملة أفعالنا وأفعالنا مخلوقة فألفاظنا مخلوقة" (١).

وفاته :

اتفق المؤرخون على أن وفاة الإمام البخاري ، سنة ٢٥٦ للهجرة ليلة عيد الفطر يوم السبت ، وله من العمر ٦٢ سنة إلا ثلاثة ، ويقول الخطيب : توفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومائتين عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً (٢).

وذكر الخطيب (٣) وابن حجر (٤) في قصة وفاته ما رواه عبد القدوس بن عبد الجبار: " خرج البخاري إلى خرتك قرية من قرى سمرقند وكان له بها أقرباء فنزل عندهم قال : فسمعت ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يقول في دعائه اللهم قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت فأقبضني إليك قال : فما تم الشهر حتى قبضه الله ، وقال عبد الواحد بن آدم الطواويسي يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع فسلمت عليه فرد عليّ السلام فقلت ما وقوفك هنا يا رسول الله قال : أنتظر محمد بن إسماعيل قال فلما كان بعد أيام بلغني موته فنظرت هو قد مات في الساعة التي رأيت فيها النبي صلى الله عليه وسلم".

وقال ، غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه البخاري بخرتك : " إنه أقام أياماً فمرض حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون من الخروج إليهم فأجاب

(١) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص (١٢-١٣).

(٢) الخطيب البغدادي : " تاريخ بغداد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٦).

(٣) المرجع السابق ، ص (٣٤) .

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (٦٨٨).

وتهبأ للركوب ولبس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها وأنا آخذه بعضده قال فقد ضعفت فأرسلناه فدعا بدعوات ثم أضطجع فقضى ثم سال منه عرق كثير وكان قد قال لنا كفونى فى ثلاثة أثواب لىس فىها قمىص ولا عمامة قال ففعلنا فلما أدرجناه فى أكفانه وصلينا علىه ووضعناه فى حفرة فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ودامت أياماً وجعل الناس يختلفون إلى القبر أياماً يأخذون من ترابه إلى أن جعلنا علىه خشباً مشبكاً". (١)

ثالثاً : سيرة الإمام البخارى العلمية :

تعليمه :

نبغ الإمام البخارى وبرز فى علم الحديث فكان إمام أهل الحديث فى عصره وما يليه إلى يومنا هذا ، وساعده على ذلك بعد توفىق الله تعالى البيئة العلمية الخصبة التى عاش فىها ، فقد كان عصره من أزهى عصور الدولة الإسلامية من ناحية التقدم العلمى الكبير فى شتى المجالات فضلاً عن علوم الشريعة ، بالإضافة إلى أن بخارى مسقط رأسه كانت مركزاً علمياً آن ذاك ، و الإمام البخارى تربى ونشأ فى بيت علم ، فأبوه كما سبق كان من العلماء المعروفين فى عصره ، والى جانب ذلك كله تمتع البخارى بصفات جبلىة ساعدته على النبوغ والتفوق العلمى، فاشتهر بذكائه وفطنته وحافظته القوية .

وهذه الأسباب مجتمعة كونت بيئة خصبة لتنشئة الإمام البخارى العلمية ، فهنا فائدة تربوية عظيمة، حيث يبرز أثر البيئة المحيطة بالفرد على تكوين اتجاهاته وميوله وتتميتها بما يتوافق مع قدراته فإذا كان الفرد يتمتع بقدرات و مواهب عالية ووجدت البيئة الصالحة فى الأسرة والمجتمع الذى تغذيها وترعاها ظهر أثرها علىه وعلى مجتمعه ، وهذا ما تمثل فى سيرة الإمام البخارى العلمية فلولا وجود البيئة الصالحة التى رعت مواهبه ونمتها لما خرج علينا بإبداعه الذى أفاد الأمة الإسلامية

(١) المرجع السابق ، ص (٦٨٨) .

وهو صحيح الإمام البخاري اصح الكتب بعد كتاب الله تعالى الذي حفظ لنا المصدر الثاني من منهج الأمة المتمثل في السنة النبوية .

توجه الإمام البخاري منذ وقت مبكر لدراسة السنة النبوية ، فتشرب من المنهج النبوي وهو لم يتجاوز العاشرة ، فكان لذلك الأثر البالغ في سلوكه.

فحين تتحقق شروطه طلب العلم تظهر آثاره على طالبه، فلم يكتفي الإمام البخاري بحفظ السنة بل وعامها وطبقها وهذا كان من أسباب تمام حفظه لها ، وهذا ما كان واضحا وجليا في سلوك الإمام البخاري رحمه الله ، فقد انطبع على سلوكه الجانب التطبيقي من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وكان بداية مشوار الإمام البخاري العلمي في الكتاب ، فحفظ الحديث في سن العاشرة ، يقول الفريبري حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي قال قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث ؟ قال : ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب . قال وكم أتى عليك إذ ذاك قال : عشر سنين أو أقل ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره .

ونبع الإمام البخاري منذ وقت مبكر فحفظ الحديث وهو لم يتجاوز العاشرة و كذا المصنفات الضخمة ووعاها ، يقول عن نفسه : " كنت أختلف إلى الفقهاء بمرور وأنا صبي ، فإذا جئت استحي أن اسلم عليهم ، فقال لي مؤدب من أهلها : كم كتبت اليوم ؟ فقلت : اثنين ، و أردت بذلك حديثين ، فضحك من حضر المجلس . فقال شيخ منهم : لا تضحكوا ، فلعله يضحك منكم يوماً " (١) . وقال عيسى الترمذي : كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير فلما قام من عنده . قال : أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة قال أبو عيسى : فأستجيب له " (٢) .

(١) الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ ، ج ١٢ ، ص (٤٠١) .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٨) .

فشيوخته تنبهوا لنبوغه المبكر فرعوه وشجعوه ، وهنا يبرز دور المربي فعليه أن يتتبه منذ وقت مبكر لقدرات طلبته وبالتالي يعمل على تشجيعها حتى تتقدم و تثمر ثمرة طيبة له ولمجتمعه .

وقد امتلأت كتب المؤرخين تصف النبوغ المبكر والحافضة القوية التي تميز بها الإمام البخاري قوة ومن ذلك :

يقول عن نفسه : " فلما طعنت في ست عشرة سنة ، حفظت كتب ابن المبارك و كيع وعرفت كلام هؤلاء . (١) .

ويقول ابن كثير : " ألهمه الله حفظ الحديث وهو في المكتب ، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة حتى قيل إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سرداً " (٢) .

ولقوة حافظته يقال : " إنه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظه من نظرة واحدة " (٣) .

وكان يقول : " أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائة ألف مائتي ألف حديث غير صحيح " (٤) .

و يقول أيضا : " رب حديث سمعته بالبصرة كتبتّه بالشام ورب حديث سمعته بالشام كتبتّه بمصر قال فقيل له : يا أبا عبد الله بكماله ؟ قال فسكت " (٥) .

(١) الخطيب البغدادي : " تاريخ بغداد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٧ - ٨) .

(٢) ابن كثير : " البداية والنهاية " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص (٢٥) .

(٣) المرجع السابق .

(٤) أبي يعلى ، أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي : طبقات الحنابلة ، حققه وقدم له وعلق عليه : عبد الرحمن بن سلمان العثيمين ، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤١٩هـ ، ج ٢ ، ص (٢٥٢) .

(٥) الخطيب البغدادي : " تاريخ بغداد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١١) .

" وسئل : تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف ؟ قال : لا يخفي عليّ جميع ما فيه" (١).

عن سليم بن مجاهد قال كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال لي لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث قال فخرجت في طلبة فلقيته فقلت أنت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث قال نعم ، أكثر ولا أجيئك بحديث عن الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ولست أروي حديثاً من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولى في ذلك أصل أحفظه حفظاً عن كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢).

وهنا قيمة تربوية عظيمة لا بد أن يتتبع إليها المربون الآن فالإمام البخاري وهو لم يتجاوز السادسة عشرة كون كما معرفياً ضخماً تجاوز حدود المناهج الدراسية الآن لمرحلة دراسية واحدة وطلاب اليوم بالكاد يحفظون مقرراتهم التي تقرر عليهم رغم أن بعضهم لديه قدرات ذهنية كبيرة ، فعلى المربين أن ينتبهوا إلى ضرورة رعاية أصحاب المواهب المتميزة في القدرات الذهنية في استغلالها لحفظ سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وحفظ كتب العلماء البارزين في الفضل والمكانة العلمية المعتد بكتبهم لينشأ لنا جيل يقدر هذا التراث علماً وتطبيقاً .

ثم بدأ الإمام البخاري بالسماع من شيوخ بلده كما ذكر الذهبي (٣) ، والقسطلاني (٤) سنة خمس ومائتين مثل محمد بن سلام البيكندي ، وعبد الله ابن محمد المسندي ، ومحمد بن عرعة ، وغيرهم .

(١) المرجع السابق ، ص (٩) .

(٢) السبكي : "طبقات الشافعية الكبرى" ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٥) .

(٣) الذهبي : "سير أعلام النبلاء" ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٥٥٥) .

(٤) القسطلاني : "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣٢) .

وعندما وجهت قدرات الإمام البخاري ومواهبه ونميت بدأت تؤتي ثمارها منذ وقت مبكر فقد بدأ بالتصنيف والإملاء والتحديث ، في بداية حياته العلمية ، يقول : " فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاولهم " (١).

فأشتهر وعلا صيته " فكان أهل المعرفة من أهل البصرة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسونه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه ، وكان عند ذلك شاباً لم يخرج وجهه " (٢).

وقد جلس للإملاء وهو شاباً يقول الخطيب " أنه كان ينادى في جامع البصرة إذا قدم البخاري إليها ، ويجتمع إليه طلبة العلم والمحدثين والفقهاء ، والحفاظ ، والنظار ، ويحدقوا به ويسألوه ويجلس للإملاء ، وكان رجلاً شاباً لم يكن في لحيته شيء من البياض (٣).

فالإبداع العلمي والتصنيف والتدريس لا يقتصر على مرحلة معينة من العمر بل يمكن أن يتحقق ذلك لطالب العلم منذ وقت مبكر ، إذا ما روعيت ووجهت قدراته العلمية ومواهبه ، وبهذا يرتفع المستوى العلمي للأمة بل سنجد من العلماء من يكون بحر في مجاله كالعلماء الأوائل ، وهذا ما ينبغي أن ينتبه له واضعو المقررات الدراسية ، فإن ضعف المادة العلمية تسهم في إخراج جيلا ضعيفا من الناحية العلمية ، وكذا ضعف طرحا وتقديمها له دور كبير في ضعف تطبيقها على أرض الواقع ، وبذلك توجد فجوة كبيرة بين ما يطرح في المقررات وما يحدث من تطبيق عملي على أرض الواقع .

ولحافظه الإمام البخاري القوية تفوق على أقرانه ، قال حاشد بن إسماعيل أحد رفاقه في طلب العلم: " كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام ، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام ، فكنا نقول له : إنك

(١) الذهبي : " سير أعلام النبلاء " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص (٤٠٠).

(٢) أبي يعلى : " طبقات الحنابلة " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢٥٦) .

(٣) الخطيب البغدادي : " تاريخ بغداد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٥-١٦) .

تختلف معنا ولا تكتب فما معنك فيما تصنع فقال لنا بعد ستة عشر يوماً : إنكما قد أكثرتما عليّ وألحمتما ، فأعرضا عليّ ما كتبتما ، فأخرجنا ما كان عندنا فزاد علي خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلها عن ظهر القلب حتى جعلنا نحكم كتبنا علي حفظه ، ثم قال : أترون أنني أختلف هدرأ وأضيّع أيامي ؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد" (١).

ولم يتفوق الإمام البخاري فقط علي أقرانه بل وصل مستواه العلمي إلي مستوى أساتذته ، فعندما يكون طالب العلم متمكناً من علمه وقدراته العلمية بفضل ما بذل من جهده في طلب العلم، فإنه يكون قادراً علي بذل علمه وتوجيهه بين الناس متبعاً في ذلك الأسلوب الأمثل دون تعالٍ أو غرور بل يكون في غاية الأدب مع أساتذته ، فيسعى من خلال تعلمه إلي تحقيق الهدف الأسمى منه وهو نشر العلم الصحيح ، وقد ترجم الإمام البخاري هذا السلوك الراقي لمتعلم في مواقف مع أساتذته لذا نجدهم أذعنوا له بهذا الفضل وافر له بالمكانة العلمية المتميزة التي حازها ، فقد قال " يوماً فيما كان يقرأ للناس : سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم ، فقلت له : يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم . فانتهرني فقلت له ارجع إلي الأصل إن كان عندك ، فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال لي : كيف هو يا غلام ؟ قلت : هو الزبير بن عدي عن إبراهيم . فأخذ القلم مني وأحكم كتابه فقال : صدقت . فقال له بعض أصحابه : ابن كم أنت إذ رددت عليه ؟ فقال : ابن إحدى عشرة" (٢).

ويقول حاشد بن إسماعيل : " رأيت إسحاق بن راهويه جالساً علي السرير ومحمد بن إسماعيل معه ، فأنكر عليه محمد بن إسماعيل شيئاً ، فرجع إلي قول محمد ، وقال إسحاق بن راهوية : يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلي هذا الشاب واكتبوا عنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن لأحتاج إليهم الناس لمعرفة الحديث وفقهه" (٣).

(١) أبي يعلى : " طبقات الحنابلة " ، مرجع سابق ، ج ٢ ص (٢٥٦)
(٢) الخطيب البغدادي : " تاريخ بغداد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ص (٧ ، ٨) .
(٣) المرجع السابق ، ص (٢٧) .

و كانت همة الإمام البخاري عالية فتأثر على طلب العلم وانصرف عن كل ما يشغله عنه فعن هاني بن النظر قال : " كنا عند محمد بن يوسف بالشام ، وكنا ننتزه فعل الشباب في أكل الفرصاد (١) ونحوه ، وكان محمد بن إسماعيل معنا ، وكان لا يزاحمنا في شيء مما نحن فيه ، ويكب على العلم " (٢) .

فشغل العلم جل وقته فأشغله طلب العلم عن النوم والأكل وما هذا إلا بسبب التربية النبوية المتمثلة في السنة، وقد مرض الإمام البخاري في آخر حياته ، فعرض ماءه على الأطباء فقالوا إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفة النصارى فإنهم لا يأتمون ، فصدقهم ، وقال لم أئتم منذ أربعين سنة ، فسألوا عن علاجه ، فقالوا : علاجه الأدم فامتنع حتى ألح عليه المشايخ وأهل العلم، فأجابهم إلى أن يأكل مع الخبز سكرة (٣).

" قال محمد بن أبي حاتم الوراق : كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمسة عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نار ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه ... " (٤) .

وبعد أن أخذ العلم من علماء بلده بدأ في الرحلة في طلب العلم ، فقد كان البخاري رحمه الله ذو مال وفير ، حيث ورث من أبيه تجارة ساعدته على التفرغ لطلب العلم (٥).

فأخرجت البيئة العلمية الصالحة التي تربى فيها الإمام البخاري طالب علم تميز بالاجتهاد والصبر والمثابرة وقوة تحمل في سبيل تحصيل العلم فنبغ و هو صبي

(١) الفرصاد : " الفرصد بكسرهما عجم الزبيب وعجب العنب كما الفرصاد : وهو التوت أو حملة أو أحمره وصيغ أحمر . " الفيروز آبادي : " القاموس المحيط " ، مرجع سابق ، ج ١ ، فصل الفاء ، ص (٣٣٥) .

(٢) الذهبي : " سير أعلام النبلاء " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص (٤٠٥) .

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (٦٧٣) .

(٤) السبكي : " طبقات الشافعية الكبرى " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٧) .

(٥) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (٦٧١) .

واستفيد من علمه ، فأشتهر وعلا صيته " فكان أهل المعرفة من أهل البصرة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسونه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه ، وكان عند ذلك شاباً لم يخرج وجهه " (١) .

مكانته العلمية :

كان الإمام البخاري إمام أهل الحديث في عصره وما بعدها من عصور إلى وقتنا الحالي ، فقد خرج على الأمة بمؤلف ما زال يثري الفكر الإسلامي إلى الآن وهو الجامع الصحيح .

فلنبوغه المبكر بما وهبه الله تعالى من حفظ وذكاء وفطنه نادرة وشخصية إسلامية تمثلت المنهج الرباني في سلوكها طريق طلب العلم ، أشتهر الإمام البخاري رحمه الله بعلمه منذ وقت مبكر ، فبرع في الحديث والفقه والعلل والتاريخ وشهد بذلك الكثير من العلماء وتناقلوا مناقبه العلمية في كتبهم ، ووثقوا بعلمه . وكثرة شيوخه الذين سمع منهم تدل على كثرة مخالطته للعلماء ، فبذلك يرتفع تحصيله العلمي وتزيد مكانته العلمية ويتفوق في مجاله ، فقد قال : " كتبت عن ألف شيخ وأكثر ، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده " (٢) .

ولقد بلغ هذا العالم الجليل مكانة علمية في علوم الحديث فاقت الوصف ، و صعب على العقول أن تصدقه يقول رجاء بن المرجي : " فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء . فقال له رجل : يا أبا محمد كل ذلك بمره ؟ فقال : هو آية من آيات الله تمشي على الأرض " (٣) .

لذا عمد أهل الحديث في بغداد إلى امتحانه ، فقد حُكي أن الإمام البخاري قدم بغداد فعمد أصحاب الحديث فيها إلى مائة حديث فقلبوا أسانيدھا ، وانتدبوا عشرة أشخاص لقراءتها على الإمام البخاري ، فلما حضر المجلس قام كل شخص منهم

(١) أبي يعلى : " طبقات الحنابلة " ، مرجع سابق ، ج ٢ ص (٢٥٦) .

(٢) المرجع السابق ، ص (٢٥٤) .

(٣) المرجع السابق ، ص (٢٥) .

بسؤاله عنها فكلما سئل واحد قال لا اعرفه ، فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يقولون لبعضهم الرجل فهم ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ، فلما انتهى العشرة ، رد الإمام البخاري كل متن إلى إسناده ، فأقر له الناس بالفضل و أذعنوا له^(١).

ولسعت علمه رحمه الله كان العلماء يدفعون إليه كتبهم ليحكم أحاديثهم وهو مازال تلميذا لهم ، ومن ذلك أنه قال له محمد بن سلام : أنظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فأضرب عليه ، كي لا أرويه . ففعل ، وكان محمد بن سلام كتب عند الأحاديث التي حكمها محمد بن إسماعيل : رضي الفتى . وفي الأحاديث الضعيفة : لم يرضى الفتى . فقال له بعض أصحابه : من الفتى ؟ فقال : هو الذي ليس مثله محمد بن إسماعيل^(٢).

وقد تعجب جهابذة العلماء من طريقة تصنيفه الفريدة قال عن كتابه التاريخ " أخذ إسحاق بن ابن راهوية كتاب التاريخ الذي صنفت فأدخله على عبد الله بن طاهر فقال : أيها الأمير ألا أريك سحرا ؟ قال فنظر فيه عبد الله بن طاهر فتعجب منه وقال : لست أفهم"^(٣).

وقد شهد له الكثير من العلماء بالعلم و أثنوا عليه ، كما نقل الخطيب^(٤) عن كثير من أقوالهم : " فعن أبا بكر المدني يقول : كنا يوماً بنيسابور عند إسحاق بن راهوية ومحمد بن إسماعيل حاضراً في المجلس ، فمر إسحاق بحديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان دون صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عطاء الكيخاراني فقال : يا أبا عبد الله إيش كيخاران ؟ قال : قرية باليمن كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فسمع منه عطاء حديثين . فقال له إسحاق : يا أبا عبد الله كأنك قد شهدت القوم " .

(١) المرجع السابق ، ص (٢٠ - ٢١) .

(٢) المرجع السابق ، ص (٢٤) .

(٣) المرجع السابق ، ص (٧) .

(٤) المرجع السابق ، ص (٨ - ٢٦) .

وقال عنه محمد بن يسار لما دخل البصرة : "دخل اليوم سيد الفقهاء" ، وقال
بندارا محمد بن بشار : حفاظ الدنيا أربعة وذكر منهم محمد بن إسماعيل البخاري.

وقال محمد بن حاتم الوراق ، سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول :
"ذاكرني أصحاب عمرو بن علي بحديث . فقلت لا أعرفه فسروا بذلك وساروا إلى
عمرو بن علي فقالوا : ذاكرنا محمد ابن إسماعيل البخاري بحديث فلم يعرفه . فقال
عمرو بن علي : حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث ."

وعن محمد بن أبي حاتم الوراق قال سمعت محمد بن قتيبة قريب أبي عبد الله
محمد بن إسماعيل يقول : "كنت عند أبي عاصم النبيل فرأيت عنده غلاماً فقلت له :
من أين أنت ؟ قال من بخاري . قلت : ابن من ؟ فقال : ابن إسماعيل . فقلت أنت
قرايتي فعانقته فقال لي رجل في مجلس أبي عاصم : هذا غلام يناطح الكباش" .

وقال أبا معشر حمدوية بن الخطاب يقول : "لما قدم أبو عبد الله محمد بن
إسماعيل من العراق قدمته الأخيرة وتلقاه من الناس و ازدحموا عليه بالغوا في بره
فقيل له في ذلك وفيما كان من كرامة الناس وبرهم له ، فقال فكيف لو رأيتم يوم
دخولنا البصرة" .

وقال حاشد بن عبد الله : "قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني : محمد
بن إسماعيل أفتق عندنا وأبصر من ابن حنبل . فقال له رجل من جلسائه : جاوزت
الحد فقال أبو مصعب : لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل
لقلت : كلاهما واحد في الفقه والحديث" .

وقال عنه محمود بن النظر أبا سهل الشافعي : "دخلت البصرة ، والشام ،
والحجاز ، والكوفة ، ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على
أنفسهم" .

وقال احمد بن حنبل سمعت أبي يقول : انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان
، وذكر منهم البخاري .

وقال يحيى بن جعفر: " لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت ، فإن موتى يكون موت رجل واحد ، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم".

وقال أيضاً: "لم أر أحداً بالعراق ولا بخرسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل".

وكان العلماء لشدة تمكنه من الحديث يهابون من التحديث بحضرته ، يقول أبا عمر الخفاف: "لو دخل محمد بن إسماعيل البخاري من هذا الباب لمئنت منه رعباً - يعني أنني لا أقدر أن أحدث بين يديه". (١) .

يقول السبكي (٢): " قال بعضهم كنت عند محمد بن سلام البيكندي فدخل محمد بن إسماعيل فلما خرج ، قال محمد بن سلام كلما دخل هذا الصبي تحيرت والتبس علي أمر الحديث ولا أزال خائفاً ما لم يخرج".

وقال أبو أحمد الحاكم : كان البخاري أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه ولو قلت أنني لم أرى تصنيف أحد يشبه تصنيفه في المبالغة والحسن لرجوت أن أكون صادقاً.

وقال أبو إبراهيم الخواص : رأيت أبا زرعة كالصبي جالسا بين يدي محمد بن إسماعيل يسأله عن علل الحديث .

"وقد كان البخاري وإسحاق يوماً يشيعان جنازة في نيسابور وكان أهل المعرفة ينظرون ويقولون محمد أفقه من إسحاق".

وقد عجز رفاقه عن مجاراته أو التفوق عليه ، " قال الفضل بن العباس الرازي : رجعت مع محمد بن إسماعيل مرحلة وجهدت الجهد على أن أجيء بحديث لا يعرفه فما أمكنني وأنا اغرب على أبا زرعة عدد شعر رأسه " (٣).

(١) المرجع السابق ، ص (٢٨) .

(٢) السبكي : " طبقات الشافعية الكبرى " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٧ - ٨) .

(٣) العسقلاني ، احمد بن علي : تهذيب التهذيب ، ط ١ ، دائرة المعارف النظامية ، الهند ، ١٣٢٦ هـ ، ج ٩ ، ص (٥١) .

شيوخه:

لكثرة رحلاته العلمية أخذ الإمام البخاري عن أكثر من ألف شيخ كما تقدم ، وقد كان يتخير شيوخه فلا يأخذ إلا ممن سلم اعتقاده يقول : " لم أكتب إلا ممن قال أن الإيمان قول وعمل" (١) .

وذلك إنما يدل على منهج تربوي فريد فقد أدرك الإمام البخاري اثر تعميق الجانب الإيماني الصحيح على السلوك الخُلقي، فمن كان إيمانه صحيحا راسخا في نفسه ابتعد عن كل إنحراف خُلقي .

وقد حصر ابن حجر شيوخه ورتبهم على خمس طبقات كما يلي : (٢)

الطبقة الأولى : من حدثه عن التابعين مثل محمد بن عبدالله الأنصاري حدثه عن حميد ومثل مكى بن إبراهيم حدثه عن يزيد بن أبي عبيد ، ومثل أبي عاصم حدثه عن يزيد بن أبي عبيد أيضا ومثل عبيدا لله بن موسى حدثه عن إسماعيل بن أبي خالد ومثل أبي نعيم حدثه الأعمش ومثل خالد بن يحيى حدثه عن عيسى بن طهمان ومثل علي بن عياش وعصام بن خالد حدثاه عن حريز بن عثمان وشيوخ هؤلاء كلهم من التابعين .

الطبقة الثانية : من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين كأدم بن أبي إياس وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر وسعيد بن أبي مريم وأيوب بن سليمان بن بلال وأمثالهم .

الطبقة الثالثة : هي الوسطى من مشايخه وهم من لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار تبع الأتباع كسليمان بن حرب وقتيبة بن سعيد ونعيم حماد وعلى بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهوية وأبي بكر وعثمان ابني شيبه وأمثال هؤلاء وهذه الطبقة قد شاركه مسلم في الأخذ عنهم .

(١) العسقلاني ، "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (٦٧٠) .

(٢) المرجع السابق ، ص (٦٧٠ - ٦٧١) .

الطبقة الرابعة : رفقائه في الطلب ومن سمع قليلا كمحمد بن يحيى الذهلي وأبي حاتم الرازي ومحمد بن عبدلرحيم صاعقة وعبد بن حميد وأحمد بن النضر وجماعة من نظرائهم وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاتته عن مشايخه أو ما لم يجده عند غيرهم .

الطبقة الخامسة : قوم في عداد طلبته في السن والإسناد سمع منهم للفائدة كعبد الله بن حماد الأملي وعبدالله بن أبي العاص الخوارزمي وحسين بن محمد القباني وغيرهم ، وقد روى عنهم أشياء يسيرة وعمل في الرواية عنهم بما روى عثمان بن أبي شيبة عن وكيع قال : لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عن هو فوجه وعمن هو مثله وعمن هو دونه ، وعن البخاري أنه قال : لا يكون المحدث كاملاً حتى يكتب عن هو فوجه وعمن هو مثله وعمن هو دونه .

تلاميذه:

نفع الإمام البخاري وعلا صيته فجلس لتحديث والإملاء منذ وقت مبكر فكثر بذلك تلاميذه الذين أخذوا عنه ، وقد ذكر أبي يعلى في الطبقات أنه سمع كتابه " الصحيح " تسعون ألف رجل . (١)

وربما ذكر هذا العدد على سبيل الكثرة لا الحصر .

وقد روى عنه خلق كثير منهم مسلم ، والترمذي ، وعند البعض النسائي ، و أبو زرعة ، أبو حاتم ، وأبن خزيمة ، وأبو العباس السراج ، ابن قريش محمد بن جمعة ، ويحيى بن محمد بن صاعد ، وأبو حامد بن الشرفي ، وغيرهم (٢).

(١) أبي يعلى : "طبقات الحنابلة" ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢٥٠)
(٢) السبكي : "طبقات الشافعية الكبرى" ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٤) ، وللمزيد عن تلاميذه راجع ابن كثير : "البداية والنهاية" ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص (٢٥) ، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن : طبقات الحفاظ ، تحقيق : علي محمد عمر ، ط ١ ، مكتبة الاستقلال ، مصر القاهرة ، ١٣٩٣هـ ، ص (٢٧١) ، القسطلاني : "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣٣) .

" وذكر اغلب المؤرخين أن آخر من حدث عنه الجامع الصحيح منصور البردي ، فقد قال الخطيب : " و آخر من حدث عنه أبو طلحة بن منصور بن محمد على البزدوي النسفي ، وقد توفي النسفي هذا في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، ووثقه الأمير ابن ماكولا " . (١)

رحلاته العلمية:

تلقى الإمام البخاري علمه من خلال لقاءه المباشر بشيوخه وما كان ليتم له ذلك إلا من خلال الرحلة في طلب العلم التي تعد من الوسائل التعليمية الفعالة ، قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ . وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَقَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » (٣).

و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : " و الله الذي لا إله إلا هو ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أعلم فيمن أنزلت ، ولو أعلم أحد أعلم مني بكتاب الله تبلغه الأبل لركبت إليه " (٤) .

(١) الخطيب البغدادي : " تاريخ بغداد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢٥) ، و ابن كثير : " البداية والنهاية " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص (٢٥) ، و السبكي : " طبقات الشافعية الكبرى " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٤) ، و السيوطي : " طبقات الحفاظ " ، مرجع سابق ، ص (٢٧١) ، و القسطلاني : " إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣٣) .
(٢) سورة التوبة : الآية (١٢٢) .

(٣) النووي ، محي الدين أبو زكريا الحزامي الشافعي : صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الطباعة المصرية ، مصر (د.ت) ، ج ١٧ ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، ص (٢١) .

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ص (٥٨٨٩) .

فقد عرف الصحابة ومن بعدهم من العلماء الرحلة في طلب العلم ومنهم جابر بن عبد الله الذي سار لمدة شهر إلى الشام لسماع حديث لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجده عند عبد بن أنيس الأنصاري أحد الصحابة كان قد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم . (١)

فلقاء الإمام البخاري رحمه الله لشيخه مباشرة من خلال رحلاته ساعده على التحصيل العلمي بالإضافة إلى الأثر التربوي الذي تركته على سلوكه من خلال مخالطته لكبار علماء عصره في مختلف البلدان.

فالرحلة في طلب العلم تعد وسيلة تربوية فعالة ، فمن فوائدها التربوية ما يلي : (٢)

١- التمكن من الجوانب العلمية :

فلم يتمكن الإمام البخاري من التميز بين الصحيح وغير إلا من خلال مخالطته لرواته ومشائخ عصره في مختلف الأمصار ومعرفة أحوالهم ، مما أكسبه مهارة وقدرة فائقة فاقت أقرانه وشيوخه في معرفة الحديث ، : " فالرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في طلب العلم وحصول الملكات عن المباشرة والتلقي أشد استحكاما وأقوى رسوخا ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها" (٣)

٢- اكتساب الأخلاق الفاضلة :

يقول ابن خلدون : " إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلما ولقاء ، وتارة محاكاة وتلقيا " (٤) .

فمن خلال عرضنا لسيرة الإمام البخاري وجوانب شخصيته اتسمت بفضائل

(١) الخطيب البغدادي ، أبي بكر احمد بن علي : الرحلة في طلب الحديث ، تحقيق : نور الدين عتر ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ١٣٩٥هـ ، ص (١١٠) .

(٢) المرجع السابق ، مقدمة المحقق ، ص (٢٤) .

(٣) ابن خلدون : " المقدمة " ، مرجع سابق ، ص (٥٠٩) .

(٤) المرجع السابق .

الأخلاق فهذا ما كان علماء السلف يجنونونه من الرحلة في طلب العلم ، فمن خلال كثرة مخالطتهم لشييوخهم اكتسبوا منهم فضائل الأخلاق عن طريق القدوة ، فكان العلماء الأوائل مربيين قبل أن يكونوا معلمين ، ولم يكن ليحصل لهم العلم ما لم يعملوا به ، يقول العلماء " ثمرة العلم العمل به " (١) وبالإضافة إلى ذلك يكتسب الطالب في رحلته أخلاق وفضائل من خلال السفر والتنقل وما يتكبده من تعب ومشقة وبعد عن الوطن والأهل مثل الصبر .

٣- اتساع الثقافة :

إن الطالب في رحلته يتنقل في مختلف الأمصار فيلتقي بشيوخ لهم معارف مختلفة وكذا مدن لها ثقافات مختلفة ، وهذا ما تميز به الإمام البخاري فقد برع في التاريخ والفقهاء بالإضافة لعلوم الحديث .

٤- اتساع العلاقات الاجتماعية :

فالرحلة تكسب الشخص علاقات اجتماعية متعددة ، فخلال رحلته سيواجه شخصيات مختلفة و يتعرض لتجارب ومواقف متعددة مما يكسبه فن التعامل مع الآخرين، وهذا ما ظهر جليا في سيرة الإمام البخاري التي اتضح من خلالها محبة الناس له وتعظيمه وتوقيره.

و الإمام البخاري من خلال رحلته في طلب العلم جنى الكثير من الفوائد العلمية والتربوية فيما يلي نتعرض لرحلة البخاري العلمية :

فقد رحل الإمام البخاري إلى مختلف الأمصار لسماع الأحاديث من في روايتها ، وكانت بداية رحلته رحمه الله سنة عشر ومائتين للهجرة أي كان عمره ستة عشر عاماً فبعد أن سمع من مشايخ بلده محمد بن سلام البيهقي و عبد الله ابن محمد المسندي ومحمد بن عرعرة وهرون بن الأشعث ... (٢).

(١) الماوردي ، أبي بكر محمد عبيدان ابن سفيان : أدب الدنيا والدين ، تحقيق وتعليق مصطفى السقا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ت) ، ص (٨٥).

(٢) القسطلاني : " إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٢٧).

فبدأ الإمام البخاري في رحلة التي كانت أولها الرحلة إلى مكة المكرمة ، فقد قال عن نفسه كما جاء في مقدمة الفتح لابن حجر : " ... فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء يعني أصحاب الرأي قال : ثم خرجت مع أمي وأخي إلى الحج " .

قال ابن حجر: " فكان أول رحلته أول هذا سنة عشر ومائتين ولو رحل أول ما طلب لأدرك ما أدركته أقرانه من طبقة عالية ما أدركها وإن كان أدرك ما قاربها " (١).

ورحل إلى المدينة المنورة ، يقول : " فلما طعنت في ثماني عشرة صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ في المدينة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وكنت أكتبه في الليالي المقمرة ، وقلّ اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أنني كرهت أن يطول الكتاب " .

وقال أيضاً : " دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين وإلى البصرة أربع مرات وأقمت بالحجاز ستة أعوام ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين " . (٢)

وتحدث الذهبي (٣) و القسطلاني (٤) عن رحلاته وشيوخه الذين سمع منهم في كل بلد فذكروا انه : سمع ببلخ من مكي بن إبراهيم ويحيى ابن بشر الزاهد وقتيبة وجماعة ، وسمع بمرور من علي بن شقيق وعبدان ومعاذ بن أسد وصدقة بن الفضل وجماعة ، وسمع ببنيسابور من يحيى بن يحيى ، وبالري من إبراهيم بن موسى الحافظ وغيره ، وببغداد من محمد بن عيسى بن الطباع وطائفة ، وقال دخلت على معلي بن منصور ببغداد سنة عشر ومائتين ، وسمع بالبصرة من أبي عاصم النبيل وبديل بن المحبر ومحمد بن عبد الله الأنصاري ، وبالكوفة من عبيد الله بن موسى أبي نعيم

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (٦٦٩) ٦٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، المقدمة ، ص (٦٧٠) .

(٣) الذهبي : " تذكرة الحفاظ " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٥٥٥) .

(٤) القسطلاني : " إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣٢) .

وطلق بن غنام والحسن بن عطية، وبمكة من أبي عبدالرحمن المقرئ والحميدي وأحمد بن محمد الأزرقى وجماعة ، وبالمدينة من عبدالعزيز الأويسى ومطرف بن عبدالله ، وبدمشق من أبي مسهر ، وبقيسارية من محمد بن يوسف الفريابي ، وبعسقلان من آدم بن أبي اياس ، وبحمص من أبي المغيرة وأبي اليمان وعلي بن عياش .

وقد ذاع صيته وشهرته وأرتفع علمه وقدره وكان يلقي في كل بلد يزوره

لطلب الحديث الحفاوة والتكريم والإقبال الشديد من الناس وطلبة العلم والعلماء يقول ابن كثير:

" وقد كان الناس يعظمونه جداً ، وحين رجع إليهم نثروا على رأسه الذهب والفضة يوم دخل بخارى عائداً إلى أهله " (١).

مؤلفاته: (٢)

ذكر ابن حجر أن للإمام البخارى تصانيف مروية بالسماع و الإجازة وهي كما

يلي:

- الأدب المفرد .

- رفع اليدين في الصلاة .

- القراءة خلف الإمام .

- بر الوالدين .

- التاريخ الكبير .

- التاريخ الأوسط .

- التاريخ الصغير .

(١) ابن كثير: " البداية والنهاية "، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص (٢٧)

(٢) العسقلاني: " فتح الباري شرح صحيح البخارى "، مرجع سابق، المقدمة ، ص (٦٨٦ - ٦٨٧).

- خلق أفعال العباد .

- كتاب الضعفاء .

وللبخاري أيضاً تصانيف ذكرها العلماء :

- الجامع الكبير .

- المسند الكبير .

- التفسير الكبير .

- كتاب الأشربة .

- كتاب الهبة .

- أسامي الصحابة .

- كتاب المبسوط .

- كتاب العلل .

- كتاب الكنى .

- كتاب الفوائد .

المبحث الثاني

التعريف بصحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى

تمهيد :

لقد وصل إلينا مما دون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم بعض الصحائف والنسخ الحديثية التي دونها بعض الصحابة رضي الله عنهم والتي من أشهرها " الصحيفة الصادقة " صحيفة عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما وصحيفة ابن عباس رضي الله عنه وغيرها ، فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة شيء مع القرآن ولكنه لم يمنع الصحابة من تدوين أحاديث ، لذا لم نجد تدوين الحديث في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده بالشكل الذي كان عليه في آخر عصر التابعين ومن بعدهم ، وذلك لسببين :

١- نهى النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة عن الكتابة ، لكي لا يختلط القرآن بالسنة ، في بداية نزوله .

٢- لسعة حفظ الصحابة وسيلان أذهانهم ، و لأن كثير منهم لا يعرفون الكتابة .^(١)

وفي بداية القرن الثاني الهجري اتسع تدوين الحديث حيث كثرت الأجزاء والصحف والنسخ الحديثية ، وفي أواخر عهد التابعين صنفت الأحاديث وتبته على الأبواب ، بسبب : انتشار العلماء من الصحابة في مختلف الأمصار ، و انتشار البدع والفرق الضالة ، فصنفت على الأبواب ، ثم دونت الأحكام فظهر موطأ مالك وغيره ، وعلى رأس المأتين ظهرت المسانيد التي أفردت الأحاديث النبوية على حده مثل مسند أحمد بن حنبل ، وأبي شيبة^(٢) ، فلما رأى الإمام البخاري هذه المصنفات ، وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت الصحيح والحسن والكثير منها يشمل الضعيف ، لذا حرك همته لجمع الحديث الصحيح .

(١) القطان ، مناع : التشريع والفقہ في الإسلام تاريخاً ومنهجاً ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢ هـ ، ص (٩٣-٩٧) .

(٢) المرجع السابق ، ص (٢٢١-٢٢٤) .

فألف الإمام البخاري كتابه الجامع الصحيح الذي يعد أول مصنف في الأحاديث الصحيحة المجردة يقول الإمام البخاري: " ما أدخلت في كتابي إلا ما صح ... " (١).

وعن محمد بن يوسف الشافعي قال: " أول من صنف في الصحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل وتلاه أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري ... وكتابهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى ... " (٢).

أسم الكتاب :

سمي كتاب الإمام البخاري : " الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه " كما ذكر ابن حجر في مقدمة الفتح (٣).

وقد أشتهر الكتاب باسم صحيح البخاري .

الباعث على تأليفه :

ويمكن أن نلخص الباعث على تأليفه في الأسباب التالية :

١- إشارة أستاذه في الحديث والفقہ إسحاق ابن راهوية بجمع الصحيح المجرد عن غيره في مصنف واحد ، فالكتاب كان مجرد فكرة من أستاذا الإمام البخاري تحققت على يده ، وهذا شأن طلبة العلم نوي الهمم العالية ، ودور المربي الكبير في استحثاث و إعلاء همة تلاميذه ، يقول الإمام البخاري في ذلك : " كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله عليه وسلم ، فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح " (٤).

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، المقدمة، ص(٩)
(٢) المرجع السابق، ص(١٢)
(٣) المرجع السابق، ص(١٠).
(٤) المرجع السابق، ص(٩).

٢- تجريد الأحاديث الصحيحة عن غيرها وجعلها في مصنف واحد كي يسهل على طلبة العلم الحصول على الحديث الصحيح ، فهو يعد مصدرا علميا موثوقا لطلبة العلم .

٣- وزاد من عزم الإمام البخاري على تأليف كتابه الرؤيا التي رآها حيث يقول : " رأيت النبي صلى الله عليه وسلم و كأنني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب بها عنه فسألت بعض المعبرين فقال لي أنت تذب الكذب عنه ، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح " (١).

٤- يعد كتاب الإمام البخاري مرجعا لاستنباط الأحكام ، فكان من ضمن مقصده في تأليف الكتاب استنباط الأحكام من الأحاديث ، فيقال : " فقه البخاري في تراجمه " ، يقول ابن حجر : " ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط ، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أوردها ، ولهذا المعنى أخلى كثير من الأبواب عن إسناد الحديث واقتصر بقوله " عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم " أو نحو ذلك لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها و أشار إلى الحديث لكونه معلوما ... " (٢)

مدة ومكان تأليفه :

يقول الإمام البخاري عن تصنيفه لكتابه : " صنفت كتابي الصحاح لست عشر سنة خرجته من ستمائة ألف حديث ، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله " (٣).

وقد اختلف في مكان تصنيفه ف قيل في مكة ، فروي عنه أنه قال : " صنفت كتابي الجامع في المسجد الحرام ... " ، وقيل في المدينة فعن عبد القدوس بن همام قال :

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق ، ص (١٠) .

(٣) الخطيب : " تاريخ بغداد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٤) .

سمعت عدة مشايخ يقولون : " حول محمد بن إسماعيل البخاري تراجم جامعة بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره ... " (١).

وقد جمع ابن حجر هذا التعارض فقال : " أنه ابتداء تصنيفه وترتيبه وأبوابه في المسجد الحرام ، ثم كان يخرج الأحاديث بعد ذلك في بلده وغيرها ، ويدل عليه قوله : أنه أقام فيه ست عشرة سنة ، فإنه لم يجاور بمكة هذه المدة كلها ، وقد روى ابن عدي عن جماعة من المشايخ : أن البخاري حول محمد بن إسماعيل البخاري تراجم جامعة بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره ، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين .

قلت - أي الحافظ - : ولا ينافي هذا أيضا ما تقدم ، لأنه يحمل على أنه في الأول كتبه في المسودة ، وهنا حوله إلى المبيضة " (٢) .

فضله ومكانته :

يعتبر صحيح الإمام البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى ، يقول ابن كثير : " أجمع العلماء على قبوله وصحته ، وكذلك سائر أهل الإسلام " (٣) .

فقد اجمع الجمهور على أن صحيح الإمام البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى قال العقيلي : لما ألف البخاري كتاب الصحيح عرضه على أحمد بن حنبل ويحي بن معين وعلي بن المدني وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث ، قال العقيلي : والقول فيها قول البخاري وهو صحيح " (٤) .

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (٦٨٣) .

(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (٦٨٣) .

(٣) ابن كثير : " البداية والنهاية " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص (٢٤ - ٢٥) ، وراجع : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : تدريب الراوي في شرح تقريب النووي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ ، ج ١ ، ص (٨٨ - ١٠٢) . و العرافي ، زين الدين عبد الرحمن بن الحسين : التقيد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر العربي ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، ص (٢٥ - ٢٦) .

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (٦٨٤) .

فصحيح الإمام البخاري مقدم على الكتب الستة والقول الصحيح انه مقدم على مسلم لما تميز به من المميزات التالية (١):

١- قلة من انفرد الإمام البخاري بالتخريج لهم ممن تكلم فيهم ، والذين تكلم فيهم ممن أخرج لهم هم ممن جالسهم وعرف أحوالهم ، بخلاف مسلم .

٢- قلة الأحاديث المنتقدة على الإمام البخاري بالنسبة لما انتقد على مسلم .

٣- أن الإمام البخاري يخرج عن الطبقة الأولى أصولاً ، وعن الثانية اتصالاً أو تعليقاً ، بينما مسلم يخرج للطبقة الثانية أصولاً. لذا نجد البعض قدم موطأ مالك اعتماداً على قول الشافعي " ما في الأرض كتاب العلم أكثر صواباً من كتاب مالك وقد أجاب ابن حجر من ذلك كما في المقدمة " بأن ذلك محمول على أصل اشتراط الصحة فمالك لا يرى الانقطاع في الإسناد قادحاً فلذلك يخرج المراسيل والمنقطعات والبلاغات في أصل موضوع كتابه ، والبخاري يرى أن الانقطاع علة فلا يخرج ما هذا سبيله إلا في غير أصل موضوع كتابه ، كالتعليقات والتراجم ، ولا شك أن المنقطع وإن كان عند قوم من قبيل ما يحتج به فالمتصل أقوى منه إذا اشترك كل من رواتهما في العدالة والحفظ فبان بذلك شرف كتاب البخاري ، وعلم أن الشافعي إنما أطلق على الموطأ أفضلية الصحة بالنسبة إلى الجوامع الموجودة في زمنه : كجامع سفيان الثوري ومصنف حماد بن سلمة وغير ذلك " (٢).

٤- أن شرط الإمام البخاري أضييق من شرط مسلم ، فالبخاري اشترط اللقاء بالراوي ومسلم اشترط فقط المعاصرة .

(١) المرجع السابق ، ص (١٢ - ١٣) .

(٢) المرجع السابق ، ص (١٣) .

٥- أن الإمام البخاري إمام مسلم ، وأعلم منه بصناعة الحديث . وقد رد الإسماعيلي على من قدم مسلم على الإمام البخاري بقوله: " أما بعد فإني نظرت في كتاب الجامع الذي ألفه أبو عبد الله البخاري ، فرأيتُه جامعاً كما سمي لكثير من السنن الصحيحة ، ودالاً على جمل من المعاني الحسنة المستتبطة التي لا يكمل لمثلها إلا من جمع إلى معرفة الحديث ونقلته والعلم بالراويات وعللها علماً بالفقه واللغة وتمكناً منها كلها وتبحراً فيها ، وكان رحمه الله الرجل الذي قصر زمانه على ذلك فبرع وبلغ الغية فحاز سبق ، وجمع إلى ذلك حسن النية والقصد للخير فنفعه الله ونفع به ، وقد نحا نحوه في التصنيف جماعة منهم الحسن بن علي الحلواني لكنه اقتصر على السنن ، ومنهم أبو داود السجستاني وكان في عصر أبي عبد الله البخاري فسلك فيما سماه سنناً ذكر ما روى في الشيء و إن كان في السند ضعف إذا لم يجد في الباب غيره ومنهم مسلم بن الحجاج وكان يقاربه في العصر فرام مرامه وكان يأخذ عنه أو عن كتبه إلا أنه لم يضايق نفسه مضايقة أبي عبد الله ، وروى عن جماعة كثيرة لم يتعرض أبو عبد الله للرواية عنهم وكل قصد الخير ... " (١).

وروي أن مسلم جاء إلى الإمام البخاري يوماً ، وقبل ما بين عينيه وقال : " دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين ، وطيب الحديث في عله " (٢).
" وقال الدارقطني : " لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا جاء " ، وقال مرة أخرى : " و أي شيء صنع مسلم إنما أخذ كتاب البخاري فعمل عليه مستخرجا وزاد في زيادات " (٣).

٦- أن الصفات التي تدور عليها الصحة في البخاري أتم منها في مسلم و أشد .

٧- أن الإمام البخاري هو أول من صنف في الحديث الصحيح المجرد .

(١) المرجع السابق ، ص (١٣-١٤) .
(٢) أبي يعلى : " طبقات الحنابلة " ، مرجع سابق ، ص (٢٤٨) .
(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (١٤) .

٨-الجهة العظمى الموجبة لتقدمه هي ما ضمنه أبواب من التراجم التي حيرت الأفكار و أدهشت العقول والأبصار ، وإنما بلغت هذه الرتبة وفازت بهذه الخطوة لسبب عظيم أوجبه عظمها ، وهو ما رواه أبو أحمد بن عدي عن عبد القدوس بن همام قال شهدت عدة مشايخ يقولون : " حول البخاري تراجم جامعه - يعني بيضاها - بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين " .

ويقول الإسماعيلي : غير أن أحد منهم - أي أصحاب كتب السنة - لم يبلغ في التشديد مبلغ أبي عبد الله ولا تسبب إلى استنباط المعاني واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ما له صلة بالحديث المروي فيه تسببه ، والله الفضل يختص به من يشاء.

وفي فضل صحيح الإمام البخاري يقول محمد بن أبي جمره في اختصاره للبخاري : " قال لي من لقيته من العارفين عن لقي من السادة المقر لهم بالفضل أن صحيح البخاري ما قرئ في شدة إلا فرجت ولا ركب به في مركب فغرق ، قال : وكان مجاب الدعوة وقد دعا لقارئه رحمه الله تعالى (١).

وبالإضافة إلى ما سبق من فضل ومكانة لكتاب الإمام البخاري فالمتتبع لأبوابه ليجدها منها متكاملا لجميع جوانب حياة الإنسان، سواء ما يتعلق بالفرد أو الأسرة أو المجتمع حيث تضمنت أبوابه أحكام في المعاملات السياسية وأحكام تخص الأسرة ، وأحكام في الآداب المتعلقة بالعلاقات الإنسانية سواء التي تخص المجتمع المسلم أو خارج المجتمع المسلم ، بالإضافة إلى تضمنه لمبادئ تتعلق بالنواحي العلمية ، وكذلك مبادئ تربوية تبصر المتربي والمربي على حد سواء ، فهو الآن يعد مصدرا تربويا عظيماً ننهل منه مبادئ تربوية ، تثبت معجزة السنة النبوية ، وما يزال ولا يزال ثروة فكرية لشتى مجالات حياة المسلم .

(١) المرجع السابق ، ص (١٥ - ١٦).

منهجه :

يقول الإمام البخاري : " أخرجت هذا الكتاب - يعني الصحيح - من زهاء ستمائة ألف حديث " (١)

اتبع الإمام البخاري في تصنيفه لكتابه منهجاً فريداً حير الأفكار ، وهذا المنهج يتضح من خلال الهدف الأساسي من تصنيفه لكتابه فلم يهدف فقط إلى جمع الأحاديث ، حيث لم يشترط ذلك يقول : " لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحاً ، وما تركت من الصحيح كثير " (٢)

و إنما كان هدفه الأساسي من تصنيفه للكتاب هو استنباط الأحكام الفقهية من الأحاديث الصحيحة والاستدلال بها عليها .

يقول ابن حجر : " ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط ، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أوردها ، ولهذا المعنى أخلى كثير من الأبواب عن إسناد الحديث واقتصر بقوله " عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم " أو نحو ذلك لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها و أشار إلى الحديث لكونه معلوماً ... " (٣)

لذا نجد الإمام البخاري قسم كتابه إلى تراجم على حسب أبواب الفقه : الوضوء ، الصلاة، الصيام وهكذا .

وهناك مقولة مشهورة بين العلماء وهي : " فقه البخاري في تراجمه " .

وتراجم أبواب الإمام البخاري حوت ما يناسبها من ؛ آية أو حديث أو فتاوى للصحابة والتابعين ومن بعدهم .

والأحاديث التي وضعها الإمام البخاري في تراجم أبواب كتابه على أطوار :

- (١) أبي يعلى : " طبقات الحنابلة " ، مرجع سابق ، ص (٢٥٢) .
- (٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (٩) .
- (٣) المرجع السابق ، ص (١٠) .

- أحاديث توافق شرطه تناسب الباب .

- أحاديث لا توافق شرطه ، وضعها معلقة : أي حذف من الإسناد راو فأكثر ، و إن لم يجد ما يناسب الباب من أحاديث صحيحة على شرطه أو شرط غيره ، وكان مما يستأنس به ويقدمه على القياس استعمل لفظ ذلك الحديث أو معناه ترجمة ، ثم أورد في ذلك الباب إما آية أو حديث يشهد ويؤيد ما دل عليه ذلك الحديث .

وبسبب النوعين الأول والثاني انتقد بعض العلماء منهم أبو الحسن الدارقطني كتاب الإمام البخاري ولكن رد عليهم ابن حجر ، حيث افرد في ذلك فصلا في المقدمة خاص بالرد عليهم (١).

كذلك نرى أن مما يتعلق بمنهج الإمام البخاري هو تكرار الأحاديث ، ويهدف الإمام البخاري من خلال تكرار أحاديثه إلى انه قد يتضمن الحديث أكثر من حكم فيستدل به في أكثر من موضع ، وقلما يكرره بنفس الإسناد و قد جعله تارة ترجمة وتارة يستدل به على الترجمة، وقد ذكر ابن حجر عدد من أغراض البخاري في تكرار أحاديثه (٢).

كذا من الملاحظ على كتاب الإمام البخاري تقطيعه للأحاديث ، أي يوزع الحديث في أكثر من باب أو يقتصر فيه على بعضه وذلك لتضمنه أكثر من حكم فيورد كل جزء منه تحت الباب الذي يناسبه .

عدد أحاديثه :

يقول ابن حجر : " قال الشيخ تقي الدين ابن الصلاح فيما روينا عنه في علوم الحديث : " عدد صحيح البخاري سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون بالأحاديث المكررة قال ، وقيل بإسقاط المكررة أربعة آلاف ... " (٣).

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، المقدمة ، ص (٥٠٥)

(٢) المرجع السابق ، ص (١٩ - ٢١) .

(٣) المرجع السابق ، ص (٦٥٤) .

شرطه :

يقول ابن حجر شرط الإمام البخاري : " أن يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الإثبات ويكون إسناده متصل غير مقطوع، وإن كان لصحابي راويان فصاعداً فحسن و إن لم يكن إلا راو واحد صح الطريق إليه كفى ... " ثم قال : " إن شرط الصحيح أن يكون إسناده متصلاً ، وإن يكون راويه مسلماً صادقاً غير مدلس ولا مختلط ، متصفاً بصفات العدالة متحفظاً سليم الذهن قليل الوهم سليم الاعتقاد " (١).

شروحه :

ولصحيح الإمام البخاري شروح كثيرة ذكرها صاحب كتاب (كشف الظنون) وهي تبلغ اثنين وثمانين شرحاً ، ولكن أفضلها شرح ابن حجر العسقلاني المسمى (فتح الباري) ، يليه شرح القسطلاني المسمى (إرشاد الساري) ثم شرح العيني المسمى (عمدة القاري) (٢).

وهكذا تمت الإجابة على السؤال الأول من البحث من خلال هذا الفصل وهو :

ما مكانة الإمام البخاري رحمه الله تعالى وصحيحة من السنة ؟

ويُعد هذا الفصل الثاني من الدراسة عن الإمام البخاري وصحيحه هو من مقتضيات موضوع الدراسة المتمثل في المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى ، وذلك ليكون هذا العلم ممن يقتدي به طلاب العلم بعد الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أن التعريف بكتابه وطريقته في التصنيف يُستفاد منه في الفكر والمنهج حيث يظهر في أحاديثه تكرار الأحاديث الشريفة وكأنها تمثل دوائر معرفية تدل على عدة معان عند تكرارها في أبواب الكتاب .

(١) المرجع السابق ، ص (١١) .

(٢) الصالح ، صبحي : علوم الحديث ومصطلحاته عرض ودراسة ، ط ١٢ ، دار العلم للملايين ، لبنان ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص (٣٩٧) .

الفصل الثالث

المبادئ التربوية المتضمنة في (كتاب الأدب) من صحيح الإمام
البخاري

مخطط الفصل :

- المبحث الأول : مبدأ بر الوالدين .
- المبحث الثاني : مبدأ بر الأولاد .
- المبحث الثالث : مبدأ صلة الرحم .
- المبحث الرابع : مبدأ الوصاة بالجار .
- المبحث الخامس : مبدأ إكرام الضيف .
- المبحث السادس : مبدأ الحياء .
- المبحث السابع : مبدأ الرحمة .
- المبحث الثامن : مبدأ الحلم .
- المبحث التاسع : مبدأ التواضع .
- المبحث العاشر : مبدأ حفظ اللسان .

الفصل الثالث

المبادئ التربوية المتضمنة في (كتاب الأدب) من صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى

وبعد التعريف بالبخاري وصحيحه ومدى القيمة العلمية لهذا الإمام الجليل وصحيحه، نحاول في هذا الفصل التعريف بقيمة صحيح البخاري التربوية من خلال كتاب الأدب ، فصحيح البخاري يعد ثروة تربوية عظيمة نحاول إلقاء الضوء على بعض منها في هذا البحث .

وقد تضمن صحيح البخاري في كتاب الأدب عدد من المبادئ التربوية التي تتعلق بتنظيم العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع المسلم ، فنظمت لنا السنة النبوية مجموعة من الحلقات الاجتماعية التي صاغتها بطريقة فريدة تساعد على متانة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع ، فبدأت من داخل المجتمع وأساسه وهي الأسرة ومنها انطلقت إلى الخارج ، وفي هذا الفصل سنلقي الضوء على بعض هذه المبادئ التربوية ومكانتها في التربية الإسلامية ، وفق المباحث التالية :

المبحث الأول

مبدأ بر الوالدين

قال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَنْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾^(١)

وعن ابن عمر رضي الله عنه ، قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أيُّ العمل أحبُّ إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أيُّ؟ قال: ثم يرُّ

(١) سورة الأحقاف : الآية (١٥ - ١٦) .

الوالدين. قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله - قال: حدّثني بهنّ، ولو استزددته لزادني». (١)

فبر الوالدين مبدأ ثابت بنصوص الكتاب والسنة ، وهذا المبدأ هو أكد الحقوق بعد حق الله تعالى و أول حقوق المخلوقين على المخلوقين ، فهو أولى الحلقات الاجتماعية التي صاغتها التربية الإسلامية ، للحفاظ على متانة الصلات الاجتماعية داخل المجتمع المسلم.

مفهوم مبدأ بر الوالدين

ولبيان مفهوم بر الوالدين لابد أن نوضح معنى الشق الأول منه (البر) ثم شقّه الآخر (الوالدين):

البر :

لغة: أصل الكلمة " البر " ، قال تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ ...﴾ . (٢) وهي ترجع إلى مادة " ب ر ر " والجمع أبرار وبرره ، والبر يأتي بمعان مختلفة منها الطاعة ، والصدقة ، والتقوى ، والشفقة ، والبر ضد العقوق . (٣)

فالبر في اللغة هو الصلة والخير والاتساع في الإحسان . (٤)

(١) العسقلاني ، : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب البر والصلة ، رقم الحديث (٥٩٧٠) ، ص (٧١٥٩) .

(٢) سورة البقرة : الآية (١٧٧)

(٣) ابن منظور : " لسان العرب " ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص (١١٥ - ٥٥٩) .

(٤) الفيروز آبادي : " القاموس المحيط " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣٧٠) .

اصطلاحاً: اختلف العلماء في تفسير معنى البر :

قال ابن منظور : لا اعلم تفسير اجمع من انه بمعنى الخير لأنه يحيط بجميع ما قالوا... (١)

قال الراغب : البر التوسع في فعل الخير . (٢)

وقال النووي : البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق . (٣)

أنواع البر :

البر نوعان : صلة ومعروف .

أما الصلة : فهي التبرع ببذل المال في الجهات المحدودة لغير عوض مطلوب ، والباعث عليه سماحة النفس وسخاءها ، ويمنع منه شحها وإياؤها ، و يتم هذا النوع بتوسط واعتدال حتى لا يخرج عن القصد منه .

وأما المعروف : فهو يتنوع إلى نوعين قول ، وعمل ، أما القول فهو الكلام الحسن والتودد بجميل القول ، والباعث عليه حسن الخلق ، وهذا إنما يكون بتوسط واعتدال حتى لا يخرج عن معناه، وأما الفعل فهو بذل الجاه والمساعدة بالنفس والمؤنة في النائبة ، والباعث عليه حب الخير وإيثار الصلاح ، وهذا النوع ليس فيه توسط ولا اعتدال بل هو غير محدود لما يعود على صاحبه من جميل الذكر ونفع الغير . (٤)

(١) ابن منظور : " لسان العرب " ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص (١١٦) .

(٢) الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد كيلائي ، ط الأخيرة ، مطبعة محمد مصطفى الألباني ، مصر ، ١٣٨١ هـ ، ص (٤٠) .

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب تفسير البر والإثم ، ص (١١١) .

(٤) الماوردي ، مرجع سابق ، ص (١٨٤)

الوالدين :

لغة: أصل الكلمة ولد ، والولد اسم يجمع الواحد والكثير والذكر والأنثى. قال ابن سيده: ولدته أمه ولادة وإلادة على البدل، فهي والدة على الفعل، ووالد على النسب... والوالد : الأب. والوالدة : الأم، وهما الوالدان... (١)

اصطلاحاً: والمعنى الاصطلاحي قريب من اللغوي ، قال الراغب الأصفهاني : "والأب يقال له والد والأم والدة ويقال لهما والدان ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيْ ﴾ (٢)... (٣)"

مفهوم مبدأ بر الوالدين :

كما سبق في تعريف البر يتضمن الإحسان ، فبر الوالدين : هو الإحسان إليهما (٤) ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٥)

فبر الوالدين باعتبار معنى البر الواسع كما ذكر أهل العلم (٦) ، يتضمن في حق الوالدين :

طاعتها في غير معصية الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ ... وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَالِحُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٧) .

(١) ابن منظور : " لسان العرب " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٤٨٣) .

(٢) سورة إبراهيم : الآية (٤١) .

(٣) الراغب الأصفهاني : " المفردات في غريب القرآن " ، مرجع سابق ، ص (٥٣٢) .

(٤) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب تفسير البر والإثم ، ص (١١١) .

المباركفوري ، أبي العلاء محمد بن عبد الرحمن : تحفة الأحوذى لشرح جامع الترمذي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ ، ج ٦ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في بر الوالدين ، ص (٣) .

(٥) سورة الإسراء : الآية (٢٣)

(٦) النووي : " صحيح مسلم شرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص (١١١) .

(٧) سورة لقمان : الآية (١٥)

وصلتتهما ، عن أسماء ابنة أبي بكر رضي الله عنهما ، قالت: «أتنتني أمي راغبة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم أصلها؟ قال: نعم. قال ابن عيينة: فأنزل الله فيها: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (١) .. (٢)

واللطف بهما قال تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِى صَغِيرًا﴾ (٣) ، وحسن الصحبة والعشرة قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤)

وكل ذلك يتضمن معاملتهما بخلق حسن ، فالبر حسن الخلق كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث : عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمِعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ». (٥)

ومن خلال ما سبق توصل العلماء إلى عدد من التعريفات لمفهوم بر الوالدين واختلفت تعريفاتهم فيما بينها من حيث الشمول والاختصار ، ومنها ما يلي :

يقول الفيروز أبادي : " هو التوسع في الإحسان إليهما والتعطف عليهما والرفق بهما ، والرعاية لأحوالهما ، وعدم الإساءة إليهما وإكرام صديقتهما من بعدهما " . (١)

- (١) سورة الممتحنة : الآية (٨) .
- (٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب صلة الوالد المشرك ، حديث رقم (٥٩٧٨) ، ص (٧١٧٥) .
- (٣) سورة الإسراء : الآية (٢٤) .
- (٤) سورة لقمان : الآية (١٥) .
- (٥) النووي : " صحيح مسلم شرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب تفسير البر والإثم ، ص (١١١) .
- (٦) الفيروز أبادي ، مجد الدين بن يعقوب : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (د . ت) ، ج ٢ ، ص (١٣) .

وعرفه بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا ﴾ . (١) ، منهم :

يقول الطبري في تفسيره:

"هو نظير ما فرض على أمتنا لهما من فعل المعروف لهما والقول الجميل وخفض جناح الذل رحمة بهما والتحنن عليهما ، والرأفة بهما والدعاء بالخير لهما ، وما أشبه ذلك من الأفعال التي ندب الله عباده أن يفعلوا بها " . (٢)

ويقول الرازي :

"اعلم أن الإحسان إلى الوالدين هو أن لا يؤذيها البتة ويوصل إليهما من المنافع قدر ما يحتاجان إليه ، فيدخل فيه دعوتهما إلى الإيمان إن كانا كافرين وأمرهما بالمعروف إن كانا فاسقين " (٣) .

ويقول القرطبي :

الإحسان إلى الوالدين : " معاشرتهما بالمعروف ، والتواضع لهما وامتنال أمرهما والدعاء بالمغفرة بعد مماتهما وصلة أهل ودهما " . (٤)

ويقول الحسن البصري : " أن تبذل لهما ما ملكت ، وإن تطيعهما فيما أمراك به ، إلا أن يكون معصية ... " (٥) .

(١) سورة البقرة : الآية (٨٣)

(٢) الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير : جامع البيان على تأويل القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ ، ج ١ ، ص (٣٩٠)

(٣) الرازي : التفسير الكبير ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، طهران ، (د . ت) ، ج ٣ ، ص (١٣) .

(٤) القرطبي ، أبي عبد الله أحمد الأنصاري : الجامع لإحكام القرآن ، ط ٣ ، ج ٢ ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٣٨٧ هـ ، ص (١٣) .

(٥) السيوطي ، عبد الرحمن جلال السيوطي : الدرر المنثور في التفسير بالمأثور ، ط ١ ، ج ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ص (٢٥٩) .

تعريف مفهوم مبدأ بر الوالدين عند الباحثة :

وفي النهاية بعد عرض هذه التعاريف مجتمعة تخرج الباحثة بالتعريف التالي:
هو أن يوصل إليهما كل نفع ويبعد عنهما كل أذى بقدر الوسع والطاقة والمعرفة مع فعل ذلك بخلق حسن ، فالبر حسن الخلق .

فضل الوالدين :

إن نعم الوالدين من أعظم النعم بعد نعم الله تعالى ، فقد قرن الله عبادته بالإحسان إلى الوالدين في أكثر من موضع في القرآن و السنة ، لما بينهما من المناسبة من وجوه^(١):

- أن النشأة الأولى للإنسان من عند الله ، والوالدان السبب في وجوده بعد الله تعالى والمتفضلان عليه بالتربية .

- إن الله تعالى حين يتعم على العبد لا ينتظر منه مقابل ، ولا يمنع عنه نعمة إن عصاه وكذا الوالدان ، لا يملان من حنوهما وشفقتهم على ولدهما ، وإن أساء إليهما .

- إن الله تعالى ينمي طاعة عبادة المؤمنين ليصونها لهم في الآخرة ، قال تعالى :
﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢) .

وكذا الوالدان المشفقان على ولدهما ينميان له ما يصونه .

- ونعم الوالدين معلومة بالضرورة وإن كانت قليلة إلى نعم الله تعالى .

فحق الوالدين من أعظم الحقوق بعد حق الله تعالى .

لذا أقرن الإحسان للوالدين بعبادة الله تعالى وكان تابع له في أكثر من موضع

في كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من وجوه عدة :

(١) الرازي : " التفسير الكبير " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٦٥) ، بتصريف
(٢) سورة البقرة : الآية (٢٦١) .

- فتارة يقرنه تعالى بالميثاق ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (١) .

فأعلى المواثيق على المرء القيام به هو حق الله تعالى ، ثم بعده حقوق المخلوقين التي أكدها و أولها حق الوالدين .

- وتارة يقرنه تعالى بالأمر ، قال تعالى : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... ﴾ (٢)

حيث أمر الله تعالى بعبادته وحده فهو الخالق الرازق المتفضل بجميع النعم على عباده ، وهو المستحق للعبادة دون سواه ، وقرن الأمر بعبادته بالأمر بالإحسان للوالدين ، فقد جعلهما سبحانه سبب وجوده من العدم . (٣)

وقال تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنزَلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... ﴾ (٤)

- وتارة يكون بالإلزام والإيجاب ، فهو المقصود بقضى في قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... ﴾ (٥) .

- وتارة نجده من قبيل الوصية ، قال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا... ﴾ (٦) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنها قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أي؟ قال: ثم ير الوالدين...» (٧)

(١) سورة البقرة : الآية (٨٣) .

(٢) سورة النساء : الآية (٣٦) .

(٣) ابن كثير ، " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، " ج ١ ، ص (٤٩٣ - ٤٩٤) .

(٤) سورة الأنعام : الآية (١٥١) .

(٥) سورة الإسراء : الآية (٢٣) .

(٦) سورة الأحقاف : الآية (١٥) .

(٧) سبق تخريجه ، ص (٥٩) .

فهذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ (١).

قال ابن عيينة في تفسيره: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه عقبها فقد شكر لهما (٢).

فالحديث قرن حق الله تعالى بحق الوالدين.

فضل الأم:

فالوالدان لهما فضل عظيم على ولدهما مما جعلهما يحضيان بالمكانة العظيمة في التربية الإسلامية، وللأم مكانة خاصة، حيث لها مزيد فضل على الوالد أعظم وأكبر، فقد فصلت نصوص الكتاب والسنة في بيان عظم فضلها قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي سَامِيْنٍ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من أحق بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك.» (٤).

فأقتضى الحديث أن يكون للأُم من البر ثلاثة أمثال ما للأب، وذلك لما تفردت به من مشقة حمل و وضع وإرضاع، ثم هي تشارك الأب في التربية (٥).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن امرأة قالت: يا رسول الله ابني هذا كان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له حواء، وإن أباه طلقني وأراد أن

(١) سورة لقمان: الآية (١٤).

(٢) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ٢، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، ص (٧٨٤).

(٣) سورة لقمان: الآية (١٤).

(٤) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب، باب من أحق الناس...، رقم الحديث (٥٩٧١)، ص (٧١٦٠).

(٥) المرجع السابق، ص (٧١٦١).

ينتزعه عني، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنتِ أحقُّ بهِ ما لم تُنكحِي». (١)
، فلام الحضانة دون الأب .

والجنة تحت قدميها ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السَّلْمِيِّ ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهِ، وَالِدَارَ الْآخِرَةَ. قَالَ: «وَيْحَكَ أَحْيَاةُ أُمَّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «ارْجِعْ فَبِرَّهَا» ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ. أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهِ، وَالِدَارَ الْآخِرَةَ. قَالَ: «وَيْحَكَ أَحْيَاةُ أُمَّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبِرَّهَا» ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ. أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهِ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ. قَالَ: «وَيْحَكَ أَحْيَاةُ أُمَّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَيْحَكَ إِزْمَ رَجُلِهَا. فَنَمَّ الْجَنَّةُ». (٢) ، فالنبي صلى الله عليه وسلم من خلال أسلوبه التربوي أراد بيان عظم حق الأم وفضلها حيث أدار وجهه عن جاهمة و بالغ في وعظه ببيان أن الجنة عند رجليها.

وإن كان فضل الأم عظيماً على الولد وكان حقها عظيماً كذا كان عقوقها من أعظم الذنوب .

عن المغيرة بن شعبة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَمَنْعاً وَهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ. وَكَرَهُ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ». (٣)

فخص الحديث عقوق الأم دون الأب وذلك لأن العقوق إلي الأمهات أسرع من الآباء لضعف النساء ، ولينبه على أن بر الأم مقدم على بر الأب في التلطف والحنو

(١) الحاكم، محمد بن عبد الله: المستدرک علی الصحیحین، دار الكتاب العربي، بيروت ، (د . ت) ج ٢ ، كتاب الطلاق ، باب حضانة الولد للمرأة المطلقة ، ص (٢٠٧) ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) ابن ماجه ، أبي عبد الله محمد بن يزيد : سنن ابن ماجه ، دار الفكر ، (د . ت) ، كتاب الجهاد ، باب الرجل يغزو وله أبوان ، ج ٢ ، رقم الحديث (٢٧٨١) ص (٩٢٩) .

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب عقوق الوالدين من الكباير ، رقم الحديث (٥٩٧٥) ، ص (٧١٦٥) .

ونحو ذلك. (١)

فالأم لها فضل على الولد لما يلي :

١- أنها تحملت مشقة أكبر في تربيته ، فقد عانت من المشقة والوهن الشيء الكثير ، في حمله تسعة أشهر ، وفي وضعه ، وفي تغذيته على لبنها عامين كاملين وما تبع ذلك من سهر ورعاية وحفظ له ، وكذا سهرت واشتركت مع الأب في تربيته إلى أن قوي عوده .

٢- " الأم بما - جبلت عليه من عاطفة وحب وحنان - أكثر رحمة وعناية واهتماماً من الأب ... فالولد قد يتساهل في حق أمه عليه لما يرى من ظواهر عطفها ورحمتها وحنانها... لهذا جاءت الشريعة الغراء موصية الولد بان يكون برا بها وطائعاً لها ... حتى لا يتساهل في حقها ، ولا يتغاضى عن برها واحترمها وإكرامها ... " (٢)

يقول الذهبي في فضل الأم : " حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج وأرضعتك من ثديها لبناً وأطارت لأجلك وسنا وغسلت عنك الأذى وآثرتك على نفسها بالغذاء وصيرت حجرها لك مهذا وأنالتك إحساناً ورفداً فإن أصابك مرض أو شكاية أظهرت الأسف فوق النهاية وأطالت الحزن والنحيب وبذلت مالها للطبيب ولو خيرت بين حياتك وموتها لطلبت حياتك بأعلى صوتها ... " (٣)

مكانة مبدأ بر الوالدين في التربية الإسلامية :

لمبدأ بر الوالدين مكانة عظيمة في التربية الإسلامية فصلتها نصوص الكتاب والسنة ليتنبه الأبناء إليها و ليحرصوا علي هذا المبدأ العظيم و تتضح هذه المكانة من خلال ما يلي :

(١) المرجع السابق ، ج ٦ ، كتاب الاستقراض ، باب ما ينهى عن إضاعة المال ، ص (٣٠٣٠) .
(٢) علوان عبد الله ناصح : تربية الأولاد في الإسلام ، ط ٣٨ ، دار السلام ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ ، ج ١ ، ص (٢٩٣) .
(٣) الذهبي ، شمس الدين : الكبائر ، دار الفكر ، بيروت ، (د . ت) ، ص (٤٤) .

١- من أعظم الحقوق بعد حق الله تعالى :

حيث افترن به في الكثير من نصوص الشريعة ، قال تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا...﴾. (١)

جعل الله تعالى بر الوالدين أمراً واجبا حين قال : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا...﴾. (٢) ، فالقضاء بمعنى الأمر والإلزام والإيجاب (٣) .

قرن عز وجل شكره تعالى بشكر الوالدين ، قال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي سَامِيٍّ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَكُلًّا لِي وَالْوَالِدِينَ الْمَعْرُوفِينَ﴾. (٤)

"أي وعهدنا إليه أن أشكر لي على نعمي عليك ولوالديك تربيتهما إياك وعلاجهما فيك عالجا من المشقة حتى استحکم قواك . " (٥)

قال ابن عيينة في تفسيره : " من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ، ومن دعا لوالديه عقبها فقد شكر لهما" (٦) .

قرن الرسول صلى الله عليه وسلم عقوق الوالدين بالإشراك بالله ، فعن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنه ، قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال ثلاثاً: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين. وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور. وشهادة الزور. ألا وقول الزور. وشهادة الزور. فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت» (٧)

(١) سورة النساء : الآية (٣٦) .

(٢) سورة الإسراء : (٢٣) .

(٣) القرطبي : "الجامع لأحكام القرآن" ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص (٢٣٧) .

(٤) سورة لقمان : الآية (١٤) .

(٥) الطبري : "جامع البيان على تأويل القرآن" ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص (٧٠) .

(٦) القرطبي : "الجامع لأحكام القرآن" ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص (٦٥) .

(٧) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر ، رقم الحديث (٥٩٧٦) ص (٧١٦٥) .

وقرن رضا الله تعالى وسخطه برضا و سخط الوالدين ، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رضا الربّ - تبارك وتعالى - في رضا الوالد، وسخط الربّ - تبارك وتعالى - في سخط الوالد». (١)

٢- مبدأ بر الوالدين شريعة ربانية :

إن جملة النصوص التي توصي بالإحسان إلى الوالدين بعد عبادة الله تعالى تدل على أن الإحسان إليهما شريعة ربانية من أول الشرائع التي أنزلها الله تعالى للناس... (٢)

ويتضح ذلك من كونه من الميثاق الذي أمر بني إسرائيل بالمحافظة عليه مقرونا بعبادة الله تعالى . (٣)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا...﴾. (٤)

يقول السعدي في تفسير للآية : " وهذه الشرائع من أصول الدين التي أمر الله بها في كل شريعة ، لاشتمالها على المصالح العامة في كل زمان ومكان ، فلا يدخلها نسخ ، كأصل الدين ، ولهذا أمرنا الله بها في قوله : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾ (٥) إلى آخر الآية " (٦).

(١) البخاري ، محمد بن إسماعيل : الأدب المفرد ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٦هـ — ، باب قوله تعالى : " وصينا الإنسان بوالديه ... " ، رقم الحديث (٢) ، ص (٢٤) ، والحديث حسن موقوفاً وصح مرفوعاً .

الهيثمي: "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في البر وحق الوالدين ، ص (١٣٦) ، واللفظ له .

(٢) الميداني ، عبد الرحمن حسن جنكه : الأخلاق الإسلامية وأسسها ، ط ٤ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٧هـ ، ج ٢ ، ص (٢٦ ، ٢٧) .

(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص (٢٧) .

(٤) سورة البقرة : الآية (٨٣)

(٥) سورة النساء : الآية (٣٦) .

(٦) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ط ١ ، الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١هـ ، ص (٧٥) .

٣- بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله :

مبدأ بر الوالدين من أعظم الأعمال ، فقد جاء ذكره بعد عمود هذا الدين وهي الصلاة وقبل ذروة سنامه وهو الجهاد ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين. قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله - قال: حدّثني بهنّ، ولو استزدتّه لزادني». (١)

وقال ابن عباس : " إني لا ، أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة " . (٢)

٤- بر الوالدين مقدم على الهجرة والجهاد :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: « قال رجلٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: أجاهد؟ قال: «لك أبوان» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد» (٣)

وفي رواية لمسلم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، قال: أقبل رجلٌ إلى نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبغني الأجر من الله. قال «فهل من والدك أحدٌ حيٌّ؟» قال: نعم. بل كلاهما. قال «فتبغني الأجر من الله؟» قال: نعم. قال «فارجع إلى والدك فأحسن صحبتَهُما». (٤)

ونقل عن المنذري النهي عن الخروج للجهاد بغير إذن الوالدين ما لم يقع النفير. (٥)

(١) سبق تخريجه ، ص (٥٩) .

(٢) البخاري : "الأدب المفرد" ، مرجع سابق ، باب بر الأم ، رقم الحديث (٤) ، ص (٢٥) ، وقال المحقق : صحيح .

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين ، رقم الحديث (٥٩٧٢) ، ص (٧١٦٣) .

(٤) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب بر الوالدين و أنهما أحق به ، ص (١٠٤) .

(٥) القرطبي : " الجامع لأحكام القرآن " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢٤٠) .

فبر الوالدين أكد من الجهاد حيث لا يجوز إلا بإذنهما . (١)

وذلك لأن الجهاد فيه من الضرر على الولد الذي يفجع به أبواه ويتألمان لأجله .

أيضاً بر الوالدين يقوم مقام الجهاد لما فيه من بذل الجهد البدني ، وهو أفضل من الجهاد البدني الذي فيه بذل أعلى ما يملك الإنسان روحه لأن بر الوالدين من الأعمال التي تحتاج إلى المداومة على الصبر في المحافظة على أدائها وهذا لا يتحقق إلا لصديقين . (٢)

٥- الولد وماله لأبيه :

ذهب الجمهور إلى أن الولد وماله لأبيه . (٣)

لحديث : « لا يُقَادُ مَمْلُوكٌ مِنْ مَالِكِهِ وَلَا وَلَدٌ مِنْ وَالِدِهِ » . (٤)

فلا يقاد الوالدان في قتل أو سرقة ، أو قذف ، أو الأخذ من مال الولد وذلك لأنهما سبب لوجوده بعد الله تعالى ، لذا لا يقادان فيه . (٥)

٦- أعظم ما يجزى به الوالدان عتقهما إذا كانا مملوكين :

فالوالدان فضلهما عظيم لذا يعجز الولد أن يوفيهما حقهما مهما فعل لأجلهما إلا ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث : " لا يجزي ولد والده ، إلا أن يجده مملوكاً ، فيشتريه فيعتقه " (٦)

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب بر الوالدين و أنهما أحق به ، ص (١٠٣) .

(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة لوقتها ، ص (٧٨٤) .

(٣) المرجع السابق ، ج ٦ ، كتاب الهبة وفضلها ، باب الهبة للولد ... ، ص (٣٢٠٤-٣٢٠٥) .

(٤) الحاكم : " المستدرک علی الصحیحین " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الحدود ، باب لا يقاد مملوك من مالكة ولا ولد من والده ، ص (٣٩٨) . قال الحاكم : حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وله شاهدان .

(٥) الحلبي ، أبي عبد الله الحسين بن الحسن : كتاب المنهاج في شعب الإيمان ، تحقيق : حلبي محمد فوده ، ط ١ ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ج ٣ ، ص (٢٤٤) .

(٦) البخاري : " الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، رقم الحديث (١٠) ، ص (٢٦) ، وقال المحقق : الحديث صحيح .

" فإذا ملك الولد أبويه عتقا عليه لأنهما كانا سببا لوجوده وكل ما يتبع الوجود من الفضائل ، فلم يسلط عليهما بالاسترقاق ، لأن حقهما عليه يقتضي أن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة والاسترقاق استصغار واستذلال ، فاستحال يستذل من أمر بالذلة لهما" (١).

فالولد مهما عمل غير ذلك لن يوفيهما جزاء تربيتهما ، فعن بريدة : أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني حملت أُمِّي على عنقي فرسخين في رمضان شديدة لو ألقيتَ فيها بضعة من لحم لنضجت فهل أدبتُ شكرها؟ فقال: «لَعَلَّه أَنْ يَكُونَ لِطَلْقَةٍ وَاحِدَةٍ» (٢).

٧- الولد وكسبه ملك أبيه :

ولعظم مكانة الوالدين فقد رخص الإسلام للأب الأكل من مال ولده ، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه ، : « أَنْ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي مَالًا وَوَلَدًا، وَإِنَّ وَالِدِي يَجْتَاخُ مَالِي. قَالَ: أَنْتَ وَمَالُكَ لِوَالِدِكَ، إِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَطْيَبِ كَسْبِكُمْ فَكُلُوا مِنْ كَسْبِ أَوْلَادِكُمْ» (٣).

٨- البر بالوالدين جامع لمحاسن الخلق :

فالبر : كما قال العلماء بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق (٤).

(١) الحلبي : " كتاب المنهاج في شعب الإيمان "، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٤٤).
(٢) نور الدين الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد "، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في البر وحق الوالدين ، ص (١٣٧) ، قال : رواه الطبراني في الصغير ، وفيه : الحسن بن أبي جعفر ، وهو ضعيف من غير كذب ، وليث بن أبي سليم ، مدلس .
(٣) أبادي ، أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم : عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ج ٩ ، كتاب الإجارة ، باب الرجل يأكل من مال ولده ، ص (٣٥٣) ، ويقول : الشارح له شاهد أخرجه ابن ماجه من حديث محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله «أن رجلاً قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لي مالا وولداً وإن أبي يحتاج مالي فقال أنت ومالك لأبيك» ورجال إسناده ثقات .
(٤) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب تفسير البر والإثم ، ص (١١١).

قال تعالى في الثناء على يحي عليه السلام : ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ . (١)

وقال تعالى في الثناء على عيسى عليه السلام : ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ يَ جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ . (٢)

فبعد أن أتى الله تعالى على الصفات الخلقية الحسنة لكلا من يحي وعيسى عليهما السلام ذكر برهما لوالديهما ونفى عنهما الأخلاق السيئة ، فارتبط بر الوالدين بحسن الخلق يقول بعض السلف : لا نجد أحدا عاقا لوالديه إلا وجد جبارا شقيا . (٣)

فبر الوالدين لا يصدر إلا من شخص ذو صفات خليقة حسنة .

٩- الإحسان إلي الوالدين مطلقا :

ولعظم حق الوالدين أوصى الإسلام بالإحسان إليهما ولو كانا كافرين :

قال تعالى : ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ . (٤)

أي لا يمنعك مخالفة لهما لدينك ودعوتهما إلى دينهما عن الإحسان إليهما . (٥)

وتتجلى كذلك عظم هذه المكانة في رد النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء رضي الله عنها في الحديث ، عن أسماء ابنة أبي بكر رضي الله عنهما ، قالت : «أتتني أمي راغبة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سورة مريم : الآية (١٤-١٥)

(٢) سورة مريم : الآية (٣٢-٣٣)

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١١٤) .

(٤) سورة لقمان : الآية (١٥) .

(٥) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٤١٦) .

أصلها؟ قال: نعم. قال ابن عيينة: فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ». (١). (٢)

فيدخل في البر دعوتهما إلى الإيمان إن كانا كافرين وأمرهما بالمعروف إن كانا فاسقين. (٣)

وكذا لا يمنع ظلمهما له من برهما ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : " ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسبا إلا فتح الله له بابين (يعني من الجنة) وإن كان واحد فواحد ، وإن أغضب واحد لم يرضى الله عنه حتى يرضى عنه ، قيل وإن ظلما ؟ قال وإن ظلما " . (٤)

١٠- بر الوالدين يتعد حياتهما إلى ما بعد مماتهما :

ومن تشریف الوالدين وعظم فضل برهما ، ولكي يستدرك المقصر ما قصر في حقهما في حياتهما ، وسع الإسلام له دائرة برهما حيث تصل إلى ما بعد موتهما ، فمن برهما بعد الموت البر بقسمهما وقضاء دينهما ، عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ بَرَّ قِسْمَهُمَا وَقَضَىٰ دَيْنَهُمَا وَلَمْ يَسْتَسِبِّ لَهُمَا، كُتِبَ بَارًّا وَإِنْ كَانَ فِي حَيَاتِهِ، وَمَنْ لَمْ يَبِرِّ قِسْمَهُمَا وَيَقْضِي دَيْنَهُمَا وَاسْتَسَبَّ لَهُمَا، كُتِبَ عَاقًا وَإِنْ كَانَ بَارًّا فِي حَيَاتِهِ» . (٥)

(١) سورة الممتحنة : الآية (٨)

(٢) سبق تخريجه ، ص (٦٢) .

(٣) الرازي : " التفسير الكبير " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٣)

(٤) البخاري : " الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، باب بر والديه وإن ظلما ، رقم الحديث (٧) ، ص (٢٥) ، والحديث ضعيف الإسناد ، فيه سعد القيسي مجهول .

(٥) الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة باب البر بعد الموت ، ص (١٤٧) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط .

وكذلك الدعاء لهما ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَالدِّ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » . (١)

و صلة أهل ودهما ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَبْرُّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وَدَّ أَبِيهِ » . (٢)

١١- بر الوالدين كفارة لذنوب :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ ؟ قَالَ هَلْ لَكَ مِنْ أُمِّ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : فَبِرِّهَا » . (٣)

قال الترمذي معلقا على الحديث ما نصه : " قوله (إني أصبت ذنبا عظيما) يجوز أنه أراد عظيما عندي ، لأن عصيان الله تعالى عظيم وإن كان الذنب صغيرا ، ويجوز أن يكون ذنبه كان عظيما من الكبائر وإن هذا النوع من البر يكون مكفرا له وكان مخصوصا بذلك الرجل ، علمه النبي صلى الله عليه وسلم من طريق الوحي ، والمعنى أن صلة الرحم من جملة الحسنات التي يذهبن السيئات . (٤)

فبر الوالدين من جملة صلة الرحم ، وهو من الحسنات التي تكفر الذنوب .

عن عطاء بن يسار وعن ابن عباس رضي الله عنه ، أنه أتاه رجل فقال : إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني ، وخطبتها غيري فأحبت أن تنكحه . ففرت عليها

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، ص (٨٥) .

(٢) المرجع السابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ، ص (١٠٩) .

(٣) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب البر والصلة ، باب في بر الخالة ، ص (١١-١٢) ، قال الشارح : وحديث ابن عمر هذا أخرجه أيضا ابن حبان في صحيحه والحاكم إلا أنهما قالوا : هل لك والدان بالتشبيه؟ وقال الحاكم : صحيح على شرطهما .

(٤) المرجع السابق .

فقتلتها فهل لي من توبة ؟ قال أمك حية ؟ قال : لا . قال : تب إلى الله عزوجل ،
وتقرب إليه ما استطعت . فذهبت فسألت ابن عباس : لم سألته عن حياة أمه ؟ فقال
: إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عزوجل من بر الوالدة . " (١)

١٢- بر الوالدين مقدم على الزوجة والأولاد:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
«بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فاتحطت على فم
غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً
عملتموها لله سالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها. فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي
والدان شيخان كبيران، ولي صبيبة صغاراً كنت أرى أرى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت
بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، وإنه نأى بي الشجر فما أتيت حتى أمسيت،
فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجننت بالحلاب فقامت عند رؤوسهما، أكره
أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبيبة قبلهما والصبيبة يتضاغون عند
قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر. فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك
ابتغاء وجهك فأفرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله لهم فرجة حتى يروا
منها السماء. وقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال
النساء...» (٢)

فدل الحديث على تقديم بر الوالدين على الزوجة والأولاد حيث قدمهم في النفقة
والخدمة، والطاعة، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: «إن رجلاً أتاه فقال إن
لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو

(١) البخاري: "الأدب المفرد"، مرجع سابق، باب بر الأم، رقم الحديث (٤)، ص (٢٥)
والحديث صحيح.

(٢) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب،
باب إجابة دعوة من بر والديه، رقم الحديث (٥٩٧٤)، ص (٧١٦٤).

احفظه»، وَرَبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: إِنَّ أُمَّي، وَرَبَّمَا قَالَ: أَبِي. (١)

١٣- بر الوالدين مقدم على التطوع بالصلاة وغيرها :

بر الوالدين مقدم على أعمال التطوع لأنه من أعظم الحقوق بعد حق الله تعالى كما سبق ، لذا فقد قدم على سائر أعمال التطوع ، ومما يدل على ذلك ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى. وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي، فجاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا ثمته حتى ثرية وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأنت راعياً فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين....» (٢)

فدل على أن بر الوالدين واجب والواجب مقدم على التطوع .

١٤- الجنة تحت أقدام الأمهات :

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السَّلْمِيِّ ، أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَدْتُ أَنْ أَعَزُّوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمَّ؟» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «فَالزَّمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا» (٣)

قال الطيبي: "قوله عند رجليها كناية عن غاية الخضوع ونهاية التذلل كما في

(١) المباركفوري: "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي"، مرجع سابق، ج ٦، كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفصل في رضا الوالدين، ص (٦)، وقال: وهذا حديث صحيح (٢) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ٧، كتاب الأنبياء باب قوله تعالى: "و أذكر في الكتاب مريم..."، رقم الحديث (٣٤١٦) ص (٣٠٤١) .
(٣) الحاكم: "المستدرک علی الصحیحین"، مرجع سابق، ج ٢، كتاب الجهاد، باب استئذان الأبوين عند الجهاد، الجنة عند رجلي الوالدة، ص (١٠٤)، وقال صحيح الإسناد .

قوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ (١) .

١٥- بر الوالدين يعدل العمرة والحج والجهاد :

وبما أن بر الوالدين قد قدم على التطوع ، فهو بذلك يعدل الحج والعمرة والجهاد ، فعن أنس رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني أشتهي الجهاد، ولا أقدر عليه. قال: هل بقي من وديك أحد؟ قال أمي. قال: ابل الله في برها، فإذا فعلت ذلك كان لك أجر حجٍّ ومُعتمرٍ ومجاهدٍ، فإذا رضيت عنك أمك فاتق الله وبرها» . (٢)

١٦- إجابة دعاء الوالدين لولدهما :

فدعاء الوالدين من الدعوات المستجابة ، لعظم حقهما ومكانتهما لذا عظم برهما ، فدعاء الوالد على ولده أو له مستجابة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ» . (٣)

ويتضح أثر دعوة الولدين لولدهما دعوة أم البخاري رحمه الله تعالى لولدها عندما فقد بصره في صغره فرد الله عليه بصره ببركة دعاء والدته ، حيث رأت في المنام إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك ، أو لكثرة دعائك ، فأصبح وقد رد الله عليه بصره . (٤)

كذلك يتضح أثر دعاء الوالدين دعاء أم جريج في الحديث السابق .

(١) القارى ، على سلطان محمد القارى : من مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، المكتبة الإسلامية لصاحبها رياض الشيخ ، (د . ت) ، ج ٤ ، كتاب الآداب ، باب البر والصلة ، ص (٦٧٧)

(٢) نور الدين الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في البر وحق الوالدين ، ص (١٣٨) ، وقال الهيثمي : رواه أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط ورجلها رجال الصحيح غير ميمون بن نجيح ووثقه ابن حبان .

(٣) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في دعاء الوالدين ، ص (١٢) ، وقال: رواه أحمد في مسنده والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة .

(٤) الخطيب : " تاريخ بغداد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٦ - ١٠) .

١٧- عظم جزاء البار بوالديه :

أن من أعظم ما يحصل للبار بوالديه :

دخول الجنة :

و عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: «إِنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ»، وَرَبَّمَا قَالَ سَفِيَانُ: إِنَّ أُمَّي، وَرَبَّمَا قَالَ: أَبِي. (١)

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَذَلِكَ الْبِرِّ كَذَلِكَ الْبِرِّ». (٢) ، وحادثة صحابي جليل كان من ابر الناس بأمه (٣) .

وكذا إجابة الدعاء ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ. وَكَهْ وَالِدَةٌ. وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ. فَمُرُوهُ فَلَيْسَتْغْفِرَ لَكُمْ». (٤)

فأويس تابعي جليل عرف عنه بربه بأمه لذا حاز على هذه المكانة العظيمة وفي النووي أن اسمه أويس بن عامر وكنيته أبو عمرو، وهو القرني من بني قرن ، قتل بصفين، وهو من الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام في الغزو من اليمن ، وقد كان قليل المتاع ، بار بوالدته ، وقد كان يخفي حاله ويكتم السر الذي بينه وبين

(١) سبق تخرجه ، ص (٧٨) .

(٢) الحاكم : "المستدرك على الصحيحين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر مناقب حارثة بن النعمان ، ص (٢٠٨) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) القارى : " من مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٦٧٠) .

(٤) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أويس القرني ، ص (٩٤) .

الله عز وجل ولا يظهر منه شيء حتى لا يعرفه الناس فيفتن بهم ويفتنون به ، وهذه طريق العارفين وخواص الأولياء رضي الله عنهم. (١)

ومما يحصل للبار البركة في الرزق والعمر ، فعن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يردُّ القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيدُ في العمر إلا البرُّ ». (٢)

والبار بوالديه يحصل له نور من الله تعالى ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: . « احفظ وداً أبئك لا تقطعه فيطفيء الله نورك ». (٣)

١٨ - عظم عقوبة عاق الوالدين :

عقوق الوالدين محرم فهو من اكبر الكبائر بعد الإشراف بالله تعالى لحديث ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنه قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أنبكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال ثلاثاً: الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين. وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور. وشهادة الزور. ألا وقول الزور. وشهادة الزور. فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت ». (٤)

لذا استحق صاحبه الحرمان من دخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: « رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ » قيل: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ « مَنْ أَدْرَكَ أَبُوَيْهِ عِنْدَ الْكَبِيرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلْ

(١) المرجع السابق .

(٢) المباركفوري: " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى "، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب القدر ، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء ، ص (٢٨٨) ، وقال : وهذا حديث حسن غريب .

(٣) نور الدين الهيثمي: " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد "، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب صديق الأب ، ص (١٤٧) ، وقال الهيثمي : رواه أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير ميمون بن نجیح ووثقه ابن حبان .

(٤) سبق تخريجه ، ص (٧٠) .

الجَنَّةِ» (١).

وكذا عجلت العقوبة في الدنيا قبل الآخرة للعاق ، عن أبي بكر رضي الله عنه ،
عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " ما من ذنب أجد أن يعجل لصاحبه العقوبة
، مع ما يدخر له ، من البغي وقطيعة الرحم" (٢) ، فالوالدين هما من أولى الأرحام
بالصلة.

حقوق الوالدين

وكما بين الإسلام عظم فضل الوالدين ومكانتهما ، بين الحقوق الواجب مراعاتها
تجاههما ، فحقهما مقدم على حقوق سائر المخلوقين فهو مقرون بحق الله تعالى في
أكثر من نص من نصوص الشريعة ، قال تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ (٣).

وكذا هو حق واجب على المسلم القيام به وعدم التهاون في أدائه ، قال تعالى
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ (٤) ، فالقضاء بمعنى الأمر
والإلزام والإيجاب (٥).

والحقوق فصلت في الكتاب والسنة ، ومن أهم هذه الحقوق مايلي :

١ - برهما والإحسان إليهما :

قال تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ (١).

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب
تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها ، ص (١٠٨).

(٢) البخاري : " الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، رقم الحديث (٢٩) ، ص (٣١) ، قال المحقق :

الحديث صحيح .

(٣) سورة النساء : الآية (٣٦).

(٤) سورة الإسراء : الآية (٢٣).

(٥) لقرطبي : " الجامع لأحكام القرآن " ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص (٢٣٧).

(٦) سورة النساء : الآية (٣٦).

المتتبع للآيات التي توصي بالوالدين غالبا ما تستخدم لفظ الإحسان ، وذلك لأنه يحمل معنى البر ، كما فسر العلماء معنى البر ، ويتضمن معنى شامل للقيام بحقوقهما يصحب ذلك حسن خلق لارتباط معنى البر بحسن الخلق - كما سبق - .

فالبر أو الإحسان إليهما "يتضمن كل ما تصل إليه يد الولد ، وتتسع له طاقته من أنواع البر والإحسان كإطعامهما ، وكسوتهما ، علاج مرضهما ، ودفع الأذى عنهما وتقديم النفس فداء لهما." (١)

" والمحافظة على سمعتهما وشرفهما ومالهما " والدعاء والاستغفار لهما " (٢).

و ينبغي أن يقترن إحسان الولد إلي والديه باليسر والطلاقة والسلاسة ، ولا يريا منه تكرها وضجرا يبغضه عليهما ، ويجتهد في أن لا يمر به زمان وإن قل وهما عنه غير راضيين فيه (٣).

كذلك يقترن الإحسان إليهما بالتواضع ومنتهى التذلل والرحمة والشفقة والكلام اللين ، قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا... ﴾ (٤).

" والإسلام حين أوصى الأبناء بآبائهم لم ينكر أنواع البر بهما ولم يحددها ويفصلها، فإن ذلك أمر لا يخضع للتفصيل والتعيين ، إنما يخضع للظروف والأحوال والحاجة ، والقدرة ، والذوق الإنساني ، والعرف الاجتماعي ، والشعور الحي لدى الأبناء." (٥)

والتربية الإسلامية أكدت على حقهما وخاصة في مرحلة الكبر ، قال تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ

(١) الجزائري ، أبو بكر : منهاج المسلم ، ط ١ ، مكتبة الكليات الأزهر ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ ، ص (١٠٦) .

(٢) الحارثي : " المبادئ التربوية المتضمنة في (كتاب البر والصلة والآداب) " ، مرجع سابق ، ص (٦٤) .

(٣) الحلبي : " كتاب منهاج في شعب الإيمان " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٤٦) .

(٤) سورة الإسراء : الآية (٢٣) .

(٥) أيوب ، حسن : السلوك الاجتماعي في الإسلام ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، (د ت) ، ص (٢٢٤) .

كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ
الَّذِ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا^(١) ، فعليه أن يجتهد في
برهما وخاصة في مرحلة الكبر:

- وذلك لأن قلوبهما في هذه المرحلة العمرية أرق وأخلاقها أضيق ، فكان
استرضائهما أشق ، لذا شددت في الوصية بهما في هذه المرحلة العمرية.

- أو لأن الأبوين إن كبرا قد أشرفا على المفارقة فينبغي أن يكون أرق بهما وأشد
ولوفا وكلفا ويبدل ما يقدر عليه من برهما ، ما يرجو أن يكون سبب في زيادة
حسناته ودخوله الجنة .^(٢)

لذا قال صلى الله عليه وسلم : «رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ» قيل:
مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ
الْجَنَّةَ».^(٣)

فليغتنم المسلم هذه التجارة الرابعة .

والإحسان إلى الوالدين لا يختص بالوالدين المسلمين فقط بل تعداه إلى الغير
مسلمين، قال تعالى : ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا
تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ
فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.^(٤)

وإذا أمر بالإحسان للوالدين الكافرين ، فمن باب أولى الإحسان للوالدين
المسلمين وإن كانا ظالمين لولدهما أو عاصيين .

وعلى الولد أن يكون رحيما بوالديه " لا يحتمل قلبه أن يصبهما أذى أو يمسهما
سوء بألم من أدنى مكروه يصل إليهما، فإذا كان من الحب بهذه المنزلة ، فذلك هو

(١) سورة الإسراء : الآية (٢٣).

(٢) الحلبي : " كتاب المنهاج في شعب الإيمان " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٤٦)

(٣) سبق تخريجه ، ص (٨٢) .

(٤) سورة لقمان : الآية (١٥)

الرحمة ، وهو إذا وجدها في قلبه لهما ، لم يكن منه انتهاز لهما ولا مفارقة لطاعتها" (١).

٢ - طاعتها في غير معصية الله تعالى :

قرن الله تعالى طاعته بطاعة الوالدين ، وجعل حقهما في الطاعة يأتي ثاني حق بعد طاعة الله تعالى كما تبين من خلال النصوص السابقة .

قال الحسن : " بر الوالدين طاعتها فيما يأمران ما لم يكن معصية " . (٢)

فطاعتها متعلق بما هو في غير معصية الله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ (٣).

وقد نزلت هذه الآية في الصحابي سعد ، فعن مصعب بن سعد عن أبيه سعد قال: نزلت في أربع آيات، فذكر قصته وقال: قالت أم سعد: أليس الله قد أمرك بالبر ؟ والله لا أطمع طعاماً ولا أشرب شرباً حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاهاً، فأنزل الله ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ الآية . (٤)

يقول ابن حجر في هذه الآية : " واقتضت الآية الوصية بالوالدين والأمر بطاعتها ولو كانا كافرين، إلا إذا أمرا بالشرك فتجب معصيتهما في ذلك . " (٥)

(١) الحلبي : " كتاب المنهاج في شعب الإيمان " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٤٤) .

(٢) السيوطي : " الدرر المنثور في التفسير بالمأثور " ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص (٢٥٩) .

(٣) سورة لقمان : الآية (١٥) .

(٤) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٣٧٩) .

(٥) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب البر والصلة ، ص (٧١٦٠) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسع : " ...وذكر منها : " وأطع والديك و إن أمراك أن تخرج من دنيك فأخرج لهما . " (١) ، ففي ذلك مبالغة في الطاعة لهما في غير معصية .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: «إِنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَاضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ»، وَرَبِّمَا قَالَ سَفِيَانُ: إِنَّ أُمَّي، وَرَبِّمَا قَالَ: أَبِي. (٢) فقدم الوالدان على الزوجة في الطاعة .

ويقدم طاعتها على التطوع كما في قصة جريح - سبق ذكرها - (٣)

وقد ذكر القرطبي : أن أمرهما بالمباح يصيره في حق الولد مندوبا إليه وأمرهما بالمندوب يزيده تأكيدا في نديته (٤).

٣- التأدب معهما :

ومن حقوق الوالدين التأدب معهما بالقول والفعل وكل ما يصدر عن الإنسان من تصرفات يراعي فيه الأدب مع والديه ، ومن هذه الآداب :

١- الاستئذان في الدخول عليهما ، ولا سيما في أوقات نومهما وراحتهما .

٢- النهوض إليهما عند دخولهما ، وتقبيل رأسيهما .

٣- التلطف في الحديث معهما ، بخفض الصوت وحسن الألفاظ واختيار الأوقات والظروف المناسبة .

٤- الإنصات لحديثهما وحسن الاستماع وإبداء الاهتمام .

(١) البخاري : "الأدب المفرد" ، مرجع سابق ، باب يبر والديه ما لم يكن معصية ، رقم الحديث (١٨) ، ص (٢٨) ، قال المحقق : الحديث صحيح .

(٢) سبق تخريجه ، ص (٧٨) .

(٣) سبق ذكرها ص (٧٨) .

(٤) القرطبي : "الجامع لأحكام القرآن" ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص (٢٣٨) .

- ٥- عدم دعوتها بأسمائهما ، بل بـ: أمي ، و أبي .
- ٦- عدم الأكل والشرب قبلهما أو مما تشتهي نفساهما .
- ٧- عدم المشي أمامهما إلا لدرء الخطر عنهما .
- ٨- عدم الجلوس في مكان أعلى منهما ، وعدم مد الرجلين بحضرتهما .
- ٩- الابتعاد عن العادات السيئة والمنكرات ، وخاصة أمامهما ، كالتدخين ، وسماع الأغاني ، والنظر إلى المحرمات في التلفاز والمجلات ونحوهما ..
- ١٠- عدم السفر إلا بإذنها ورضاهما ، إلا في حالات الضرورة ، فيجب الاعتذار لهما والحرص على صلتها بالهاتف أو الرسائل . (١)
- ١١- أن يباليغ في التواضع لهما فيخدمهما بنفسه ويطعمهما بيده أن كانا عاجزين .
- ١٢- أن لا ينظر إليهما بحدة ولا يقطب وجهه لهما .
- ١٣- أن لا يمن عليهما بالبر لهما والانتقياد لأمرهما .

وقدوتنا فيما سبق من آداب النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث يتمثل ذلك في موقفه مع أبويه الرضاعة عندما قدما عليه ، فعن عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب ، حدثه أنه بلغه: « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوماً فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعده عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانيه الآخر فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة، فقام له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه». (٢)

أما الوالدان الكافران ، فأدب الولد معهما مصاحبتهما بالمعروف في غير ما يتعلق بالدين ومعاملتها بما تقتضيه مكارم الأخلاق ، قال تعالى : ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ

(١) زينو ، محمد جميل : كيف نربي أولادنا ... ، دار الفنون لطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، جده ، ١٤١١هـ ، ص (٥٩ - ٦٢) ، بإيجاز وتصرف ،

(٢) أبادي : " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، كتاب الأدب ، باب في بر الوالدين ، ص (٤٣) ، قال الشارح أن للحديث شواهد .

أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (١).

٤- صلة أهل ودهما :

ولحرص الإسلام على أن لا يفوت المسلم الأجر في بر والديه أمر بصلة أهل ودهما كحق من حقوقهما سواء في حياتهما ، أو بعد موتهما لحديث ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَبْرُّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وَدَّ أَبِيهِ» (٢).

قال النووي في شرح الحديث : " وفي هذا فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم، وهو متضمن لبر الأب وإكرامه لكونه بسببه، وتلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج والزوجة. " (٣)

والصحابية كانوا يبرون آبائهم من هذا الباب، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ . وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ . وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ . فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ : فَقُلْنَا لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَالِدِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ» (٤).

٥- عدم إلحاق الأذى بهما .

ومن تكريم الوالدين وعظم حقهما إن الإسلام حرص على أن يبتعد المسلم عن أذى والديه ولو بطريقة غير مباشرة وإن لم يتعمد ذلك الأذى ، ومن الأذى الذي حذر

(١) سورة لقمان : الآية (١٥).

(٢) سبق تخريجه ، ص (٧٦).

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما ص (١١٠).

(٤) المرجع السابق ، ص (١٠٩).

منه الإسلام سب الوالدين ولو بطريقة غير مباشرة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه». (١)

يقول ابن حجر : قوله: (قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه) هو استبعاد من السائل، لأن الطبع المستقيم يأبى ذلك، فبين في الجواب أنه وإن لم يتعاط السب بنفسه في الأغلب الأكثر لكن قد يقع منه التسبب فيه وهو مما يمكن وقوعه كثيرا...» (٢)

وهذا يدل على أن الإنسان يتجنب كل ما يؤدي إلى إلحاق الأذى بولديه حتى لو بطريقة غير مباشرة، حيث لا ينحصر ذلك بالسب فقط بل أيضا على سبيل المثال لا الحصر ، المحافظة على سمعته حتى لا تلحق بسمعة أبيه ، وهذا ما نرى التهاون فيه الآن من الأبناء .

فكما عليه أن يبتعد عن الأذى الغير مباشر فمن باب أولى أن يبتعد عن أقل الأذى وهو قول أف ، فضلا عن ما هو أعلى منه ، قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا....﴾ (٣).

٦- دعوتهما والنصح لهما :

فالإسلام جعل من حقوقهما أن كانا كافرين دعوتهما إلى الإسلام ومن ذلك دعاء إبراهيم لأبيه الذي تميز بالرحمة والرفقة واللين والعطف والتودد كما ، قال تعالى

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب لا يسب الرجل والديه ، رقم الحديث (٥٩٧٣) ، ص (٧١٦٣) .
(٢) المرجع السابق ، ص (٧١٦٤) .
(٣) سورة الإسراء : الآية (٢٣) .

: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
...﴾ (١).

﴿وَأَذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا
لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُعْطِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ
فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ
عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (٢).

والصحابة الكرام تربوا على تطبيق هذا المبدأ العظيم ، فقد أدركوا عظم هذا الحق
لذا نجد أبو هريرة رضي الله عنه تحمل في سبيل دعوة أمه إلى الإسلام أذاها
وإعراضها حتى هداها الله تعالى بفضل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم
إخلاصه رضي الله عنه ، فعن أبو هريرة رضي الله عنه ، قال : كُنْتُ أَدْعُو أُمَّي
إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ . فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَاسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَا أكرَهُ . فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي . قُلْتُ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْتِي عَلَيَّ . فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَاسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا
أكرَهُ . فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي
هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ . فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ . فَإِذَا هُوَ
مُجَافٌ . فَسَمِعْتُ أُمَّي خَشْفَ قَدَمِيَّ . فَقَالَتْ : مَكَانَكَ يَا أَبِي هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ
الْمَاءِ . قَالَ : فَاعْتَسَلْتُ وَكَيْسَتْ دِرْعَهَا وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا . فَفَتَحَتِ الْبَابَ . ثُمَّ
قَالَتْ : يَا أَبِي هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .
قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْقَرَحِ . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ . فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ
وَقَالَ خَيْرًا . (٣)

(١) سورة الأنعام : الآية (٧٤).

(٢) سورة مريم : الآية (٤١ - ٤٥)

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب فضائل الصحابة ،
باب فضائل أبي هريرة ، ص (٥١) .

فإذا كان الوالدان مسلمان ولكن يقعان في المعاصي فدعوتهما بالتى هي أحسن
من باب أولى .

٧ - الدعاء لهما :

قال تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا
رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا ﴾ . (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا
مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ
صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». (٢)

يقول النووي في شرحه للحديث : " قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت
ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها، فإن
الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية
وهي الوقف وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح". (٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ
اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لِيَرْفَعُ - الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أُنِّي
لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَكَذَلِكَ لَكَ». (٤)

والنبي صلى الله عليه وسلم حرص على الاستغفار لأمه لكن الله لم يشرع له إلا
زيارة قبرها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَبْرَ أُمِّهِ. فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ. فَقَالَ: «اسْتَأْذِنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ

(١) سورة الإسراء : الآية (٢٤)

(٢) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الوصية ، باب ما
يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، ص (٨٥) .

(٣) المرجع السابق .

(٤) نور الدين الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب التوبة ، باب
استغفار الولد لوالده ، ص (٢١٠) ، وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما
رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وقد وثق .

لِي وَاسْتَأْذِنْتُهُ فِي أَنْ أُرْوَرَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي. فَزُورُوا الْقُبُورَ. فَإِنَّهَا تُذَكَّرُ الْمَوْتَ» (١).

فالدعاء يشمل وقت حياتهما وبعد مماتهما ، فأبو هريرة رضي الله تعالى عنه دعا لأمه في حياتها فنفعتها بدخولها الإسلام .

٨ - الصوم والحج والصدقة عنهما :-

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ بُرَيْدَةَ ، : « أَنْ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَتْ: كُنْتُ نَصَدَقْتُ عَلَى أُمِّي يَوْمَئِذٍ وَإِنَّهَا مَاتَتْ وَتَرَكْتَ تِلْكَ الْوَلِيدَةَ. قَالَ: قَدْ وَجِبَ أَجْرُكَ وَرَجَعْتَ إِلَيْكَ فِي الْمِيرَاثِ. قَالَتْ: وَإِنَّهَا مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمٌ شَهْرٍ أَفِيْجْزِيءٍ أَوْ يَقْضِي عَنْهَا أَنْ أَصُومَ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: وَإِنَّهَا لَمْ تَحْجَّ أَفِيْجْزِيءٍ أَوْ يَقْضِي عَنْهَا أَنْ أَحْجَّ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ» (٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَبِي مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا وَلَمْ يُوصِ، فَهَلْ يُكْفَرُ عَنْهُ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» (٣).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ الْفَضْلِ ، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ خَنَعَمَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ. عَلَيْهِ فَرِيضَةُ اللَّهِ فِي الْحَجِّ. وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجِّي عَنْهُ» (٤).

فبر الوالدين يتضمن القيام بمصالحهما الدنيوية والدينية ، من قضاء دين وخدمة ونفقة وحج عنهما وغير ذلك (٥).

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ، ص (٤٥-٤٦).

(٢) أبادي ، : " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب الوصايا ، باب ما جاء في الرجل يهب الهبة ثم يوصى له بها أو يرثها ، ص (٦٤) .

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الوصية ، باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت ، ص (٨٣).

(٤) المرجع السابق ، ج ٩ ، كتاب الحج ، باب الحج عن العاجز لزمانه وهرم ونحوهما ، أو للموت ، ص (٩٨)

(٥) المرجع السابق .

عقوق الوالدين :

إن البر أمره عظيم كما اتضح من بيان مكانته في التربية الإسلامية ، ويقع في مقابلة العقوق ، وهو ضد البر بالوالدين ولعظم البر يصبح أمر العقوق عظيماً ، وحذرت منه نصوص الكتاب والسنة ، وبينت الآثار المترتبة عليه ، فهو كفراناً لنعمة الوالدين ، وبرهما للولد ، وهذا ما سيتضح من خلال تفصيله .

معنى العقوق :

لغة : العقوق أصله من العَقَّ الشَّقَّ والقَطَعَ ... وَعَقَّ وَالِدَهُ يَعُقُّهُ عَقًّا وَعُقُوقًا وَمَعَقَّةً: شَقَّ عَصَا طَاعَتِهِ. وَعَقَّ وَالِدِيهِ: قَطَعَهُمَا وَلَمْ يَصِلْ رَحِمَهُ مِنْهُمَا، وَقَدْ يُعَمُّ بِلَفْظِ الْعُقُوقِ جَمِيعَ الرَّحِمِ... (١)

اصطلاحاً : "صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول وفعل إلا في شرك أو معصية ما لم يتعننت الوالد..." (٢)

ضابط العقوق :

وضابط العقوق هو إذا احد الوالدين بما لو فعله مع غيرهما مما هو محرم و يعد من الصغائر فينتقل في حق الوالدين إلى الكبائر ، أو يخالف أمر احدهما فيما يدخل فيه الضرر والمشقة على نفسه أو فوات عضو من أعضائه ، أو سفر يشق عليه أو غياب طويل مما ليس بفرض على الولد . (٣)

التحذير من العقوق :

وقد حذر الإسلام من عقوق الوالدين وجعله محرماً ومن أكبر الكبائر ، وبين عظم ذنب مرتكبه ، حيث :

(١) ابن منظور: "لسان العرب" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص (١٢٦-١٢٧) .
(٢) المباركفوري: "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي" ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في عقوق الوالدين ، ص (٨) .
(٣) المكي ، أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيثمي : الزواجر عن اقتراف الكبائر ويليها : ١- كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ، ٢- الإعلام بقواطع الإسلام ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ، ج ٢ ، ص (٧٢-٧٣) .

- " اقتترن بالاشرك بالله : لما بينهما من المناسبة إذ في كل قطع حقوق السبب في الإيجاد والإمداد إن كان ذلك لله حقيقة وللوالدين صورة ، ونظيره ، قال تعالى : **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾** (١) وقوله عز وجل : **﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾** . (٢)... (٣)

- جعله الله تعالى من أكبر الكبائر ، فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال : **«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال ثلاثاً: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين...»** (٤)

- عجل الله عقوبة مرتكبه في الدنيا قبل الآخرة ، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **«كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخَّرُ اللَّهُ مَا شَاءَ مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ»**. (٥)

وكذا يتضح من قصة نوح مع ابنه و هو الابن الرابع واسمه يام وكان كافراً دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون ، فعاقبه الله تعالى بالغرق (٦) ، قال تعالى : **﴿وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ لِي إِذَا مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَتَادِي نُوحَ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعزِلٍ يُبَيِّنُ أَرْكَبَ مَعًا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَأُوِي إِلَى**

(١) سورة النساء : الآية (٣٦) .

(٢) سورة لقمان : الآية (١٤) .

(٣) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب الشهادات ، باب ماجاء فمن لا يجوز شهادته ، ص (٤٩٢) .

(٤) سبق تخريجه ، ص (٧٠) .

(٥) الحاكم : " المستدرک علی الصحیحین " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلا عقوق الوالدين ، ص (١٥٦) ، وقال الحاكم : حديث صحيح ولم يخرجاه .

(٦) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٤٠٦) .

جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا
الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِقِينَ». (١)

- جعله سبب لدخول النار، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ
اللَّهِ؟ قَالَ «مَنْ أَدْرَكَ أَبُوَيْهِ عِنْدَ الْكَبِيرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ». (٢)

- جعله دليل على سوء الخلق : قال تعالى : «وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا
عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا» . (٣)

فإنه تعالى يمتدح يحيى بأنه كان براءً بوالديه، مسارعاً في طاعتها ومحبتهما،
غير عاققٍ بهما ولم يكن مستكبراً عن طاعة ربه وطاعة والديه، وكان لله ولو بالديه
متواضعاً متذللاً، ياتمر لما أمر به، وينتهي عما نهي عنه، لا يعصي ربه، ولا
والديه. (٤)

وكذا امتدح الله عيسى عليه السلام لبره بوالدته ، وربطه بحسن خلقه ، فقال :
«وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ
أُبْعَثُ حَيًّا». (٥)

يقول الطبري في تفسيره للآية : " عن بعض أهل العلم، قال: لا تجد عاقفاً إلا
وجدته جباراً شقياً." (٦)

(١) سورة هود : الآية (٤١ - ٤٣).

(٢) سبق تخريجه ، ص (٨٢) .

(٣) سورة مريم : الآية (١٤ - ١٥) .

(٤) الطبري : " جامع البيان على تأويل القرآن " ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص (٥٨) .

(٥) سورة مريم : الآية (٣٢ - ٣٣) .

(٦) الطبري : " جامع البيان على تأويل القرآن " ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص (٨٢) .

ويتضح أثر سوء الخلق على العقوق كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِيُؤَدِّيهِ أَفَّ لَكُمْ أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَنْغِيَانِ اللَّهَ وَيَلُكُ آمِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١).

قال ابن كثير: "لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما ومالهم عنده من الفوز، والنجاة، عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين فقال: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِيُؤَدِّيهِ أَفَّ لَكُمْ﴾ وهذا عام في كل من قال هذا..." (٢)

فعقوقهما دليل على الجحود وكفران النعمة حيث أن نعمة الوالدين من أعظم النعم بعد نعمة الله تعالى وهذا لا يصدر إلا من سيء الخلق.

- حذر الإسلام من أدنى درجات العقوق وهو كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفًّا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا...﴾ (٣)

"قال ابن عباس: {أف} كلمة كراهة بالغ تعالى في الوصية بالوالدين، واستعمال وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا نقول لهما عند الضجر هذه الكلمة فضلا عما يزيد عليها. قال القرطبي: قال علماؤنا: وإنما صار قول {أف} للوالدين أردأ شيء لأن رفضهما رفض كفر النعمة، وجدد التربية، وردّ وصية الله. و{أف} كلمة منقولة لكل شيء مرفوض ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿أَفَّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي رفض لكم ولهذه الأصنام معكم انتهى..." (٤)

فما بالنا بأعلى من ذلك من حدة نظر إلى سب إلى نهر ، وقد يصل في بعض الأحيان إلى ضرب كما هو حال الكثير من المجتمعات الآن بل قد نسمع الآن بالقتل .

(١) سورة الأحقاف : الآية (١٧).

(٢) ابن كثير: " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (١٤٣) .

(٣) سورة الإسراء : الآية (٢٣).

(٤) ابن حيان الأندلسي : البحر المحيط ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ — ج ٦ ، ص (٢٧) .

وما ذلك إلا لضعف غرس هذا المبدأ في نفوس الأولاد.

- عقوق الوالدين سببا في سوء الخاتمة والعياذ بالله كما في قصة ، غرق ولد نوح عليه السلام عندما عصى والده قال تعالى : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَتَادِي نُوحَ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ يُبَيِّنُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَأُوَى إِلَىٰ جِبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ (١)

أسباب العقوق (٢):

ومن الأسباب التي تؤدي إلى العقوق ما يأتي :

١- ضعف الوازع الديني ، فالتقوى مفتاح كل خير قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّكِلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ... ﴾ (٣) .

٢- التربية السيئة للأولاد منذ الصغر ، فعندما تتحرف تربية الأولاد عن المنهج التربوي الإسلامي ، يضعف غرس هذا المبدأ التربوي في نفوسهم .

٣- التفرقة في معاملة الأولاد ، فإن في ذلك نمو الضغينة والكراهة في نفس الطفل مما يجعلها تنتمي تجاه والديه .

٤- القدوة السيئة من الوالدين أو أحدهما ، فالطفل إنما هو مرآة والديه يعكس تصرفاتهم في مستقبله .

٥- عقوق الوالدين لوالديهما فالجزاء من جنس العمل لحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَقُوا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ نَعْفُ

(١) سورة هود : الآية (٤٢-٤٣).

(٢) الحارثي : " المبادئ التربوية المتضمنة في (كتاب البر والصلة والآداب) " ، مرجع سابق ، ص(٦٩) ، بتصرف .

(٣) سورة الطلاق : الآية (٢ - ٣) .

نِسَاؤُكُمْ، وَبَرَّوْا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمُ آبَاؤُكُمْ، وَمَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ مُتَنَصِّلاً فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ مُحَقَّقًا
كَانَ أَوْ مُبْطَلًا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَرُدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ» (١).

٦- البيئـة والرفقة السيئة ، فللرفقة أثر سيء على سلوك الأبناء إن ابتعدت عن رقابة
الوالدين وتوجيههما .

٧- تقصير المناهج المدرسية والمعلمين ، من حيث التركيز على غرس هذا المبدأ.

٨- سوء خلق الزوجة أو الزوج ، فقد يكون سبب لإفساد علاقة أحدهما بوالديه وعدم
أعانتـه على برهما .

٩- عدم إعانة الوالدين أبنائهم على برهما .

الأمور المعينة على تطبيق مبدأ بر الوالدين (٢):

١- إخلاص النية لله تعالى ، فيبتغي المرء من بره لوالديه رضا الله تعالى والأجر منه
وحده ، فعند صلاح النية يجد العبد توفيقا وإعانة من الله تعالى على بره .

٢- تقوى الله تعالى ، فهو مفتاح كل خير قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ... ﴾ (٣).

٣- استحضار فضائل البر وعواقبه في الدنيا والآخرة العاجلة والآجلة .

٤- استحضار فضل الوالدين عليه فهما سبب وجوده من عدم بعد الله تعالى وهما
المنعمان عليه بالرعاية والتربية وما تحملا في سبيل ذلك حتى قوي عوده .

٥- تدريب النفس وتوطينها على البر .

(١) الحاكم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب برّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم ، ص
(١٥٤). وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) الحارثي : " المبادئ التربوية المتضمنة في (كتاب البر والصلة والآداب) " ، مرجع سابق ،
ص (٧٦) ، بتصريف .

(٣) سورة الطلاق : الآية (٢ - ٣) .

٦- أن يتذكر المرء أن الجزاء من جنس العمل وأنه كما تدين تدان ، لحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... يَرَوَا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ...» (١).

٧- أن يتذكر المرء دوما نعمة وجود أبويه في حياته وأنها راحلان ، فيتدارك برهما.

٨- التواصي بالبر وقراءة سير البارين ، ففي ذلك تشحيز للهمة لبرهما .

٩- وإن مات الأبوان فليتدارك برهما بسلوك الطرق المعينة على برهما بعد مماتهما من دعاء وصدقة وحج ...

١٠- الالتزام بتربية الأبناء وفق المنهج الإسلامي الصحيح ، الذي يتضمن غرس مبدأ البر في نفوسهم من خلال العدل والمحبة والرفق والعطف والحنان ...

آثار مبدأ بر الوالدين :

ولبر الوالدين آثار عظيمة يمن الله بها على عباده البارين ، ومنها ما يلي :

١- الفوز برضا الله تعالى ، و الجنة ، فالبار بوالديه يطلق عليه بار لأنه أدى نوع من أنواع البر السالفة الذكر فهو مستحق لأسم البررة ولأجرهم، قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ * وَمَا أَنْرَاكَ مَا عَلِيُونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكَ * فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾. (٢).

٢- إجابة الدعاء للبار بوالديه فرضى الوالدين سبب لرضى الله تعالى .

٣- كمال الإيمان ، فالبر إنما هو الإيمان والتقوى .

(١) سبق تخريجه ، (٩٨) .

(٢) سورة المطففين : الآية (١٨ - ٢٨) .

٤- البركة في الرزق والعمر ، فيحصل للعبد البار التوفيق من الله تعالى .

٥- بر الأبناء للبار بوالديه فالجزاء من جنس العمل .

٦- حسن الخاتمة .

٧- زيادة تكاتف أفراد المجتمع من خلال هذه الحلقة الاجتماعية الأولى .

٨- الفوز بمحبة الناس والذكر الجميل بينهم ، فرضا الله تعالى سبب لمحبة الناس ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أحبَّ الله عبداً نادى جبريل إن الله يحبُّ فلاناً فأحبُّه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحبُّ فلاناً فأحبُّوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض». (١)

٩- النجاة من عذاب القبر ، فالعقوق سبب من أسباب عذاب القبر ، بالإضافة إلى عذاب الآخرة .

١٠- تفريج الكرب ، فالبر بالوالدين سبب لتفريج الكرب في الدنيا والآخرة، كما اتضح في قصة أصحاب الغار .

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب المقة من الله تعالى ، رقم الحديث (٦٠٤٠) ، ص (٧٢٣٤).

المبحث الثاني

مبدأ صلة الرحم

مبدأ صلة الرحم مبدأ ثابت بنصوص الكتاب والسنة قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهََ وَيَالُواِلِدِينِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ ، حَتَّى إِذَا فَرَعَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحْمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصَلَ مِنْ وَصَلِكَ وَأَقَطَعَ مِنْ قَطَعِكَ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ . قَالَ : فَهَوَ لَكَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢) . (٣)

فمبدأ صلة الرحم هو الدائرة الأوسع بعد مبدأ بر الوالدين التي تزيد من ترابط المجتمع المسلم من خلال الأقارب ، لذا يعتبر الحلقة الثانية من حيث الأهمية في التربية الإسلامية التي تقوي تربية العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم ، فنقيمها على أساس متين ، وهذا الترتيب يتضح من خلال قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالُواِلِدِينِ إِحْسَانًا وَيَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٤).

فمن خلال الآية اتضحت الحلقات الاجتماعية التي رتبها المولى عز وجل في هذه الآيات بحسب الأهمية داخل المجتمع المسلم ، ودعا إلى ضرورة ترابطها وتقوية العلاقات فيما بينها، فجعل صلة الرحم تأتي ثاني هذه الحلقات وذلك دال على أهميتها.

(١) سورة البقرة : الآية (٨٣).

(٢) سورة محمد : الآية (٢٢).

(٣) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب من وصل وصله الله ، رقم الحديث (٥٩٨٧) ، ص (٧١٧٩)

(٤) سورة النساء : الآية (٣٦).

مفهوم مبدأ صلة الرحم :

ولبيان مفهوم هذا المبدأ لأبد من بيان شقيه (الصلة والرحم) :

الصلة :

لغة: أصل الكلمة وصل ، وأوصلت الشيء بالشيء وصلا وصلة والوصل ضد الفصل ، والهجران ، وأتصل الشيء بالشيء لم ينقطع (١) .

اصطلاحاً: حقيقة الصلة فيما يتعلق ب(صلة الرحم) العطف والرحمة ، فصلة الله تعالى لمن وصل رحمه عبارة عن لطفه بهم ورحمته إياهم وعطفه عليهم بإحسانه ونعمه أوصلتهم بأهل ملكوته الأعلى وشرح صدورهم لمعرفة وطاعته . (٢)

الرحم :

لغة: أصل الكلمة من الرحمة ، والرقعة ، والمغفرة ، والتعطف كالمرحمة والرحم ، والرحم ، بالكسر : منبت الولد ، ووعاءه ، والقرابة أو أصلها وأسبابها وجمعها أرحام . (٣)

اصطلاحاً: قال ابن الأثير : نوو الرحم هم الأقارب ، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب (٤) . سواء كان يرثه أم لا سواء كان ذا محرم أم لا (٥) .

(١) ابن منظور : " لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص (٢٥٢) .

الفيروز آبادي : " القاموس المحيط " ، مرجع سابق ، ص (١٣٨٠) .

(٢) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، ص (١١٢) .

(٣) الفيروز آبادي : " القاموس المحيط " ، مرجع سابق ، ص (١٤٣٦) .

(٤) ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري : النهاية في غريب الحديث والأثر تحقيق : محمود محمد الطناحي ، طاهر احمد الزاوي ، دار إحياء الكتب ، القاهرة ، (د .

ت) ، ج ٢ ، ص (٢١٠) .

(٥) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب فضل صلة الحم ، ص (٧١٧٧) .

فالرحم هم أقارب الإنسان وسموا رحماً لسببين :

١- اشتقاقها من أسم الرحمن : " عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " قال الله عز وجل : أنا الرحمن ، وأنا خلقت الرحم ، واشتقت لها من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته ". (١)

٢- لانحدار القرابة من أصل واحد وهو الرحم . (٢)

ولذا سمي الرحم أقارب لأنهم خرجوا من رحم واحده . (٣)

فالرحم ولأقارب بمعنى واحد فتارة تذكر في نصوص الشريعة رحم وتارة أقارب ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (٥)

مفهوم مبدأ صلة الرحم :

صلة الرحم : في النهاية : " هي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم وكذلك إن تعدوا وأسأوا ، وضد ذلك قطيعة الرحم " (٦).

قال ابن جمره :

"المعنى الجامع لصلة الرحم ، إيصال ما أمكن من الخير ، ودفع ما أمكن من الشر"

(١) البخاري : " الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، باب فضل صلة الرحم رقم الحديث (٥٣) ، ص (٣٨).

(٢) علوان ، عبد الله ناصح : " تربية الأولاد في الإسلام " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣٠٠).

(٣) القرطبي : " الجامع لأحكام القرآن " ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص (٥ - ٧) .

(٤) سورة النساء : الآية (١) .

(٥) سورة البقرة : الآية (٨٣) .

(٦) ابن الأثير : " النهاية في غريب الحديث والأثر " ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص (١٩١) .

بحسب الطاقة . وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة ^(١) .

تعريف الباحثة لمفهوم مبدأ صلة الرحم :

يصل ما أمكن من المعروف بحسب الطاقة والوسع ، وبحسب ما يقتضيه الشرع والعرف والإنسانية .

حقيقة صلة الرحم :

ويتضمن حكمها ، وحدها ، ودرجاتها .

حكمها :

قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ^(١) .

"والميثاق هو الذي أخذ عليهم حين أخرجوا من صلب آدم كالذر " ^(٢) ، ومن ضمن هذا الميثاق هو صلة الرحم .

قال القاضي عياض : " لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة " ^(٤) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحْمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصَلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ يَا رَبَّ. قَالَ: فَهُوَ

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب من وصل وصله الله ، ج ١٢ ، ص (٧١٨١) .

الصنعاني ، محمد بن إسماعيل : سبل السلام شرح بلوغ المرام ، ج ٤ ، دار الحديث ، مصر ، (د . ت) ، كتاب الجامع ، باب البر والصلة ، ص (١٥٣٣) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٨٣) .

(٣) القرطبي : " الجامع لأحكام القرآن " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٢) .

(٤) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، ص (١١٣) .

لك: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: فاقْرَؤُوا إِن شِئْتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾. (١) ... (٢)

فالحديث فيه أخبارا بتأكيد الأمر بصلة الرحم وأنه تعالى أنزلها منزلة من استجار به فأجاره فادخله في حمايته وإذا كان ذلك فجار الله غير مخذول . (٣) .

قال القاضي عياض : " والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظيم إثم قاطعها بعقوقهم، لهذا سمي العقوق قطعاً والعق الشق كأنه قطع ذلك السبب المتصل". (٤)

والرحم إما أن تكون مسلمة مستقيمة ، أو عاصية ، أو كافرة .

فأما الرحم المسلمة المستقيمة ، هي الرحم الواجب صلتها المتوعد بقطيعتها، قال تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٥).

لحديث : " عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم - جهاراً غيرَ سرِّ - يقول: إن آلَ أبي - قال عمرو في كتاب محمد بن جعفر: بياضٌ - ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالِحُ المؤمنين» زاد عبسة بن عبد الواحد عن بيان عن قيس عن عمرو بن العاص قال: سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم: ولكن لهم رحمٌ أبْلها ببلالها، يعني أصلها بصلتها». (٦)

(١) سورة محمد : الآية (٢٢).

(٢) سبق تخريجه ، ص (١٠١).

(٣) المرجع السابق ، ص (٧١٨١).

(٤) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، ص (١١٢).

(٥) سورة البقرة : الآية (٢٥٧).

(٦) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب تَبَل الرحم ببلالها ، رقم الحديث (٥٩٩٠) ، ص (٧١٨٢) .

قال ابن بطال: "أوجب في هذا الحديث الولاية بالدين ونفاها عن أهل رحمه إن لم يكونوا من أهل دينه، فدل ذلك على أن النسب يحتاج إلى الولاية التي يقع بها الموارثة بين المتناسبين، وأن الأقارب إذا لم يكونوا على دين واحد لم يكن بينهم توارث ولا ولاية..."^(١)

أما إذا كنت الرحم كافرة أو فاجرة ، فيقول ابن جمرة : " فإن كانوا كفارا أو فجارا فمقاطعتهم في الله هي صلتهم، بشرط بذل الجهد في وعظهم، ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق ، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى"^(٢).

قال ابن حجر : فأما من أمر بقطعه من أجل الدين ، لا يلحق بالوعيد من قطعه لأنه قطع من أمر الله بقطعه، لكن لو وصلوا بما يباح من أمر الدنيا لكان فضلا، كما دعا صلى الله عليه وسلم لقريش بعد أن كانوا كذبوه فدعا عليهم بالقطط ثم استشفعوا به فرق لهم لما سألوه برحمهم فرحمهم ودعا لهم، وكذا أن صلة الرحم الكافر ينبغي تقييدها بما إذا أيس منه رجوعا عن الكفر، أو رجي أن يخرج من صلبه مسلم، كما في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لقريش بالخصب لعل الله أن يهديهم أو يخرج من صلبهم من يسلم ، فيحتاج من يترخص في صلة رحمه الكافر أن يقصد إلى شيء من ذلك، وأما من كان على الدين ولكنه مقصر في الأعمال مثلا فلا يشارك الكافر في ذلك .^(٣)

فتكون صلة الرحم المشتركة بالمعروف ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «رأى عمر حلة سبأ تباع، فقال: يا رسول الله، ابتع هذه والبسها يوم الجمعة وإذا جاءك الوفود. قال: إنما يلبس هذه من لا خلق له. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم منها بحل، فأرسل إلى عمر بحلة فقال: كيف البسها وقد قلت فيها ما قلت؟

(١) المرجع السابق ، باب تبيل الرحم ببلاها ، ص (٧١٨٢) .

(٢) المرجع السابق ، باب من وصل وصله الله ، ص (٧١٨١) .

(٣) المرجع السابق ، باب تبيل الرحم ببلاها ، ص (٧١٨٥) .

قال: إني لم أعطكها لتلبسها، ولكن تبيعها أو تكسوها. فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم». (١)

حد الرحم :

وفي تحديد معنى الرحم وحكمها يتضح حدها ، فالرحم التي تجب صلتها ويحرم قطيعتها من حيث حدها هي على الأرجح كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث يستوي المحرم وغيره ، وهم المعنيون بقوله تعالى : ﴿... وَأَوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ...﴾ (٢) ... (٣) ، فالأرحام هم الأقارب من النسب من جهة الأم والأب (٤).

درجاتها :

وصلة الرحم من حيث درجاتها على وجهين : من حيث الصلة نفسها أي درجات الصلة ، ومن حيث الرحم أي الرحم الأولى بالصلة .

الوجه الأول من حيث الصلة :

قال القاضي عياض : " و الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلم، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلاً...". (٥)

(١) المرجع السابق ، باب صلة الأخ المشرك ، رقم الحديث (٥٩٨١) ، ص (٧١٧٦) .

(٢) الأحزاب : الآية (٦) .

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، ص (١١٣) ، و القارى : " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٦٦٨) .

(٤) عبد العزيز بن باز ، ومحمد بن عثيمين : فضل بر الوالدين وصلة الأرحام ، جمع وترتيب أحد طلبة العلم ، ط ١ ، دار ابن خزيمة ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤١٩ هـ ، ص (٩٨) .

(٥) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، ص (١١٣) .

وأعلى الدرجات الوصل هي التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمة وصلها»^(١).

، فالمراد في هذا الحديث الكامل فإن المكافأة نوع صلة ولكن الواصل أعلى درجة وهو من يتفضل ولا يتفضل عليه والمكافأة لا تزيد في أعطاء مأخذ .^(٢)

وقد ورد حديث في الوصل وفضله ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِي قَرَابَةً. أَصْلِيهِمْ وَيَقْطَعُونِي. وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيَسِينُونَ إِلَيَّ. وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفِهُمُ الْمَلَّ. وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(٣).

والمعنى " كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق أكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه، وقيل معناه أنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف المل، وقيل ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كامل يحرق أحشائهم والله أعلم^(٤).

فصلة الرحم الحقيقية هي التفضل بالصلة .

الوجه الثاني من حيث الرحم :

وهذا الوجه يتمثل في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَحَقُّ بِحَسَنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ «أُمَّكَ. ثُمَّ أُمَّكَ. ثُمَّ أُمَّكَ»

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، ، باب ليس الواصل بالمكافئ ، رقم الحديث (٥٩٩١) ، ص (٧١٨٧) .

(٢) المرجع السابق ، باب ليس الواصل بالمكافئ ، ص (٧١٨٨) .

(٣) النووي: "صحيح مسلم بشرح النووي" ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها ، ص (١١٥) .

(٤) المرجع السابق ، باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها ، ص (١١٥) .

أُمَّكَ. ثُمَّ أَبُوكَ. ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ» (١).

قال القاضي: وأجمعوا على أن الأم والأب أكد حرمة في البر ممن سواهما، قال: وتردد بعضهم بين الأجداد والأخوة لقوله صلى الله عليه وسلم: «ثم أدناك أدناك» قال أصحابنا: يستحب أن تقدم في البر الأم ثم الأب ثم الأولاد ثم الأجداد والجندات ثم الأخوة والأخوات، ثم سائر المحارم من نوي الأرحام كالأعمام والعمات والأخوال والخالات، ويقدم الأقرب فالأقرب، ويقدم من أدلى بأبوين على من أدلى بأحدهما، ثم بذى الرحم غير المحرم كابن العم وبنته وأولاد الأخوال والخالات وغيرهم ثم بالمصاهرة ثم بالمولى من أعلى وأسفل ثم الجار، ويقدم القريب البعيد الدار على الجار، وكذا لو كان القريب في بلد آخر قدم على الجار الأجنبي وألحقوا الزوج والزوجة بالمحارم والله أعلم. (٢)

عن بهز بن حكيم ، عن أبيه عن جده قال: قلت: «يا رسول الله، من أبر؟ قال: أمك، قال: قلت: ثم من؟ قال: أمك، قال: قلت: ثم من؟ قال: أمك، قال: قلت: ثم من؟ قال: ثم أبك ثم الأقرب فالأقرب» (٣)

(ثم الأقرب فالأقرب) أي إلى آخر نوي الأرحام. قال النووي: فيه الحث على بر الأقارب وأن الأم أحقهم بذلك، ثم بعدها الأب ثم الأقرب فالأقرب. (٤)

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ، قال: «قلت: يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبك ثم الأقرب فالأقرب. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل رجل مولاة من فضل هو عنده فيمنعه إياها إلا دعي له يوم القيامة فضله الذي منعه شجاعا أقرع» (٥).

(١) المرجع السابق ، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ، ص (١٠٢).

(٢) المرجع السابق ، ص (١٠٣).

(٣) المباركفوري : "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى" ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في بر الوالدين ، ص (٣) ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

(٤) المرجع السابق ، ص (٤) .

(٥) أبادي : "عون المعبود شرح سنن أبي داود" ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، كتاب الأدب ، باب في بر الوالدين ، ص (٣٩) ، قال الشارح أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن .

المراد بالمولى القريب أي ذو القربى وذو الأرحام والله أعلم ... الشجاع الحية والأقرع هو الذي انحسر الشعر من رأسه من كثرة سمه. ... (١)

ففي ذلك تحذير عظيم للدلالة على عظم مكانة صلة الرحم .

مكانة مبدأ صلة الرحم في التربية الإسلامية :

إن لصلة الرحم مكانة عظيمة في التربية الإسلامية لما تحقق من مكاسب اجتماعية للمجتمع المسلم ، وهي من أهم الحلقات الاجتماعية بعد بر الوالدين ، وفيما يلي بيان مكانتها في التربية الإسلامية في ضوء الأدلة الشرعية :

١- اشتقاقها من أسم الرحمن :

اشتقت الرحم من أسم الرحمن ، وهذا دلالة على عظم مكانة صلتها في التربية الإسلامية ، لحديث : " عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " قال الله عز وجل : أنا الرحمن ، و أنا خلقت الرحم ، واشتقت لها من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته." (٢)

٢- اقتران مبدأ صلة الرحم بالتوحيد :

قرنت صلة الرحم بتوحيد الله في أكثر من موضع في القرآن الكريم والسنة ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهََ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٣) .

وبذي القربى : أي الأمر بصلة الرحم ومعرفة حقه . (٤)

وعن رجل من خنعم قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من

(١) المرجع السابق .
(٢) سبق تخريجه ، ص (١٠٣) .
(٣) سورة البقرة : الآية (٨٣) .
(٤) القرطبي : " الجامع لأحكام القرآن " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٤) .

أصحابه فقلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نعم» .

قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «إيمان بالله».

قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: «ثم صلة الرحم».

قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: «ثم الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر».

قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: «الإشراك بالله».

قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: «ثم قطيعة الرحم».

قال: قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.^(١)

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ...﴾^(٢) .

فدل الحديث والآية على اقتران صلة الرحم بتوحيد الله تعالى و بالشرك .

٣- مبدأ صلة الرحم شريعة ربانية :

فصلة الرحم من أوّل الشرائع الربانية ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن

النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ

الرَّحْمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ

وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ يَا رَبِّ. قَالَ: فَهُوَ لَكَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: فَافْرَوْا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا

أَرْحَامَكُمْ﴾^(٣)^(٤)

(١) نور الدين الهيثمي: "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، مرجع سابق، ج ٤، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وقطعها، ص (١٥١)، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة.

(٢) سورة النساء: الآية (٣٦).

(٣) سورة محمد: الآية (٢٢).

(٤) سبق تخريجه، ص (١٠١)

واستمرت هذه الشريعة لمن قبلنا ولنا قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ... ﴾ (١).

فالميثاق هو : الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجوا من صلب آدم كالذرة على الراجح (٢)، ففيه دلالة على إن صلة الرحم هي من ضمن الميثاق الذي سبق أخذه علي بني آدم واستمرت هذه الشريعة في ديننا كما في حديث سؤال الرجل من خثعم.

٤- صلة الرحم تدل على مكارم الأخلاق :

فصلة الرحم إنما هي من أنواع البر والواصل إنما يعد من أهل البر ، لذا فهو متصف بالسجايا الحسنة التي تحثه على الصلة، وقد ربط الله تعالى بعض هذه السجايا بصلة الرحم ، قال تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَآءِ الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ أَلَسَيِّئَةٌ أُولَآئِكَ لَهُمْ عُقْبَىٰ الدَّارِ * جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ﴾ (٣).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمة وصلها». (٤)

" هذا من باب الحث على مكارم الأخلاق كقوله تعالى: ﴿ أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

السَّيِّئَةِ ﴾ (٥) ... قال الطيبي: التعريف في الواصل للجنس أي ليس حقيقة الواصل ومن

(١) سورة البقرة : الآية (٨٣) .

(٢) سبق ذكره (١٠٤) .

(٣) سورة الرعد : الآية (١٩ - ٢٤) .

(٤) سبق تخريجه ، ص (١٠٨) .

(٥) سورة المؤمنون : الآية (٩٦) .

يعتد بوصله من يكافئ صاحبه بمثل فعله. ونظيرة قولك: هو ليس بالرجل بل الرجل من يصدر منه المكارم والفضائل... (١)

عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدرته فأخذت بيده وبدرني فأخذ بيدي، فقال: «يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة، تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ألا ومن أراد أن يمد في عمره وييسر في رزقه فليصل ذا رحمه». (٢)

فصلة الرحم لا تقع إلا من كريم ومحسن وحليم ومتواضع

٥- صلة الرحم تدفع ميتة السوء :

وعن علي رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمُدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ، وَيُوسَعَ عَلَيْهِ فِي زَرْقِهِ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ مَيْتَةُ السُّوءِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ». (٣)

٦- ولعظم حق الرحم فإن الله تعالى ورث القربات بعضهما بعض :

قال تعالى : : «... وَأَوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ...» (٤)

ولتوريث القربات من بعضها البعض يتجلى مبدأ العدالة في التربية الإسلامية من خلال مبدأ صلة الرحم ، ففيه حفظ لحق القريب الميت والحي على حد سواء ، فالميت لا يغتم بسبب وصول ماله من بعده إلى أجنبي ربما لا يرعى حقه بل هو مطمئن لوصوله لقريبه ، وأما الحي فإنه يعزیه في فقد قريبه ما استخلفه له من مال وآثره به دون الأجنبي ، لذا فالقرباة أولى بأن تدوم بينهم حسن العشرة ، ومما يؤكد ذلك حديث

(١) المباركفوري: "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذی"، مرجع سابق، ج ٦، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صلة الرحم، ص (١٦).

(٢) الحاكم: "المستدرک علی الصحیحین"، مرجع سابق، ج ٤، كتاب البر والصلة، من أراد أن يمد في رزقه فليصل رحمه، ص (١٦٢).

(٣) نور الدين الهيثمي: "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، مرجع سابق، ج ٤، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وقطعها، ص (١٥٢-١٥٣)، وقال: "رواه عبد الله بن أحمد والبزاز والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح غير عاصم بن ضمرة وهو ثقة.

(٤) سورة الأحزاب: الآية (٦).

النبي صلى الله عليه وسلم : " ما زال جبريلُ يُوصيني بالجارِ حتى ظننتُ أنه سيُورثه ». (١)

فدل ذلك على إن وجود التورث بين القرابة إنما يدل على عظم حقهم ، فوجود التورث دليل على عظم الحق. (٢)

٧- صلة الرحم مقرونة بصلة الله تعالى ورحمته :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إنَّ الرَّحْمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ اللَّهُ : مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ ». (٣)

وأصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة وقوله من الرحمن : إنما أخذ أسمها من "الرحمن" والمعنى : أنها أثر من آثار الرحمة مشتبكة بها ، فالقاطع لها منقطع من رحمة الله . (٤)

٨- صلة الرحم دلالة على كمال الإيمان :

امتدح الله عباده الواصلين وسماهم أولى الألباب كما في قوله : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئُوا الْأَلْبَابِ ﴾ إلى قوله ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾. (٥)

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الوصايا بالجار ، رقم الحديث (٦٠١٤) ، ص (٧٢١٠) .

(٢) الحلبي : " كتاب المنهاج في شعب الإيمان " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٥٣) .

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب من وصل وصله الله ، رقم الحديث (٥٩٨٩) ، ص (٧١٨٠) .

(٤) المرجع السابق ، ص (٧١٨١) .

(٥) سورة الرعد : الآية (١٩ - ٢٤) .

قال الطبري : " وقوله: «وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» يقول تعالى ذكره: والذين يصلون الرحم التي أمرهم الله بوصولها فلا يقطعونها، «وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ» يقول: ويخافون الله في قطعها أن يقطعوها، فيعاقبهم على قطعها وعلى خلافهم أمره فيها. وقوله: «وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ» يقول: ويحذرون مناقشة الله إياهم في الحساب، ثم لا يصفح لهم عن ذنب، فهم لرهبتهم ذلك جاثون في طاعته محافظون على حدوده." (١)

... فقرن وصل الرحم وإيتاء الزكاة لوجهه، وجعل ذلك كله من فعل أولي الألباب، ثم وعد بالجنة وزيارة الملائكة إياهم فيها وتسليمهم عليهم . (٢)

ومما يدل على إن صلة الرحم من علامات الإيمان حديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» . (٣)

٩- صلة الرحم كفارة لذنوب :

فصلة الرحم تكفر الذنوب ، فعن أبي بكر بن حفص عن ابن عمر رضي الله عنه : «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ هَلْ لَكَ مِنْ أُمَّ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَبِرَّهَا» (٤).

(١) الطبري : " جامع البيان على تأويل القرآن "، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص (١٤٠).
(٢) الحلبي: " كتاب المنهاج في شعب الإيمان " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٥١) .
(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ، رقم الحديث (٦١٣٨) ، ص (٧٣٢١).
(٤) سبق تخريجه ، ص (٧٦).

١٠- عظم جزاء واصل الرحم :

رغب الله تعالى في صلة الرحم حيث وعد الواصل بالأجر العظيم قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ إلى قوله ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (١)

- وعد سبحانه واصلها بدخول الجنة عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه «أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال القوم: ماله ماله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أربّ ماله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وثقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم. ذرها. قال: كأنه كان على راحلته» (٢).

- وجعل أجر الصدقة على الرحم أجر الصلة والصدقة لحديث ، عن سلمان بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال: «الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم ثنتان صدقة وصلية» (٣)

- وجعلها سبب لتعجيل الأجر في الدنيا ، فصلة الرحم سبب لزيادة الرزق والبركة في العمر، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سرّه أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل

(١) سورة الرعد : الآية (١٩ - ٢٤).

(٢) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب فضل صلة الرحم ، رقم الحديث (٥٩٨٣) ، ص (٧١٧٦).

(٣) المباركفوري : "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي" ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الزكاة ، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة ، ص (٢٧٧) ، قال أبو عيسى: حديث حسن .

رَحْمَةً». (١)

ومعنى زيادة العمر : " أي أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر فكأنه لم يمّت ، ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده ، والصدقة الجارية عليه ، والخلف الصالح " . (٢)

وكذا هي سبب للبركة في الأرض من مطر وما يتبعه من خير لحديث ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ لَيَعْمُرُ بِالْقَوْمِ الدِّيَارَ وَيُنْمِرُ لَهُمُ الْأَمْوَالَ، وَمَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ مِنْذُ خَلَقَهُمْ بَعْضًا لَهُمْ» قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «لِتَضِييعِهِمْ أَرْحَامَهُمْ». (٣)

١١ - عظم عقوبة قاطع الرحم :

فقطيعة الرحم : هي ترك الإحسان إلي الرحم أو الإساءة إليه ، حيث أن الصلة نوع من الإحسان والقطيعة ضدها . (٤)

وقطيعة الرحم معصية عظيمة ، بل هي كبيرة من الكبائر لورود الوعيد الشديد فيها. (٥)

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ . (٦)

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب من بسط له في الرزق بصلة الرّحم ، رقم الحديث (٥٩٨) ، ص (٧١٧٨) .

(٢) المرجع السابق ، ص (٧١٧٨ - ٧١٧٩) .

(٣) نور الدين الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحم وقطعها ، ص (١٥٢) ، وقال : رواه الطبراني ، وإسناده حسن .

(٤) الصنعاني : " سبل السلام شرح بلوغ المرام " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الجامع ، باب البر والصلة ماهي الرحم وبماذا توصل ، ص (١٥٤٠) .

(٥) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب من وصل وصله الله ، ص (١٧٨٢) .

(٦) سورة الرعد : الآية (٢٥) .

وقرن قطيعة الرحم بنقض عهد الله والإفساد في الأرض ثم أخبرنا بأن لهم عند الله اللعنة وسوء المنقلب... فثبت بالآية ما في قطعها من الوزر والإثم ... (١)

- سببا في الحرمان من دخول الجنة لحديث : عن ابن شهاب أن محمد بن جبير بن مطعم قال: إن جبير بن مطعم أخبره أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يدخل الجنة قاطع». (٢)

- و سببا لتعجيل العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة ، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْخِيَانَةِ وَالْكَذِبِ، وَإِنَّ أَعْجَلَ الْبِرِّ ثَوَابًا لَصَلَّةِ الرَّحِمِ حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَكُونُوا فُقَرَاءَ فَتَنَّمُوا أَمْوَالَهُمْ وَيَكْتُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوا». (٣)

- إن القطيعة سببا في عدم قبول العمل ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلُّ خَمِيْسٍ لَيْلَةٍ الْجُمُعَةِ فَلَا يُقْبَلُ عَمَلٌ قَاطِعَ رَحِمٍ». (٤)

وكذا هي سبب لجذب الأرض وانقطاع خيراتها ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ لَيُعْمَرُ بِالْقَوْمِ الدِّيَارَ وَيُئَمِّرُ لَهُمُ الْأَمْوَالَ، وَمَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ مِنْذُ خَلَقَهُمْ بَعْضًا لَهُمْ» قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «لتضييعهم أرحامهم». (٥).

(١) الحلبي: "كتاب المنهاج في شعب الإيمان" ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٥١) .

(٢) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، إثم القاطع ، رقم الحديث (٥٩٨٤) ، ص (٧١٧٧) .

(٣) نور الدين الهيثمي: "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحم وقطيعتها ، ص (١٥١ - ١٥٢) ، وقال : قلت: رواه أبو داود باختصار كثير . رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن موسى بن أبي عثمان الأنطاكي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٤) المرجع السابق ، ص (١٥١) ، وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٥) سبق تخريجه ، ص (١١٧) .

حقوق الرحم :

و في ضوء ما سبق بيانه من المكانة العظيمة لصلة الرحم في التربية الإسلامية
تتضح حقوق الرحم ويمكن أن نجملها في النقاط التالية :

[الإحسان إلى الرحم :

والإحسان إلى الرحم يشمل ضروب الإحسان المعنوي والحسي ، ويتدرج
بحسب الأقرب فلاقرب - كما سبق - ومن ضروب الإحسان إلى القريب ما يلي :

١- صلته بالزيارة :

فالزيارة هي من أقوى أنواع الصلة ففيها زيادة لعرى المحبة والألفة بين
الأرحام ، وفيها تفقد لأحوالهم ومعرفة حاجاتهم ، لذا لم يمنع النبي صلى الله عليه
وسلم أسماء من زيارة أمها المشركة ، فالإحسان إلى الرحم بالزيارة أثره عظيم ،
لحديث : «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي
لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ».(١)

وقال عمر بن دينار رحمه الله : " تعلمن انه ما من خطوة بعد الفريضة أعظم
أجر من خطوة إلى ذي الرحم ".(٢)

٢- عيادته في مرضه :

فمن حقوق الرحم على رحمه أن يعود في مرضه ، ففي ذلك زيادة الألفة
والمحبة بالإضافة إلى التخفيف عليه فالقريب عندما يجد أقاربه من حوله في مرضه
ترتفع روحه المعنوية ويعجل ذلك في شفائه ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله

(١) الحاكم : "المستدرک علی الصحیحین" ، مرجع سابق ، ج ٤ ، کتاب البر والصلة ،
المتحابون في الله يظلمهم الله ،....، ص (١٦٩) . وقال الحاكم : "وهذا إسناد صحيح على شرط
الشيخين ولم يخرجاه".

(٢) ابن أبي الدنيا ، محمد عبيدان ابن سفيان بن قيس : مكارم الأخلاق ، حققه وشرحه وقدم له
جميز أ . بلي ، دار النشر فرانزشتاينز بقبسبادن ، ١٣٩٣هـ ، ص (٦٢) .

عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكّوا العاني». (١)

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي حَدِيثِ سَعِيدٍ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَائِدُ الْمَرِيضِ فِي مَخْرَفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ». (٢)

٣- إتياع جنازته وتعزيته :

فكما يشارك القريب قريبه في أفراحه ومسراته ، كذلك من سبل الإحسان إليه مشاركته في أحزانه لتخفيف عنه فإذا مات اتبعت جنازته فينفعه بدعائه له، وكذا القيام بواجب العزاء له إن مات له شخص لتخفيف عليه من مصيبتة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول «حقُّ المسلم على المسلم خمسٌ: ردُّ السلام، وعبادةُ المريض، واتباعُ الجنائز، وإجابةُ الدعوة، وتشميتُ العاطس». (٣)

٤- الصدقة عليه :

إن الصدقة على الرحم نوع من أنواع الصلة وهو الأولى بها من غيره ، وفيها اجر الصلة والصدقة لحديث : عن سلمان بن عامر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: «الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم ثنتان صدقة وصلية». (٤)

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب المرضى ، باب وجوب عيادة المريض ، رقم الحديث (٥٦٤٩) ، ص (٦٨٠٣) .
(٢) النووي: "صحيح مسلم بشرح النووي" ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب فضل عيادة المرضى ، ص (١٢٤) .
(٣) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الجنائز ، باب الأمر بإتياع الجنائز ، رقم الحديث (١٢٤٠) ، ص (١٦٧٦) .
(٤) سبق تخريجه ، ص (١١٦) .

٥ - النفقة عليه :

إن النفقة في حق الأرحام على بعضهم واجبة لمن يرث رحمه ، إذا كان الرحم محتاج تجب نفقته على وارثه ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ (١) . (٢) ، عن عامر بن سعد رضي الله عنه قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا مريض بمكة ، فقلت : لي مال ، أوصي بمالي كله؟ قال : لا . قلت : فالشطر؟ قال : لا . قلت : فالثلث؟ قال : الثلث ، والثلث كثير أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس في أيديهم . ومهما أنفقت فهو لك صدقة ، حتى اللقمة ترفعها في في امرأتك ، ولعل الله يرفعك ، ينتفع بك ناس ويضرب بك آخرون . » (٣) .

٦ - الإهداء له :

إن الهدية تزيد من وشائج الألفة والمحبة وتقوي العلاقة بين الأفراد وتزيل أسباب البغض والشحناء لحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ ، وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ لِحَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فَرَسِينَ شَاةً » (٤) .

٧ - معاشرته بالمعروف :

إن المسلم عندما يتميز بحسن الخلق في معاشرته للآخرين يكتسب محبتهم وتقديرهم ، لذا فوجود حسن العشرة بين الأقارب نوع من الإحسان لهم الذي يقوي

(١) ابن قدامة ، أبي محمد عبد الله بن أحمد : المغني ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، عبد الفتاح محمد الطلو ، ط ٣ ، عالم الكتب ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤١٧ هـ ، ج ١١ ، ص (٣٧٤-٣٧٥) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب النفقات ، باب فضل النفقة على الأهل ، رقم الحديث (٥٣٥٤) ، ص (٦٤٥١) .

(٤) المباركفوري ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب الولاء والهبة ، باب ما جاء في حث النبي على الهدية ، ص (٢٧٤) ، وقال : قال أبو عيسى : هذا حديث غريب من هذا الوجه . وأبو معشر اسمه نحيح مولى بني هاشم ، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه .

الصلات بينهم ، فلا يحقر المسلم أن يلقي قريبه بوجه طلق وأن يحسن الظن به وان يبدؤه بالسلام وان يستر عوراته ويتغاضى عن زلاته ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ».(١)

٨- مساعدته إذا احتاج :

إن اقرب الناس إلى الإنسان بحكم النسب والدم بعد الدين هم الأقارب ، فإذا احتاج المسلم للمعونة فقريبه من أولى الناس بإعانتته وتفريج كربته ، قال تعالى : ﴿... وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بَعْضٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ...﴾ (٢) ، ولحديث عن أبي موسى الأشعري قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني».(٣)

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».(٤)

٩- أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر :

إن المسلم عندما يبتعد عن جادة الحق ويسلك الطريق الخاطئ فلن يجد أمامه من يحرص على إعادته إلى الجادة إلا قريبه بحكم صلته به وكثرة مخالطته ، فمن واجب المسلم أن يأخذ بيد قريبه إلى الطريق القويم ، وكذا أن يعينه على فعل المعروف ، قال ابن أبي جمرة : " مما يخص الإحسان إلى الجار غير الصالح كفه عن الذي يرتكبه

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ، ص (١٧٧).

(٢) سورة الأحزاب : الآية (٦).

(٣) سبق تخريجه ، ص (١١٩).

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ... ، رقم الحديث (٢٤٤٢) ، ص (٣٠٦٥).

بالحسنى على حسب مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويعظ الكافر بعرض الإسلام عليه ويبين محاسنه والترغيب فيه برفق ، ويعظ الفاسق بما يناسبه بالرفق أيضا ويستتر عليه زلله عن غيره ، وينهاه برفق ، فإن أفاد فيه و إلا هجره قاصداً تأديبه على ذلك مع إعلامه بالسبب ليكف . " (١)

فإذا كان هذا في حق الجار فالقريب من باب أولى لأنه مقدم عليه في البر .

١٠- أن يقدم في صلتهم اتقاهم الله تعالى :

فكلما كان القريب اتقى الله تعالى كان الأجر في صلته أعظم حقا (٢) ، ففي ذلك إعانة له على الخير .

ب [كف الأذى القولى والفعلى :

لا تتوقف صلة الرحم على الإحسان إليه و إنما أيضا تتمثل صلته بكف الأذى عنه ، ففي إذاه نوع قطيعة لأن الهدف من الصلة هو توثيق عرى المحبة والألفة مما يقوي الصلات الاجتماعية للمجتمع ، وفي الأذى خلاف الهدف .

جـ [مقابلة إساءته بالإحسان :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣) .

فصلة الرحم لا تتوقف على الإحسان وكف الأذى بل على الصبر على أذاه وتحمله ومقابلة بالحسنى ، ففي ذلك اجر عظيم في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك عدم

(١) المرجع السابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الوصاة بالجار ، ص (٧٢١١ - ٧٢١٢) .
(٢) السيد ندا ، عبد العزيز : موسوعة الآداب الإسلامية المرتبة على الحروف الهجائية ، دار طيبة للنشر ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٢٤ هـ ، ج ٢ ، ص (٥٣٢) .
(٣) فصلت : الآية (٣٣-٣٦) .

قطيعته إذا قطعك ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمة وصلها».(١)

فالتفضل من جهة القريب لقريبه إنما هو المعنى الصحيح لصلة كما دل الحديث.

[د] تعلم الأنساب :

فعلى المسلم أن يتعلم الأنساب ليعرف قرابته وأقربهم إليه حتى يعينه ذلك على البحث عنهم وصلاتهم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، مَثْسَاءٌ فِي الْأَثَرِ».(٢)

الأمور المعينة على تطبيق مبدأ صلة الرحم :

من الأمور المعينة على تطبيق مبدأ صلة الرحم ما يلي :

١- تقوى الله تعالى .

٢- إخلاص النية لله تعالى وابتغاء الأجر منه دون سواه .

٣- معرفة الأنساب ، لمعرفة الرحم وصلاتهم بحسب الأقرب .

٤- غرس هذا المبدأ في نفوس الأولاد من خلال بيان أهميته وما أعده الله تعالى للواصل من اجر في الدنيا والآخرة ، وبيان إثم القاطع لرحمه ، وتعريفهم بالأقارب وإشراكهم في تنظيم زياراتهم ومساعدتهم وغير ذلك .

٥- استحضار الأجر العظيم في الدنيا والآخرة للواصل وأثم القاطع .

٦- الصبر على أذى الرحم وقطيعته ، ففي ذلك أجر عظيم .

(١) سبق تخريجه ، ص(١٠٨).

(٢) الحاكم: "المستدرک علی الصحیحین" ، مرجع سابق ، ج ٤ ، کتاب البر والصلة ، تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، ص(١٦١) ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٧ - محاولة إزالة أسباب الشقة والخلاف بين الأرحام والإصلاح بينهم .

٨ - زرع محبة نوي الارحام في قلوب الصغار .

أثار مبدأ صلة الرحم :

ولتطبيق مبدأ صلة الرحم ثمار يجنيها المسلم في الدنيا والآخرة منها :

١- رضا الله تعالى ، والفوز بالجنة .

٢- محبة الناس لحديث " صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ " . (١)

فالواصل يفوز بمحبة الناس والذكر الجميل يقول الطيبي رحمه الله : " إن الله

يبقي اثر واصل الرحم طويلا فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم " . (٢)

٣- البركة في العمر والرزق .

٤- حسن الخاتمة .

٥- الترابط الاجتماعي .

(١) المرجع السابق .

(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب من بسك له في رزقه بصلة الرحم ، ص (٧١٧٩) .

المبحث الثالث

مبدأ بر الأولاد

من الحلقات الاجتماعية المهمة في التربية الإسلامية ، التي تعتبر ضرورية لبناء مجتمع إسلامي صالح بكل ما تحمله كلمة الصلاح من معنى هو مبدأ بر الأولاد ، بل هو لب التربية وهدف من أهدافها الأساسية ، فبهذا المبدأ تقوم المجتمعات ويصلح مستقبلها ، لذا أكدت التربية الإسلامية من خلال نصوص الكتاب والسنة على هذا المبدأ ، واعتبرته مبدأ ثابت له أسسه وقيمه وأساليبه ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ . (١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه { فطرة الله التي فطر الناس عليها } (٢) ... (٣)

قال تعالى : ﴿ يُوَصِّيكُمُ اللَّهُ فِيَ أَوْلَادِكُمْ ... ﴾ . (٤)

ويقول ابن القيم : ووصية الآباء سابقة على وصية الأولاد بأبائهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ (٥) ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم ، فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ، ولم ينفعوا آبائهم كبارا . (١)

فمبدأ بر الوالدين إنما هو مترتب على تطبيق مبدأ بر الأولاد .

(١) سورة التحريم : الآية (٦) .

(٢) سورة الروم : الآية (٣٠) .

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ، رقم الحديث (١٣٥٨) ، ص (١٨١٠) .

(٤) سورة النساء : الآية (١١) .

(٥) سورة الإسراء : الآية (٣١) .

(٦) ابن القيم الجوزي ، شمس الدين محمد بن أبي بكر : تحفة المويود بأحكام المولود ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ص (١٨٠) .

مفهوم مبدأ بر الأولاد:

معنى البر :

سبق تعريفه .

معنى الأولاد:

لغة تولد : الوليد : الصبي حين يُولدُ، وقال بعضهم: تدعى الصبية أيضا وليدا ، وقال ابن شميل: يقال غلامٌ مَوْلُودٌ وجارية مَوْلُودَةٌ أي حين ولدته أمُّه، والولد اسم يجمع الواحد والكثير والذكر والأنثى ، ابن سيده: الولدُ والولدُ ، بالضم: ما وُلِدَ أيًا كان، وهو يقع على الواحد والجمع والذكر والأنثى، وقد جمعوا فقالوا أولادًا. (١)

اصطلاحا : فبر الأولاد ، هو القيام بالحقوق الواجبة تجاههم سواء كانت في منظور شرعي أو عقلي أو عرفي ، حيث يتضمن ذلك تربيتهم من جميع النواحي الجسمية والعقلية والروحية والأخلاقية ... الخ .

والفرق بين بر الأولاد وبين بر الآباء أن بر الآباء غالبا ما يتضح من خلال التوجيه الشرعي ، وأما بر الأولاد فيتضح من خلال التوجيه الفطري ، لأن الآباء مفتورون بخلقهم على بر أولادهم والقيام بالحقوق الواجبة الأساسية تجاههم ، أما الأولاد فالفطرة لا توجههم لبر آبائهم وإنما الشرع والعقل .

قال تعالى : ﴿ أَمْأَلُ وَأَلْبُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْأَلًا ﴾ . (٢)

قال تعالى : ﴿ زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ . (٣)

(١) ابن منظور : " لسان العرب " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٤٨٣-٤٨٥) .

(٢) سورة الكهف : الآية (٤٦) .

(٣) سورة آل عمران : الآية (١٤) .

قال تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورُ﴾. (١)

حقوق الأولاد:

وبما أن بر الآباء غالبا ما يتضح من خلال التوجيه الشرعي ، وأما بر الأولاد فيتضح من خلال التوجيه الفطري ، لذا نجد الشرع قد بين الأسلوب الصحيح في تربية الأبناء ولم يحث الآباء على تربيتهم والعناية بهم ويعددهم أو يحذرهم ، فجاءت التوجيهات على شكل حقوق ، وهذه الحقوق تكفل تحقق بر الأولاد بأبائهم ، فعلى الآباء أن يؤدوا حقوق أبنائهم ، فلهم حق البر على الآباء ابتداء ، ويتضمن بر الأولاد القيام تجاههم بجملة حقوق نجلها فيما يلي :

١- اختيار الشريك الصالح :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (٢). (٣)

فمن أعظم حقوق الأولاد هو إيجاد البيئة الصالحة التي سوف ينشئون فيها وهذه البيئة لا تتم إلا من خلال صلاح الوالدين ، ولذلك على كل من الرجل والمرأة أن يحسنا اختيار شريكهما في أولادهما وهو الشريك الصالح ، فالرجل عادة يبدأ بالبحث عن الزوجة ، فعليه اختيار الزوجة ذات الدين والخلق ، عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

(١) سورة الحديد : الآية (٢٠).

(٢) سورة الروم : الآية (٣٠) .

(٣) سبق تخريجه ، ص (١٢٦).

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُنْكَحُ عَلَى دِينِهَا وَمَالِهَا وَجَمَالِهَا. فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ. تَرَبِّتْ يَدَاكَ» (١).

فأرشد النبي صلى الله عليه وسلم راغبي الزواج بأن يظفروا بذات الدين لتقوم الزوجة بواجبها الأكمل في أداء حق الزوج وأداء حق الأولاد وأداء حق البيت على النحو الذي أمر به الإسلام وحض عليه الرسول صلى الله عليه وسلم (٢).

وفي المقابل حث الإسلام المرأة أو نويها بالقبول بالرجل صاحب الدين والخلق.

ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة وأداء الحقوق الزوجية وتربية الأولاد والقوامة الصحيحة في الغيرة على الشرف ، وتأمين حاجات البيت بالبذل والأنفاق (٣).

عَنْ أَبِي حَاتِمِ الْمَرْزِيِّ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخَلْقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ» .

قالوا يا رسول الله وإن كان فيه؟

قال: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخَلْقَهُ فَأَنْكِحُوهُ «ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»» (٤).

وبهذا الاختيار السليم لكلا الطرفين يوجد الجو المناسب الذي ينشأ فيه الأولاد

نشأة سوية .

"وكلما كان الزوجان صالحين موفقين في الحياة الزوجية ، متحابين متعاونين ،

نشأ الأولاد مباركين من الله ، محفوظين من همزة الشياطين ، بعيدين عن أسباب النكد

(١) المباركفوري: "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي"، مرجع سابق، ج ٤، كتاب النكاح، باب ما جاء أن المرأة تنكح على ثلاث، ص (١٥١)، قال أبو عيسى: حديث جابر حديث حسن صحيح .

(٢) علوان: "تربية الأولاد في الإسلام"، مرجع سابق، ج ١، ص (٣٠) .

(٣) المرجع السابق، ص (٣١) .

(٤) المباركفوري: "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي"، مرجع سابق، ج ٤، كتاب النكاح، باب ما جاء في من ترضون دينه فزوجوه، ص (١٥٠)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وأبو حاتم المزني له صحبة، ولا نعرف له عن النبي غير هذا الحديث .

والضغط النفسي ، والعقد والانحراف ، والزيغ والأخلاق الذميمة ، لأن صلاح الأبوين يعود بالخير على الأولاد ولو مات الأبوان والأولاد صغار. " (١)

قال تعالى : ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ . (٢)

قال ابن كثير في تفسيره : " وقوله : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة، لتقر عينه بهم، كما جاء في القرآن ووردت به السنة. " (٣)

٢ - حفظة من الشيطان :

فصلاح الأبوان يدعوهما إلى تطبيق مبادئ الشريعة في المعاشرة الزوجية وكل ذلك بهدف المحافظة على الولد حتى قبل أن يتكون وذلك باتباع الحديث الشريف ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : «قال النبي صلى الله عليه وسلم: أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله: بسم الله، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم فدر بينهما في ذلك أو قضى ولد لم يضره شيطان أبداً». (٤)

ويستمر هذا التوجيه الرباني يسير في كل مرحلة من مراحل نمو هذا الولد ، فمن حق المولود عل والديه أن يأذنا في أذنه، فعن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه ، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته

(١) حسن أيوب : " السلوك الاجتماعي في الإسلام " ، مرجع سابق ، ص (٢١٣).

(٢) سورة الكهف : الآية (٨٢).

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٩٤).

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب النكاح ، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله ، رقم الحديث (٥١٦٥) ، ص (٦١١٤) .

فاطمة بالصلاة" (١).

والسر في التأذين في أذن المولد ، ليكون أول ما يقرع سمعه الكلمات المتضمنة لكبرياء الله تعالى وعظمته ، فكان ذلك أن يلقن دعوة التوحيد أول ما يدخل إلى الدنيا كما يلقنها آخر خروجه منها ، وكذا أن تسبق الدعوة إلى دين الله دعوة الشيطان ، ففي ذلك حفظ وحرز له من الشيطان. (٢)

وعندما يبدأ الطفل بالتمييز وفهم التوجيهات من والديه يرببانه على المداومة على الأذكار التي تحفظ الإنسان بأذن الله تعالى ، وخير قدوة لنا مربي هذه الأمة ، فعن ابن عباس رضي الله عنه ، قال: «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا عَلَّامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: إِحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، إِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تَجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَعَتِ الصُّحُفُ». (٣)

، فقد ربي النبي صلى الله عليه وسلم أمته على المحافظة على أذكار اليوم واللييلة التي تحقق لهم الحرز من الشيطان طوال اليوم بإذن الله تعالى ، فعن حذيفة قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام قال: باسمك اللهم أموت وأحيا. وإذا استيقظ من منامه قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور». (٤)

(١) المباركفوري: "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي"، مرجع سابق، ج ٥، كتاب الأضاحي، باب الأذان في أذن المولد، ص (٧١)، قال: وروي عن النبي في العقيقة من غير وجه: عن الغلام شاتان مكافئتان. وعن الجارية شاة. وروي عن النبي أيضا: أنه عقَّ عن الحسن ابن علي بشاة. وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا الحديث.

(٢) ابن القيم الجوزي: "تحفة المودود بإحكام المولد"، مرجع سابق، ص (٢٥-٢٦).

(٣) المباركفوري: "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي"، مرجع سابق، ج ٧، كتاب صفة القيامة، باب، ص (٢٢٨)، وقال: قال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، رقم الحديث (٦٣١٢)، ص (٧٥٥٠).

ف نجد الطفل في مراحل حياته تربي على ذكر الله تعالى و تعلقه به في كل أمر من أموره ، فيحفظه الله تعالى بحفظه له .

٣- حقوقه مولودا :

ولالأولاد حقوق خاصة بمرحلة الولادة خصتها نصوص الكتاب والسنة بالذكر ، فبعد أن يخرج المولود إلى النور تجب على والديه جملة من الحقوق أهمها:

أ- إحسان تسميته :

عن جابر رضي الله عنه ، قال: «وُلِدَ لرجل منا غلامٌ فسماه القاسمَ، فقلنا: لا نكنيكَ أبا القاسم ولا كرامة. فأخبرَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: سمَّ ابنكَ عبدَ الرحمن»^(١).

فارشد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى اختيار الاسم الحسن للمولود وهو عبد الرحمن ، فهي من أحب الأسماء إلى الله .^(٢)

فالاسم الحسن له تأثير كبير على شخصية صاحبه .

قال الطبري : " لا تنبغي التسمية باسم قبيح المعنى، ولا باسم يقتضي التزكية له، ولا باسم معناه السب، ...، ولو كانت الأسماء إنما هي أعلام للأشخاص لا يقصد بها حقيقة الصفة، لكن وجه الكراهة أن يسمع سامع بالاسم فيظن أنه صفة للمسمى، فلذلك كان صلى الله عليه وسلم يحول الاسم إلى ما إذا دعي به صاحبه كان صدقا، قال: وقد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أسماء، وليس ما غير من ذلك على وجه المنع من التسمي بها بل على وجه الاختيار... " ^(٣)

(١) المرجع السابق ، كتاب الأدب ، باب أحب الأسماء إلى الله عز وجل ، رقم الحديث (٦١٨٦) ، ص (٧٣٦٧) .

(٢) المرجع السابق ، ص (٧٣٦٧) .

(٣) المرجع السابق ، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ، ص (٧٣٧٥) .

وقد غير النبي صلى الله عليه وسلم أسم برة إلى زينب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه «أنَّ زينبَ كان اسمها برةً، فقيل: تُركي نفسها فسمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينبَ». (١)

قال أبو داود: وقد غير النبي صلى الله عليه وسلم العاص وعتلة بفتح المهملة والمتناة بعدها لام وشيطان وغراب وحباب بضم المهملة وتخفيف الموحدة وشهاب وحرب وغير ذلك ... " (٢)

ونهى عن الاسم القبيح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أُختى الأسماءِ يومَ القيامةِ عندَ الله رجلٌ تسمى ملك الأملأ». (٣)

وكان صلى الله عليه وسلم يتفاعل بالاسم ، لذا نجده طلب من الصحابي حزن أن يغير اسمه إلى سهل كما في الحديث ، عن الزهري : عن ابن المسيب عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما اسمك؟ قال: حزن. قال: أنت سهل، قال: لا أُغيرُ اسماً سمّاهُ أبي. قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعدُ». (٤)

ب- العقيقة :

وفي اليوم السابع يسن أن يعق عن المولود، والعقيقة هي : " بفتح العين المهملة، وهو اسم لما يذبح عن المولود، واختلف في اشتقاقها، ... قال الخطابي: العقيقة اسم الشاة المذبوحة عن الولد، سميت بذلك لأنها تعق مذابحها أي تشق وتقطع ... " (٥).

(١) المرجع السابق ، الحديث (٦١٩١) ، ص (٧٣٧٣) .

(٢) المرجع السابق ، ص (٧٣٧٦) .

(٣) المرجع السابق ، باب أبغض الأسماء ، رقم الحديث (٦٢٠٥) ، ص (٧٣٨٩) .

(٤) المرجع السابق ، باب اسم الحزن ، رقم الحديث (٦١٩٠) ، ص (٧٣٧٢) .

(٥) المرجع السابق ، ج ١١ ، كتاب العقيقة ، ص (٦٥٦١) .

عن محمد بن سيرين حدثنا سلمان بن عامر الضبي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دماً، وأميطوا عنه الأذى». (١)

وتذبح عن الولد شاتان وعن البنت شاة واحدة. (٢)

وللعقيقة فوائد دينية واجتماعية كثيرة منها (٣):

- أنها قربان يتقرب به المولود في أول أوقات خروجه إلى الدنيا.
- أنها تفك رهان المولود ، فإنه مرتين بعقيقته حتى يشفع لوالديه .
- أنها فدية يفدى بها المولود كما فدى الله سبحانه وتعالى إسماعيل عليه السلام، فتحفظ المولود من الشيطان فيكون كل عضو من العقيقة فداء عن كل عضو من أعضاء المولود.
- إن فيها تجديد نعمة الله على الوالدين .
- إشاعة نسب الولد بين الناس .
- اجتماع الأقارب والأصدقاء للوليمة فيه ترابط اجتماعي .
- الإقتداء بأهل السخاء والكرم .

(١) المرجع السابق ، باب إمطة الأذى عن الصبي في العقيقة ، رقم الحديث (٥٤٧٢) ، ص (٦٥٦٥).

(٢) المرجع السابق ، ص (٦٥٦١) .

(٣) خطار ، يوسف محمد : التربية الإيمانية والنفسية للأولاد في ضوء علم النفس والشريعة الإسلامية ، ط ١٤٢٤هـ ، دار التقوى ، دمشق ، ص (١٠٩) ، نشأت المصري ، أختي المسلمة كيف تستقبلين مولودك الجديد ، نقلا عن الجلال ، عائشة الجلال : المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم وطرق علاجها ، ط ١ ، دار المجتمع ، المملكة العربية السعودية ، جده ، ١٤١٢هـ ، ص (١٦٣) ، ولتفصيل عن العقيقة من ابن القيم الجوزية : " تحفة المودود بإحكام المولود" ، مرجع سابق ، ص (٥٤-٥٨)

ج- الرضاع والحضانة :

ومن حقوق الأولاد الواجبة الرضاع والحضانة ، قال تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يَوْلَدُهُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. (١)

فألزم الإسلام الأم المسؤولية الكبرى في الحضانة فهي مهياة لذلك لما منحها الله من ميزات جسدية ونفسية .

والرضاعة والحضانة حق محفوظ للمولود حتى في حالة انفصال الأبوين لينمو المولود نموا جسديا سليما ، فالزم الأب في حالة الطلاق أن يوفر لهذا المولود حقه من الرضاعة والحضانة .

٤- النفقة :

ومن جملة الحقوق كذلك النفقة ، قال تعالى : ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أَوْلَاتٍ حَمَلْنَ فَانْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فِستَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى * لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾. (٢)

فالنفقة إنما جعلها الإسلام من واجبات الأب لأنه الأقر على ذلك لما منح الله من قدرات فطرية ، و أكد الإسلام على الأب الأنفاق على الأم أن كانا منفصلان حتى تنهياً لتربية الابن وحضانهه لينشأ الابن نشأة سليمة .

(١) سورة البقرة : الآية (٢٣٣).

(٢) سورة الطلاق : الآية (٦-٧).

ولأهمية النفقة على نشأة الولد تنشئة سوية ، رغب الإسلام الأب في النفقة على الأولاد بل اعتبرها صدقة ، عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أنفق المسلم نفقة على أهله - وهو يحسبها - كانت له صدقة».(١)

وحذر من عدم أداء هذا الحق ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت».(٢)

عن أبو هريرة رضي الله عنه قال: «قال النبي صلى الله عليه وسلم: أفضل الصدقة ما ترك غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول. تقول المرأة: إما أن تطعمني وإما أن تطلقني. ويقول العبد: أطعمني واستعملني. ويقول الابن: أطعمني، إلى من تدعني؟ فقالوا: يا أبا هريرة، سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا. هذا من كيس أبي هريرة».(٣)

" وذهب الجمهور إلى أن الواجب أن ينفق الأب على أولاده حتى يبلغ الذكر أو تتزوج الأنثى ثم لا نفقة على الأب إلا إن كانوا زمني، فإن كانت لهم أموال فلا وجوب على الأب... " (٤)

فعندما يعي الأب هذا الحق للأولاد ويطبقه بالطريقة الصحيحة بلا إسراف ولا تقتير ، يقي أولاده من الكثير من الأمراض الاجتماعية التي تنشأ نتيجة للانحراف عن تطبيق هذا المبدأ وفق المنهج الإسلامي الصحيح .

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب النفقات ، باب فضل النفقة على الأهل ، رقم الحديث (٥٣٥١) ، ص (٦٤٥١) .

(٢) أبادي: "عون المعبود شرح سنن أبي داود" ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الزكاة ، باب في صلة الرحم ، ص (٨٥) قال المنذري : وأخرجه النسائي وأخرجه مسلم في الصحيح من حديث خيثمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عن يملك قوته».

(٣) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب النفقات ، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال ، رقم الحديث (٥٣٥٥) ، ص (٦٤٥٤) .

(٤) المرجع السابق ، ج ١١ ، كتاب النفقات ، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال ، ص (٦٤٥٥) .

٥- التربية والتعليم :

على الوالدان أن يوفران للأولاد التعليم المناسب فيعلمانهم أولاً : العلم الضروري الذي من خلاله يقيموا دينهم على الوجه الذي شرعه الله تعالى وقدوتنا الأنبياء عليهم السلام ، فمن أهم ما ربوا عليه أولادهم معرفة الدين القويم : «وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ، أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (١)

فابراهيم عليه السلام أوصى أولاده بكلمة " أسلمت لرب العالمين " وهي الإسلام الذي أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو إخلاص العبادة لله تعالى ، وخضوع القلب والجوارح له. (٢)

ووصايا لقمان لأبنيه عليهما السلام هي أيضاً تبين توجيه التربية الإسلامية الآباء إلى ضرورة تعليم أولادهم العلم الضروري المتمثل في تعاليم الدين الصحيحة ، قال تعالى : «وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ». (٣)

«يَبْنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ». (٤)

فيعرفانهم بربهم وبالعقيدة الصحيحة ، وكذلك يعلمانهم ما فرض عليهم من الواجبات ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاصْرِبْهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ

(١) سورة البقرة : الآية (١٣٢-١٣٣).

(٢) الطبري : " جامع البيان على تأويل القرآن " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٥٦٠) .

(٣) سورة لقمان : الآية (١٣) .

(٤) سورة لقمان : الآية (١٧) .

أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع». (١)

فالوالدان مسئولان عن تعليم أولادهم دينهم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ . (٢)

قال ابن كثير في تفسيره : " قال اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله، وقال قتادة تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه فإذا رأيتهم على معصية ردعتهم عنها وزجرتهم عنها، وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه. " (٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (٤)... (٥)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». (٦)

(١) أبادي : " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ، ص (١٢٣) ، قال المنذري: والحديث أخرجه الترمذي. وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) سورة التحريم : الآية (٦).

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٣٥٢).

(٤) سورة الروم : الآية (٣٠).

(٥) سبق تخريجه ص (١٢٦).

(٦) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب النكاح ، باب المرأة راعية في بيت زوجها ، رقم الحديث (٥٢٠٠) ، ص (٦٢٠٢).

كذلك على الوالدين تأديب أولادهم بالآداب التي تتصل بأكلهم ونومهم وغير ذلك ، بما يتماشى مع المبادئ التربوية المتمثلة في الكثير من المواقف التربوية في الكتاب والسنة ، و منها موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع الغلام كما في الحديث ، عن وهب بن كيسان أنه سمع عمر بن أبي سلمة يقول: كنتُ غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيشُ في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: يا غلامُ، سَمَّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك. فما زالت تلك طِعْمَتِي بعدُ» (١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال «كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُؤْتِي بالتمر عند صرام النَّخْلِ، فيجِيءُ هذا بتمره وهذا من تمره، حتى يصيرَ عندهُ كوماً من تمر، فجعل الحسنُ والحسينُ رضي الله عنهما يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما تمرَةً فجعلهُ في فيه، فنظرَ إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأخرجَها من فيه فقال: أما علمتَ أنَّ آلَ محمدٍ لا يأكلون الصدقةَ» (٢)

وينبغي على الوالدين غرس الأخلاق الإسلامية في نفوس أولادهم ، والتربية الإسلامية ألزمت الآباء بذلك من خلال الكثير من المواقف التربوية المذكورة في الكتاب والسنة ، ومن ذلك جملة التوجيهات من لقمان لولده عليهما السلام ، قال تعالى : «يَبْنِيَّ إِنهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَآ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَبْنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَآئِهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» (٣).

(١) المرجع السابق، ج ١١، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام، والأكل باليمين ، رقم الحديث (٥٣٧٦)، ص (٦٤٨٠) .

(٢) المرجع السابق، ج ٤ ، كتاب الزكاة ، باب أخذ صدقة التمر عند صرام النخل وهل يترك الصبي فيمسُّ تمر الصدقة؟ رقم الحديث (١٤٨٥) ، ص (١٩٧٦) .

(٣) سورة لقمان : الآية (١٦ - ١٩) .

عن أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: «أَكْرَمُوا أَوْلَادَكُمْ، وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ». (١)

عن أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
«مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَوَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ». (٢)

فعلى الوالدين غرس المبادئ الخلقية في نفوس أولادهما من حب للآخرين ،
وحب الضعفاء ، وصلة للأرحام ، واحترام للكبير ، ورحمة بالصغير ، وارتياح لفعل
الخير ، ورغبة في إشاعة العدل بين الناس ، وما إلى ذلك من مكارم الأخلاق ، ذلك
إن الخير لا يندفع إلا من النفوس التي ارتوت منه ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، وصدق
من قال : " الصلاح من الله ، والأدب من الآباء " . (٣)

فالوالد المسلم الحصيف يعرف كيف يتسرب إلى نفوس أبنائه ، ويغرس فيها
الحكمة والخلق القويم ، مستخدماً الأساليب التربوية الحكيمة ، من قدوة مثلى محببة ،
وتبسط ومخالطة وحسن تعهد ، ورحمة وتواضع وبشر ، وحب اهتمام وتشجيع ،
وعطف ومساواة وعدل ، ونصح وتسييد وإرشاد ، في لين من غير ضعف ، شدة
من غير عنف ، وبذلك ينشأ الأولاد في جو كله بر ورعاية وحنان ، ومثل هذا الجو
لابد أن يعطي أولاد أبرارا ، أوفياء ، صالحين ، أسوياء الشخصية ، مفتحي الأذهان ،
قادرين على العطاء ، مهيبين لتحمل المسؤوليات ، وهذا بديهي في كل أسرة تربت

(١) ابن ماجه : " سنن ابن ماجه " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الأدب ، باب بر الوالد والإحسان
إلى البنات ، ص (١٢٠٩).

(٢) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب البر
والصلة ، باب ما جاء في أدب الولد ، ص (٥٧) ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب الأدب ،
باب فضل تأديب الأولاد ، ج ٤ ، ص (٢٦٣) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ."
(٣) البخاري : " الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، باب أدب الولد وبره لولده ، رقم الحديث (٩٢)
، ص (٤٨) ، قال المحقق : الحديث ضعيف الإسناد .

على مبادئ الإسلام ، وتأديت بأدب القرآن و صدق الله العظيم : ﴿ صِيغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِيغَةً وَحَنُّ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (١) (٢).

وعلى الوالدين كذلك تعليم أولادهم ما ينفعهم في عصرهم مثل القراءة والكتابة ، والصنعة أو المهنة التي يعيشون منها ، فإن حماية الأولاد من الأضرار واجبة ، كما أن تعليمهم ما هو ضروري لعيشهم حسب زمانهم أمر واجب . (٣)

واختصاص الذكور بتعليمهم السباحة ، والرماية ، لقول عمر رضي الله عنه في كتابة إلى أمراء الأمصار : "علموا أولادكم العوم والفروسية ، وما سار من المثل ، وما حسن من الشعر ... " (٤)

وكذا على الأبوان تعليم بناتهم ما يؤهلهن للقيام بواجباتهن في المستقبل من رعاية زوج وتربية الأولاد .

ويقول ابن القيم : " ووصية الآباء سابقة على وصية الأولاد بابائهم قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۗ ﴾ (٥) ، فمن أهمل تعليم ولده ، لم ينفعه ، وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ، ولم ينفعوا آبائهم كباراً ، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق ، فقال " يا أبت إنك عققنتي صغيراً ، فعققتك كبيراً ، وأضعنتي وليداً ، فأضعنتك شيخاً " (٦).

(١) سورة البقرة : الآية (١٣٨).

(٢) الهاشمي ، محمد على : شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة ، ط ٩ ، دار النشر الإسلامية ، لبنان ، ١٤٢٢ هـ ، ص (١٠٣).

(٣) حسن أيوب : " السلوك الاجتماعي في الإسلام " ، مرجع سابق ، ص (٢١٩) .

(٤) المرجع السابق ، ص (٢١٩).

(٥) سورة الإسراء : الآية (٣١) .

(٦) ابن القيم الجوزي : " تحفة المودود بإحكام المولود " ، ص (١٨٠) .

فالعدل مبدأ ثابت في التربية الإسلامية فهو جزء من شخصية المسلم و سر من أسرار تميزها لذا فهو من ضمن منهج حياته كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝﴾ (٢).

فعلی الوالدين أن يعدلوا في معاملتهم بين أولادهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم ربى صحابته على مراعاة ذلك لإدراكه صلى الله عليه وسلم مدى أهميته، فعن الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِيَعِضِ مَالِهِ فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَىٰ حَتَّىٰ تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاتَّطَلَّقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُشْهَدَهُ عَلَيَّ صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَالِدِكَ كُلَّهُمْ؟ » قَالَ: لَا، قَالَ: « اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ » فَرَجَعَ أَبِي، فَردَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ. (٣).

فعلی الأب أن يعدل بين الأولاد حتى لا تنشأ بينهم مشاعر الكراهية والبغض والحققد وقد أبرزت لنا التربية الإسلامية أهمية العدل بين الأولاد من خلال بيان الآثار السيئة عند إغفال الوالدين لهذا الجانب المهم من تربية الأولاد ، من خلال قصة يوسف ، فسبب حقد أخوته عليه زيادة حب والده له وتقريبه منه ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَذَكِّرِينَ * إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ وَعَصْبَةُ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ

(١) سورة النساء : الآية (١٣٥).

(٢) سورة النحل : الآية (٩٠).

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ، كتاب الهيات ، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد ، ج ١١ ، ص (٦٧) .

وَجَهْ أَيْبِكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْفَوْهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ» (١).

وبالإضافة إلى ذلك قد يدفعهم للقسوة على آبائهم وعدم برهم لحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَعْيَنُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى الْبِرِّ مَنْ شَاءَ اسْتَخْرَجَ الْعُفُوقَ وَلَدَهُ» (٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ» (٣).

على الوالدين أن يعدلوا بين الذكور والإناث في المعاملة وعدم كراهتهن وظلمهن ، كما يحصل لهن بسبب التراكمات الفكرية في مجال التربية الخارجية عن التربية الإسلامية نجدها لا تحضى بالعدالة في تربيتها فيختل هذا المبدأ عند تربية البنت ، ولكن في التربية الإسلامية البنت لها عناية خاصة لما لها من أهمية كبرى في ميدان التربية فهي الأم المربية التي يعتمد عليها في نشأة الشخصية التي صاغت التربية الإسلامية لذا أكدت التربية الإسلامية على مبدأ العدل في تربيتها فلا يفضل عليها الولد بل أهمية تربيتها مضاعفة.

فقد رغب الإسلام وحض على الإحسان إلي البنات وبين عظم أجر من أحسن إليهن فهن أرق وأضعف وأحوج إلى العون ، والرعاية والشفقة والرفق.

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (٤).

قال ابن كثير في تفسيره للآية : " والموعودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسأل الموعودة على أي ذنب قتلت

(١) سورة يوسف : الآية (٧ - ١٠).

(٢) نور الدين الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب إعانة الولد على البر ، ص (١٤٦) ، وقال : " رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه : من لم أعرفهم . "

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب الهبة وفضلها ، باب الهبة للولد ، ص (٣٢٠٤) .

(٤) سورة التكوير : الآية (٨ - ٩) .

ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا؟ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس **«وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سُئِلَتْ»** أي سألت. وكذا قال أبو الضحى: سألت أي طالبت بدمها. (١)

فهذا حال البنت في الجاهلية وعندما أتى الإسلام أنقذها فأعلى من شأنها وبين منزلتها من خلال الترغيب في الإحسان إليها وبيان حقوقها .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ»** وَضَمَّ أَصَابِعَهُ. (٢)

عن عبد الله بن أبي بكر أن عروة بن الزبير أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته قالت: **«جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرٍ واحدة، فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته، فقال: من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهنَّ كنَّ له سِتْراً من النار»**. (٣)

يقول ابن حجر : " وفي الحديث تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالباً عن القيام بمصالح أنفسهن، بخلاف الذكور لما فيهم من قوة البدن وجزالة الرأي وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال... " (٤)

٧ - الرفق والرحمة بالأولاد:

ينبغي للوالدين في تعاملهما مع أولادهما أن يكون مقرونا بالرحمة والعطف ، فإن العطف والرفق والرحمة واللين تولدان شخصية سوية صحيحة نفسياً إذا وضعت في موضعها وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم رحيماً بالأولاد تجلت مظاهر رحمته

(١) ابن كثير: " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٤٢٣) .

(٢) النووي: " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الإحسان إلى البنات ، ص (١٨٠) .

(٣) العسقلاني: " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانفته ، رقم الحديث (٥٩٩٥) ، ص (٧١٩١) .

(٤) المرجع السابق ، ص (٧١٩٥) .

بتقبيلهم وحملهم على عاتقه ، قال تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. (١)

فالرحمة واللين سبب لقبول المتربي توجيهات المربي ، وهذا ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم مع صحابته ، فامتن الله عليه وعلى صحابته برحمته ولينه إذ لو كان غليظا قاسيا لما استطاع أن ينفذا إلى قلوب الصحابة ويربيهم التربية الإسلامية الصحيحة.

فكان صلى الله عليه وسلم قدوة لصحابته في الرحمة بالأولاد صغار كانوا أو كبارا ومن مواقفه التربوية في ذلك ، عن أبو سلمة بن عبد الرحمن «أن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَالِدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَنظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ». (٢)

وعن أبو قتادة قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَامَهُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ عَلَى عَاتِقِهِ فَصَلَّى، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا» (٣)

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخْذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى فَخْذِهِ الْآخَرَ ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَاتِي أَرْحَمُهُمَا». (٤)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، يقول: «إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخِي صَغِيرٍ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ؟» (٥)

(١) سورة آل عمران : الآية (١٥٩).

(٢) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الرحمة بالولد وتقبيله ومعانفته ، رقم الحديث (٥٩٩٧) ، ص (٧١٩٢) .

(٣) المرجع السابق ، رقم الحديث (٥٩٩٦) ، ص (٧١٩١) .

(٤) المرجع السابق ، باب وضع الصبي على الفخذ ، رقم الحديث (٦٠٠٣) ، ص (٧٢٠١) .

(٥) المرجع السابق ، باب الانبساط إلى الناس ، رقم الحديث (٦١٢٩) ، ص (٧٣١٤) .

وقد تأخر النبي صلى الله عليه وسلم في السجود يوماً ، فسأله الصحابة عن السبب ، قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك هذه سجدة قد أطلتها فظننا أنه قد حدث أمر أو أنه قد يوحى إليك قال: «فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْجَلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ» . (١)

فما أعظمها من رحمة جُعلت في هذا النبي المصطفى الذي استطاع من خلالها أخراج جيل يمثل النموذج المثالي في تطبيق مبادئ التربية الإسلامية .

٨- تحريم إيذائهم :

من الفطرة التي أودعها الله في بني البشر العناية والمحافظة على الأولاد ومحبتهم ورعايتهم و عدم إيذائهم ، ولكن قد يحصل ذلك دون قصد إما بسبب بعد عن الله أو جهل كما كان يحصل من واد البنات في الجاهلية والتي حذرت نصوص الكتاب والسنة منها في كثير من المواضع للدلالة على عظم هذا الذنب في حق الأولاد.

قال تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٢).

يقول ابن كثير في تفسيره للآية : "يقول تعالى قد خسر الذين فعلوا هذه الأفاعيل في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم، وضيقوا عليهم في أموالهم فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم، وأما في الآخرة فيصيرون إلى أسوأ المنازل يكذبهم على الله وافترائهم، ... عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام ... " (٣)

وقال تعالى في نفس السورة : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا

(١) أحمد بن حنبل : "مسند أحمد" ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٤٩٣-٤٩٤) .

(٢) سورة الأنعام : الآية (١٤٠) .

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٦٨) .

تَقْرَبُوا الْقَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
ذَلِكَمُ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»^(١).

ففي الآية دلالة عظيمة للأباء وهي أنه تجنّب الوالدين الأذى للولد يؤدي إلى
نتيجة حتمية وهي تجنب الولد أذى والديه و اتضح ذلك من خلال الربط بين حقوقهما
في الآية ، فالجزء من جنس العمل ، «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ
وَأَبَاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا»^(٢) .

والرسول صلى الله عليه وسلم حذر من ذلك لحديث ، عن عمرو بن شُرْحَبِيلٍ
عن عبدالله ، قال قلتُ: «يا رسول الله، أي الذنوب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو
خلقك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك. قال: ثم أي؟ قال: أن
تزاني حليلة جارك. وأنزل الله تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم: «والذين لا
يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ»^(٣)..^(٤)

عن المغيرة بن شعبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ
عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَوَادَّ الْبَنَاتِ. وَكَرِهَ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ،
وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».^(٥)

ومعنى واد البنات دفن البنات بالحياة وكان أهل الجاهلية يفعلونه كراهية فيهن
وكان منهم من يدفن الأولاد مطلقا ، أما نفاسة منه على ما ينفقه من ماله وإما من عدم
ما ينفقه عليه ، وقد خص البنات بالذكر لأنه الغالب في فعلهم ، لأن الذكور مظنة
القدرة على الاكتساب .^(٦)

(١) سورة الأنعام : الآية (١٥١) .

(٢) سورة الإسراء : الآية (٣١) .

(٣) سورة الفرقان : الآية (٦٨) .

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ،
باب قتل الولد خشية أن يأكل معه ، رقم الحديث (٦٠٠١) ، ص (٧٢٠١) .

(٥) سبق تخريجه ، ص (٦٨) .

(٦) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ،
باب عقوق الوالدين من الكبائر ، رقم الحديث (٥٩٧٥) ، ص (٧١٦٧) .

كذلك على الوالدين أن يعملوا بالأسباب ، ويتعلمان ما يعينهما على المحافظة على سلامة أولادهما فهما المسئولان عنهم يوم القيامة ، لحديث «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». (١)

٩- توريثهم وعدم حرمانهم من الميراث :

والتربية الإسلامية ضمنت حقوق الأولاد تجاه آبائهم حتى في حالة وفاتهم كما هو الحال بالنسبة للأباء عند موتهم من دعاء وصدقة ونحوه ... - كما سبق في بر الوالدين - فلاولاد حق الميراث الذي على الآباء عدم حرمانهم منه كما كان الحال في الجاهلية فعندما جاءت التربية الإسلامية أكدته وألزمته ، قال تعالى : ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَليَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ، يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١).

قال ابن كثير في تفسير الآية : "فقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ أي يأمركم بالعدل فيهم، فإن أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث، فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الميراث، وفاوت

(١) سيق تخريجه ، ص (١٣٨).

(٢) سورة النساء : الآية (٧ - ١١).

بين الصنفين، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤونة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة والتكسب وتجشم المشقة، فناسب أن يعطى ضعفي ما تأخذه الأنثى، وقد استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده، حيث أوصى الوالدين بأولادهم، فعلم أنه أرحم بهم منهم، ... (١)

عن جابر بن عبد الله قال: «جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا، ولا تنكحان إلا ولهما مال. قال: يقضي الله في ذلك. فنزلت آية الميراث، فبعث رسول الله إلى عمهما فقال: أعط ابنتي سعد الثلثين وأعط أمهما الثمن وما بقي فهو لك». (٢)

١٠- تزويجهم :

من حق الأولاد على الآباء تزويجهم ، فالإسلام حث الشباب على الزواج والمسارعة إليه لأن فيه حصانة من الانحراف ، فتوجه غرائز الأولاد الوجه السليمة قال تعالى : ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَلَيْسَتَغْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لَتَبْتُّهُنَّ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ

(١) ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، مرجع سابق، ج ١، ص (٤٠٤).

(٢) المباركفوري: "تحفة الأحمدي شرح سنن الترمذي"، مرجع سابق، ج ٦، كتاب الفرائض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في ميراث البنات، ص (٢٢٠)، قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح. لا تعرفه إلا من حديث عبد الله بن محمد بن عجيل. وقد رواه شريك أيضاً عن عبد الله بن محمد بن عجيل.

رَحِيمٌ * وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً
لِّلْمُتَّقِينَ (١)

قال ابن كثير في تفسير الآية : " هذا أمر بالتزويج ... وقد ذهب طائفة من
العلماء إلى وجوبه على كل من قدر عليه... الأياى جمع أيم، ويقال ذلك للمرأة التي
لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له، وسواء كان قد تزوج ثم فارق أو لم يتزوج ...
وقوله تعالى: ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ الآية، قال علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس: رغبهم الله في التزويج وأمر به الأحرار والعبيد ووعدهم عليه
الغنى،... (٢)

وقال تعالى: ﴿ ... قَالَ إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى أَبْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ... ﴾ (٣)

فنبى الله شعيب حرص على تزويج بناته لكونه حق من حقوقهن عليه .

و عن عبد الرحمن بن يزيد قال: «دخلتُ مع علقمة والأسودِ على عبدِ الله،
فقال عبدُ الله: كنا مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم شباباً لاجدُ شيئاً، فقال لنا رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم: يامعشرَ الشباب، من استطاع الباءةَ فليتزوج، فإنه أغضُّ
للْبَصْرِ وأحصنُ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصَّوم، فإنه له وجاء» (٤)

فعلى الآباء أن يعينوا أولادهم ذكورا كانوا أو إناثا على الزواج ، فيعينوا الذكور
على نفقة الزواج والبحث عن المرأة الصالحة وأما البنت بأن يعينوها على اختيار
الزوج الصالح وعدم رده ، بل البحث عن الصالحين وتزويجهم البنت .

الأمور المعينة على تطبيق مبدأ بر الأولاد :

من الأمور المعينة على تطبيق مبدأ بر الأولاد ما يلي :

- (١) سورة النور : الآية (٣٢ - ٣٤).
- (٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٦٩).
- (٣) سورة القصص : الآية (٢٧).
- (٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ج ١٠ ، كتاب النكاح ، باب
من لم يستطع الباءة فليصم ، رقم الحديث (٥٠٦٦) ، ص (٥٩٧١) .

١- تقوى الله تعالى ، فالمؤمن يدرك أن تقوى الله تعالى تتضمن القيام بما عليه من مسؤوليات وحقوق تجاه الآخرين ومن أولاهم أو أولاده فلذة كبده .

٢- أن يكون الوالدان قدوة صالحة لأولادهما ، فالقدوة الصالحة من أهم الأساليب التربوية وأسرعها في التأثير على الناشئ .

٣- المستوى الثقافي لكلا الوالدين مهم ليعيان المسؤولية التربوية العظيمة الملقاة على عاتقهما ، وكذا الثقافة المهمة التي تبين الأساليب والقيم والمهارات الضرورية التي تعتمد على المنهج الإسلامي الصحيح ، ليكتسبها الوالدان لتعنيهما على تربية أولادهما بالشكل الصحيح .

٤- الرفق والرحمة في تربية الأولاد وهذا مبدأ عظيم ومهم في تطبيق هذا المبدأ فمن أهم مواصفات المربي الناجح أن يتمتع بالرفق واللين في موضعهما ، فهما يجعلانه أكثر قبولا لدى المتربي .

٥- المتابعة من قبل الآباء لأولادهم خلال تواجدهم خارج الأسرة .

٦- تعاون المؤسسات الأخرى مع الوالدين في تطبيق هذا المبدأ .

آثار تطبيق مبدأ بر الأولاد :

وفي ضوء ما سبق نخلص إلى أن من ثمار تطبيق مبدأ بر الأولاد ما يلي :

١- الفوز بالجنة والنجاة من النار .

٢- الابن الصالح الذي ينفع بعد الموت .

٣- صلاح مستقبل الأمة وقوتها .

٤- بر الأولاد بالآباء ، فلأب البار بابنه في صغره يبهره ابنه في كبره .

٥- الذكر الحسن ، فإذا ترك المؤمن ذرية صالحة نفعته في حياته أو بعد موته بالذكر الحسن وذلك لما تتمتع به من سمعة طيبة .

المبحث الرابع

مبدأ الوصاة بالجار

مبدأ الوصاة بالجار مبدأ ثابت بنصوص الكتاب والسنة حثت عليه التربية الإسلامية وبالغت في الحث على أداء حقوقه مطلقا ، وقد كان في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية من الحلقات الاجتماعية التي رتبها القرآن الكريم كما في قوله تعالى : **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَلًا فُجُورًا﴾**. (١)

والنبي صلى الله عليه وسلم شدد في الوصية به حتى لا يستهان بحقه باعتباره رابطة قوية تزيد من ترابط أفراد المجتمع المسلم وقوته ، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». (٢)

مفهوم مبدأ الوصاة بالجار :

الوصية :

لغة : أصل الكلمة وصي : أوصى الرجل ووصّاه : عهد إليه ، وأوصيت إليه إذا جعلته وصيك ، وثوآصى القوم أي أوصى بعضهم بعضا. وفي الحديث: استووصوا بالنساء خيرا فإنهن عندهن عوان، والاسم الوصاة والوصاية والوصاية ، وجمعهما جميعا أوصياء.

وقوله عز وجل: **﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾** (٣) معناه يفرض عليكم لأن الوصية من الله إنما هي فرض، والدليل على ذلك قوله تعالى: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ نَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ﴾** (٤) وهذا من الفرض المحكم علينا. (٥)

(١) سورة النساء : الآية (٣٦).

(٢) سبق تخريجه ، ص (١١٤).

(٣) سورة النساء : الآية (١١).

(٤) سورة الأنعام : الآية (١٥١).

(٥) ابن منظور : " لسان العرب " ، مرجع سابق ، ج ٢٠ ، ص (٢٧٣-٢٧٤).

اصطلاحاً : قال الراغب : وصى ، الوصية التقديم إلى الغير بما يعمل به
مقترنا بوعظ ، قال : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ ^(١) ، وقرئ (أو وصى)
قال الله عز وجل ﴿ وَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ ^(٢) - ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ ^(٣)
- ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا ﴾ ^(٤) - ﴿ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ﴾ ^(٥) .. ^(٦)

الجار :

لغة : الجوار : المجاورة والجار الذي يجاروك والجمع جيران ، والجار :
الشريك والمقاسم ، والحليف ، والناصر ، والشريك في التجارة ، والمرأة هي جارة
الرجل ، وما قرب من المنازل ^(٧)

اصطلاحاً : قال الراغب الجار من يقرب مسكنه منك وهي من الأسماء
المتضايقة ، فإن الجار لا يكون جار لغيره إلا وذلك الغير جار له كالأخ والصديق ،
ولما استعظم حق الجار عقلاً وشرعاً عبر عن كل من استعظم حقه بالجار قال تعالى :
﴿ ... وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ^(٨) ، والجار بمعنى القريب فقيل لمن يقرب من غيره
جاره وجاوره ... ^(٩)

مفهوم مبدأ الوصاة بالجار :

قال ابن جرير : " ... ويحصل امتثال الوصية به - أي الجار - بإيصال
ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند اللقاء وتفقد
حاله ، ومعاونته فيما يحتاج إلي غير ذلك . وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف

(١) سورة البقرة : الآية (١٣٢).

(٢) سورة النساء : الآية (١٣١).

(٣) سورة لقمان : الآية (١٤).

(٤) سورة النساء : الآية (١٢).

(٥) سورة المائدة : الآية (١٠٦) .

(٦) الراغب الأصفهاني : " المفردات في غريب القرآن " ، مرجع سابق ، ص (٥٢٥) .

(٧) ابن منظور : " لسان العرب " ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص (٢٢٤) .

(٨) سورة النساء : الآية (٣٦).

(٩) الراغب الأصفهاني : " المفردات في غريب القرآن " ، مرجع سابق ، ص (١٠٣).

أنواعه حسية كانت أو معنوية " (١).

حقيقة الجوار :

ولتحقيق هذا المبدأ لابد أن نعرف ما هي حقيقة الجوار ويتضح ذلك من خلال بيان أنواعه ودرجاته وحده .

١- أنواعه :

الجوار أنواع فأسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي والنافع والضار والقريب والأجنبي، والأقرب دار والأبعد... (٢)

وتتضح هذا الأنواع من خلال قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَاتًا لِذُنُوبِهِمْ لَبَسُوا لَئِيمًا وَالْيَمَانِيَّةَ وَالْجَارِيَّةَ وَالْأَقْرَبَ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٣).

فالجار ذي القربى الجار ذي القرابة والرحم ، والجار الجنب هو الجار البعيد الذي ليس بينك وبينه قرابة سواء كان مسلم أو يهودي أو مشرك أو نصراني ، والصاحب بالجنب هو الرفيق سواء في السفر أو شريكا في تعليم أو قاعدا إلى جنبك في مجلس ، وهذا ما دلت عليه أغلب التفاسير . (٤)

ومما يدل على جوار الجنب حديث أخرجه الطبري : " ... أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من أصحابه وهما على راحتين، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم في غيضة طرفاء، فقطع فصيلين أحدهما معوج والآخر معتدل، فخرج

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الوصاة بالجار ، ص (٧٢١١) .

(٢) المرجع السابق ، ص (٧٢١١) .

(٣) سورة النساء : الآية (٣٦) .

(٤) النسفي ، عبد الله بن احمد بن محمود : تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ط ١ ، راجعه وضبطه : إبراهيم محمد رمضان ، دار القلم ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، ج ١ ، ص (٣١٢) وراجع ، الطبري : " جامع البيان " ، ج ٤ ، ص (٧٧ - ٨٢) ، وابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، ج ١ ، ص (٤٢٧ - ٤٣٩) .

بهما فأعطى صاحبه المعتدل وأخذ لنفسه المعوجّ، فقال الرجل: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أنت أحقّ بالمعتدل مني فقال: «كلاً يا فلان، إنّ كلّ صاحبٍ يصحبُ صاحباً مسئولاً عن صحابته ولو ساعة من نهار»^(١).

٢- درجاته :

تتضح درجات الجوار من جهتين :

الأولى من حيث الحقوق ، فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم درجات الجوار من حيث الحقوق بشكل شامل في الحديث المرفوع الذي أخرجه الطبري وذكره ابن حجر فعن جابر : " الجيران ثلاثة: جار له حق وهو المشرك له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق مسلم له رحم له حق الجوار والإسلام والرحم ".^(٢)

والثانية من حيث القرب والبعد فإن درجة الجار تزداد كلما قرب بابه لحديث عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: «قلت: يا رسول الله إنّ لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك باباً»^(٣).

" قيل: الحكمة فيه أن الأقرب يرى ما يدخل بيت جاره من هدية وغيرها فيتشوف لها بخلاف الأبعد وأن الأقرب أسرع إجابة لما يقع لجاره من المهمات ولاسيما في أوقات الغفلة... »^(٤)

لكن هذا التقديم ليس من باب الوجوب وإنما هو من باب العمل بما هو أعلى أولى كما بين ذلك ابن جريرة .^(٥)

(١) الطبري: " جامع البيان على تأويل القرآن "، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٢٩) .
(٢) العسقلاني: " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الوصاة بالجار ، ص (٧٢١١) .
(٣) المرجع السابق ، باب حقّ الجوار في قُرب الأبواب ، رقم الحديث (٦٠٢٠) ، ص (٧٢١٧) .
(٤) المرجع السابق ، ص (٧٢١٧) .
(٥) المرجع السابق .

٣- حد الجوار :

أختلف في حد الجوار : (١)

١- ف جاء عن علي رضي الله عنه : من سمع النداء فهو جار .

٢- قيل : من صلى معك الصبح في المسجد فهو جار .

٣- وقيل حد الجوار : أربعون دارا من كل جانب . وهو عن عائشة والأوزاعي وأخرج البخاري في الأدب المفرد .

٤- وعن ابن شهاب : أربعون دارا عن يمينه وعن يساره ومن خلفه ومن بين يديه ، فهذا القول يحتمل انه زاد عن الثابت في التوزيع فيكون بزيادة عشرة من كل جانب.

مكانة مبدأ الوصاة بالجار في التربية الإسلامية :

ولمبدأ الوصاة بالجار مكانة عظيمة في التربية الإسلامية دلت عليها نصوص الكتاب والسنة حيث أن الجار يعد من الروابط المتينة التي توثق عرى المجتمع وتزيد في تماسكه ، ولأهميته فهو من المبادئ التي أكدها الإسلام وقد كانت في الجاهلية تعد من مكارم الأخلاق ، ومن خلال تتبع نصوص القرآن والسنة تتضح مكانة مبدأ الوصاة بالجار في النقاط التالية :

١- افتترانه بحق الله تعالى وحق الوالدين والأقربين :

كما في قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَلًا فُجُورًا﴾. (٢)

(١) المرجع السابق ، ص (٧٢١٨).

(٢) سورة النساء : الآية (٣٦).

فحق الجار يعتبر ثالث مبدأ من حيث الأهمية فيما يتعلق بحقوق المخلوقين على بعضهم البعض كما دلت الآية ، لذا قيل أن البخاري رتب أبوابه في كتاب الأدب على هذه الآية فبدأ ببر الوالدين وثنى بذى القربى وثالث بالجار . (١)

٢- الإحسان إلى الجار دلالة على كمال الإيمان :

إن الإحسان إلى الجار دلالة على كمال الإيمان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيقه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». (٢)

فالمراد بقوله (يؤمن) الإيمان الكامل^(٣)، واليوم الآخر هو يوم القيامة الذي هو محل الجزاء على الأعمال حسناتها وقبيحها ، وسمى باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده وخصه بالذكر لإيقاظ النفوس وتحريك الهم للمبادرة إلى إكرام الجار وعدم إيذائه. (٤)

لذا فإن أذية الجار والإخلال بحقوقه هي من أسباب نقصان الإيمان وعلامة من علاماته لحديث ، عن أبي شريح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه». (٥)

في الحديث تشديد بالقسم ثلاث لتأكيد حق الجار فالحديث يدل على نفي الإيمان الكامل عن من يؤذي جاره سواء بالفعل أو بالقول ولا شك أن العاصي غير كامل الإيمان^(٦).

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الوصاة بالجار ، ص (٧٢١٠).

(٢) المرجع السابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، رقم الحديث (٦٠١٨) ، ص (٧٢١٥) .

(٣) المرجع السابق ، ص (٧٢١٦).

(٤) ابن علان ، محمد علان الصديقي الشافعي المكي : دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين ، دار الريان ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٢ ، ص (١٣٩) .

(٥) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه ، رقم الحديث (٦٠١٦) ، ص (٧٢١٢) .

(٦) المرجع السابق ، ص (٧٢١٤) .

٣- الإحسان إلى الجار من مكارم الأخلاق :

لقد جعل الإسلام الإحسان إلى الجار دليل على مكارم الأخلاق حيث كان ذلك ثابتاً في الجاهلية قبل الإسلام ، فأتى الإسلام وأقره، عن أبي شريح العدوي قال: «سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيقه جائزته، قيل وما جائزته يا رسول الله؟ قال: يومٌ وليلةٌ، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقةً عليه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمتُ». (١)

ففي شرح الحديث وضح ابن حجر أن الحديث جمع جملة من مكارم الأخلاق والتي من بينها إكرام الجار وعدم أذيته .

وبين القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾. (٢)

أن إكرام الجار من مكارم الأخلاق لما يترتب عليه من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة (٣) .

والإحسان إلى الجار إنما هو دليل على حسن الخلق ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعت جيرانك يقولون : قد أحسنت فقد أحسنت ، وإذا سمعهم يقولون : قد أسأت فقد أسأت » . (٤)

(١) المرجع السابق ، رقم الحديث (٦٠١٩) ، ص (٧٢١٥) .

(٢) سورة النساء : الآية (٣٦)

(٣) القرطبي : " الجامع لأحكام القرآن " ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص (١٨٥) .

(٤) أحمد بن حنبل : " مسند أحمد " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٤٠٢) .

فبحكم كثرة اختلاط المسلم بجيرانه يميزوا أخلاقه لذا لابد على المسلم أن تكون أخلاقه حسنة مع جيرانه .

٤- التشديد على الوصية بالجار :

شدد الشرع على الوصية بالجار لدرجة ظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سوف يجعل له نصيب من الإرث مع الأقارب وذلك كما في الحديث عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما زال جبريلُ يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه». (١)

وقيل في معنى " سيورثه " أي يأمرني عن الله بتوريث الجار من جاره وهذا خرج مخرج المبالغة في شدة حفظ حق الجار . (٢)

٥- عظم إثم أذية الجار :

- يحرم عليه دخول الجنة لحديث ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بِوَأَيْقَهُ». (٣) والبائقة هي : " البوائق بالموحدة والقاف جمع بائقة وهي الداهية والشيء المهلك والأمر الشديد الذي يوافي بغتة، ... " (٤).

عن ابن عمر ، قال : لقد أتى علينا زمان - أو قال : حين - وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم ، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " كم من جار متعلق بجاره يوم

(١) سبق تخريجه ، ص (١١٤) .

(٢) البدر العيني ، بدر الدين أبي محمد محمود أحمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، دار الفكر ، لبنان بيروت ، (د . ت) ، ج ١١ ، كتاب البر والصلة ، باب الوصاءة بالجار ، ص (١٠٨) .

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، باب تحريم اذى الجار ، ص (١٧) .

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه ، ص (٧٢١٢) .

القيامة ، يقول : يارب هذا أغلق بابي دوني ، فمنع معرفته" (١) ، في الحديث تحذير عظيم من عدم أداء حقوق الجار ، فما بالنا بأذيته .

- مضاعفة الإثم في إيدائه لحديث ، عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « مَا تَقُولُونَ فِي الزَّانَا؟ » قَالُوا : حَرَامٌ حَرَمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بَعَثَ نِسْوَةَ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ .» .

قال : فقال : « مَا تَقُولُونَ فِي السَّرْقَةِ؟ » قَالُوا : حَرَمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ قَالَ : لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَيْبَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ .» (٢)

فلعظم ذنب أذية الجار ينقلب الزنا بحليلة الجار من كبيرة إلى فاحشة. (٣)

- أيجاب الطرد من رحمة الله لمن أذى جاره ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو جَارَهُ قَالَ : أَذْهَبَ فَاصْبِرْ ، فَاتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَقَالَ : أَذْهَبَ فَاطْرَحَ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ ، فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبْرَهُ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ ، فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ وَفَعَلَ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ ، ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ .» (٤)

فالحديث بين الأسلوب التربوي الذي من خلاله يتكاتف المجتمع في الحفاظ على الحقوق الواجبة في التربية الإسلامية فتواصي المجتمع المسلم مع بعضه البعض

(١) البخاري : "الأدب المفرد" ، مرجع سابق ، باب من أغلق الباب على الجار ، رقم الحديث (١١١) ص (٥٢) ، قال : الحديث حسن لغيره .

(٢) البخاري : "الأدب المفرد" ، مرجع سابق ، المفرد و باب حق الجار ، رقم الحديث (١٠٣) ص (٥٠) ، والحديث صحيح .

نور الدين الهيثمي : "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ، كتال البر والصلة ، باب ما جاء في أذى الجار ، ج ٤ ، ص (١٩٨) ، وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات . واللفظ له

(٣) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ج ١٤ ، كتاب الحدود ، باب رمي المحصنات ، ص (٨٣٩٨) .

(٤) أبادي : "عون المعبود شرح سنن أبي داود" ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، كتاب الأدب ، باب في حق الجوار ، ص (٤٩ - ٥٠) .

يضمن أداء هذه الحقوق .

- أذية الجار محبطة للعمل ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ، وتفعل وتصدق ، وتؤذي جيرانها بلسانها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا خير فيها هي من أهل النار " . ، قالوا : إن فلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأثوار ، ولا تؤذي أحد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هي من أهل الجنة " (١) .

٦- أن الجار سبب من أسباب السعادة أو الشقاوة للمرء:

فبحكم المجاورة بين الجيران يتأثر بعضهم البعض بما يحصل للآخر سواء أمر فيه خير أو شر وكذلك بما يصدر من أحدهم ، فتحصل لهم الشقاوة أو السعادة ، فعن نافع بن عبد الحارث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَيِّءُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ» . (٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم :
" اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقام ، فإن جار الدنيا يتحول " . (٣)

٧- تقديم الجار في الشفعة على غيره :

لعظم حق الجوار قدمه الإسلام في الشفعة : "و الشفعة بضم المعجمة وسكون الفاء وغلط من حركها وهي مأخوذة لغة من الشفع وهو الزوج، وقيل من الزيادة، وقيل من الإعانة. وفي الشرع انتقال حصة شريك إلى شريك كانت انتقلت إلى أجنبي بمثل العوض المسمى انتهى . " (٤)

(١) البخاري : "الأدب المفرد" ، مرجع سابق ، باب لا يؤذي جاره ، رقم الحديث (١١٩) ، ص(٥٤) ، والحديث صحيح .

(٢) المرجع السابق ، باب خير الجار الصالح ، رقم الحديث (١١٦) ص(٥٣) ، وأخرجه ، نور الدين الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " ، مرجع سابق ، كتاب الر والصلة ، باب ما جاء في الجار ، ج ٤ ، ص(١٦٣) ، واللفظ له ، وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) البخاري : "الأدب المفرد" ، مرجع سابق ، باب الجار السوء ، رقم الحديث (١١٧) ، ص(٥٣) ، الحديث حسن

(٤) أبادي : " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الإجارة ، باب في الشفعة ، ص(٣٣٥) .

عن عمرو بن الشريد قال: «وقفت على سعد بن أبي وقاص فجاء المسور بن مخرمة فوضع يده على إحدى منكبي، إذ جاء أبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا سعد ابغ مني بيتي في دارك. فقال سعد والله ما أبتاعهما. فقال المسور والله لتبتاعتهما. فقال سعد: والله لا أزيدك على أربعة آلاف منجمة أو مقطعة. قال أبو رافع: لقد أعطيت بها خمسمائة دينار، ولولا أنني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: الجار أحق بسقبة ما أعطيتكها بأربعة آلاف وأنا أعطى بها خمسمائة دينار، فأعطاها إياه» (١)

فطبيق الصحابة لهذا المبدأ العظيم إنما ذلك إيماناً منهم بعظمة هذا الدين وصلاحه لدنياهم وآخرتهم ، فزكت نفوسهم وارتفعت للمبادئ السامية وتركت ملذات الدنيا الفانية ، فالصحابي أبي رافع رضي الله عنه رضي بالمال القليل ، في مقابل تطبيق مبدأ الوصاة بالجار .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجار أحق بشقعة جاره ينتظر بها وإن كان غائباً إذا كان طريفهما واحداً». (٢)

٨- عظم أجر الإحسان إلى الجار :

فلمحسن للجار أجر عظيم فهو سبب لدخول الجنة ، و ذلك لحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ، وتفعل وتصدق ، وتؤدي جيرانها بلساتها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا خير فيها هي من أهل النار " . ، قالوا : إن فلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأثوار ، ولا تؤدي أحد ، فقال رسول الله صلى الله عليه

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الشقعة ، باب عرض الشقعة على صاحبها قبل البيع ، رقم الحديث (٢٢٥٨) ، ص (٢٨٧٣) .
(٢) أبادي: "عون المعبود شرح سنن أبي داود" ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب الإجارة ، باب في الشقعة ، ص (٣٤٠) ، قال المنذري: وأخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، وقال الترمذي حسن غريب .

وسلم: " هي من أهل الجنة" .^(١) فهذا الحديث يبين لنا المعنى الحقيقي لمبدأ الوصاة بالجار وغيره من مبادئ التربية الإسلامية ، فأصل في هذا الدين هو المعاملة أي العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع المسلم التي تنظمها مجموعة المبادئ التربوية الإسلامية ، فلا معنى للعبادات من صلاة وصدقة وصوم إذا لم تكون متسقة ومتماشية مع هذه المبادئ .

٩- الأمر بالتساهل مع الجار في غير معصية :

ولشدة حرص التربية الإسلامية على عدم تفكك العلاقات الإنسانية داخل المجتمع بسبب أمور تافهة ، أوصى الإسلام بالتساهل مع الجار حتى أنه أوصاه بالتساهل معه في أقل الأمور مثل أن لا يمنعه من غرز خشبة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرَزَ خَشْبَهُ فِي جِدَارِهِ . ثم يقول أبو هريرة: ما لي أراكم عنها معرضين ؟ والله لأرمين بها بين أكتافكم» .^(٢) ، فجعل هذه الأسباب توثق عرى التماسك بين أفراد المجتمع ، بدلاً من أن تفككها .

١٠- الإحسان إلى الجار مطلقاً :

ولعظم حق الجار في التربية الإسلامية دلت النصوص على الإحسان إلى الجار مطلقاً ، فالإحسان يشمل الجار المشرك واليهودي ، والنصراني ، العاصي . قال العلماء: أن لأحاديث في إكرام الجار جاءت مطلقة غير مقيدة فوسعت المسلم والكافر .^(٣)

عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو : « أَنَّهُ دَبَحَ شَاةً فَقَالَ: أَهْدَيْتُمْ لِحَارِي الْيَهُودِيَّ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا زَالَ حَبْرَائِيلُ يُوصِينِي

(١) سبق تخريجه ، ص (١٦١).

(٢) العسقلاني: " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب المظالم ، باب لا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرَزَ خَشْبَهُ فِي جِدَارِهِ ، رقم الحديث (٢٤٦٣) ، ص (٣٠٨٠).

(٣) القرطبي: " الجامع لأحكام القرآن " ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص (١٨٨).

بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ» (١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يا

نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» (٢).

فالنصوص تضافرت في بيان عظم حق الجار والإحسان إليه دون تقيده بالإسلام فإن الإحسان إلى الكافر يرجى من ذلك ترقيق قلبه ودخوله الإسلام ، والعاصي هاديته .

١١- تحريم أذية الجار وإن كانت قليلة :

ولعظم حق الجار حرم الإسلام أذيته وأن كانت قليلة ، فعن أم سلمة رضي الله

عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا قَلِيلَ مِنْ أَدَى الْجَارِ» (٣).

حقوق الجار

للجار حقوق عظيمة أكد عليها الإسلام وبيّن فضل العمل بها وحذر وتوعد من

تركها كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة ويمكن أن نجملها فيما يلي :

[أ] الإحسان إلى الجار :

لحديث ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن

بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم

ضيقه» (٤) ، وذلك بإيصال ما في قدرة الإنسان من ضروب الإحسان المادية

والمعنوية والتي منها :

(١) أبادي: "عون المعبود شرح سنن أبي داود" ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، كتاب الأدب ، باب في حق الجوار ، ص (٤٩) ، وقال المنذري وأخرجه الترمذي وقال حسن غريب .

(٢) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب لا تحقرن جارة لجارتها ، رقم الحديث ٦٠١٧ ، ص (٢٢١٥) .

(٣) نور الدين الهيثمي: "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في أذى الجار ، ص (١٧٠) ، وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٤) سبق تخريجه ، ص (١٥٧) .

١- زيارته :

فقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أبو ذر أن يتعاهد جيرانه ، فعن عبد الله بن الصّاميت عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك»^(١).

فإن في الزيارة زيادة للألفة والمحبة ومعرفة أحوال الجار وإعانتته لحديث ، عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «زرّ غيّا تزدد حبّا»^(٢).

٢- عيادته إذا مرض :

فقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل - في الحديث الذي أخرجه الطبراني وذكره ابن حجر في الفتح - بجملة من الحقوق للجار ومنها عيادته جاره ، يقول : قلنا يا رسول الله، ما حقّ الجار ؟ قال: «إن استقرضك أقرضته وإن استعانك أعنته وإن أحتاج أعطيته وإن مرض عدته وإن مات تبعت جنازته وإن أصابه خير سرك وهنتته وإن أصابته مصيبة ساءتكَ وعزيتته ولا تؤذّه بقثار قدرك إلا أن تعرف له منها ولا تستطلّ عليه بالبناء لتشرف عليه وتسدّ عليه الريح إلا بإذنه وإن اشتريت فاكهة فأهد له منها وإلا فأدخلها سرّاً لا يخرج وكذلك بشيء منه يغيظون به ولده وهل تفقهون ما أقول لكم لن يؤدّي حقّ الجار إلا القليل ممن رحم الله»^(٣) ، فأداء القليل لحق الجار هو دلالة على انه يحتاج إلى صبر ومثابرة .

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب الوصية بالجار والإحسان إليه ، ص (١٧٧) .

(٢) نور الدين الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب الزيارة وإكرام الزائرين ، ص (١٧٥) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه : ابن لهيعة ، وحديثه حسن ، وبقيّة رجاله ثقات .

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ص (٧٢١٦) ، قال ابن حجر : أخرجه الطبراني .

٣- إتياع جنازته :

وملازمة الجار لجاره وقربه منه تقتضي مشاركته في أحزانه كما يشاركه سروره ، والشاهد على ذلك حديث معاذ : " وإن مات تبعت جنازته وإن أصابه خير سرّك وهنيئته وإن أصابته مصيبة ساءتكَ وعزّيته ... " (١)

٤- التصدق عليه :

إذا كان محتاج فهو يلي ذوي الرحم في الصدقة والأجر عليها بدليل اقترانه به في ، قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وَيَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَلًا فُجُورًا﴾. (٢)

وقد حثت الأحاديث على ما جاء في الآية ، فحثت على النفقة على النفس أولاً والأقربين ثم الأقرب وعدت ذلك صدقة لله تعالى إذا اخلص النية ، ويدخل في ذلك الجار فهو الأقرب بعد الأقارب، و عن جابر ، قال: أعتق رجل من بني عذرة عبداً له عن دبر. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال «ألك مال غيره؟» فقال: لا فقال «من يشتريه مني؟» فاشتراه نعيم بن عبد الله العدوي بثمانمائة درهم. فجاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدفعها إليه ثم قال: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها. فإن فضل شيء فلاهلك. فإن فضل عن أهلك شيء فإني قرابتك. فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا» يقول: فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك. (٣)

والنصوص حذرت من التهاون في هذا الحق فما أقبح أن يبیت الجار شعبان وجاره جائع ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما آمن بي من بات شعبان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به». (٤)

(١) سبق تخريجه ، ص (١٦٥).

(٢) سورة النساء : الآية (٣٦).

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الزكاة ، . باب فضل النفقة على العيال والمملوك ، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم ، ص (٨٣).

(٤) نور الدين الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب فيمن شبع وجاره جائع ، ص (١٦٧) ، وقال : رواه الطبراني والبخاري ، وإسناده البزار حسن.

٥- الإهداء إليه :

ففي الهدية زيادة لألفة والمحبة بين الجيران مما يقوي الصلات الاجتماعية بين أفراد المجتمع ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُدْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فِرْسِينَ شَاةً».(١)

و قد حرصت أم المؤمنين على إهداء جارها ، واجتهدت في معرفة الأحق بالهدية والنبي صلى الله عليه وسلم اقرها على ذلك ووجها إلى الأفضل ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت: يا رسول الله إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك باباً».(٢)

٦- معاشرته بالمعروف :

وذلك بأن يعامله بالخلق الحسن من قول أو فعل فيقابل به بطلاقة وجه و كلمة طيبة ويراعي مشاعره ويتغاضى عنه و يحسن الظن به ويستتر عيوبه ، فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك كما في الحديث : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَحَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ».(٣)

٧- مساعدته إذا احتاج :

فالإنسان إذا وقع في أزمة أقرب من يعينه جاره ، فعلى الجار أن يبادر إلى مساعدته.

واتضح ذلك من وصية النبي صلى الله عليه وسلم : «إِنْ أَسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ وَإِنْ أَسْتَعَانَكَ أَعْنَيْتَهُ وَإِنْ أَحْتَاجَ ...».(٤)

- (١) سبق تخريجه ، ص (١٢١).
- (٢) سبق تخريجه ، ص (١٥٥).
- (٣) سبق تخريجه ، ص (١٢٢).
- (٤) سبق تخريجه ، ص (١٦٥).

٨- أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر :

فالمجتمع الإسلامي لحمة واحدة جمعها الإسلام بصلات عدة وبما أن الجار من ضمن الصلات القريبة من المسلم فهو من أولى الناس نصحا له .

قال ابن أبي جمرة : " مما يخص الإحسان إلى الجار غير الصالح كفه عن الذي يرتكبه بالحسنى على حسب مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويعظ الكافر بعرض الإسلام عليه ويبين محاسنه والترغيب فيه برفق ، ويعظ الفاسق بما يناسبه بالرفق أيضا ويستتر عليه زلله عن غيره ، وينهاه برفق ، فإن أفاد فيه و إلا هجره قاصداً تأديبه على ذلك مع إعلامه بالسبب ليكف . " (١)

٩- حفظ ماله وعرضه في غيبته :

على المسلم أن يحفظ مال وعرض جاره في غيبته وذلك لعظم إثم من فرط في هذا الحق ، فهو لا يعدل التفريط في غيره كما في الحديث : عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « مَا تَقُولُونَ فِي الزُّنَا؟ » قالوا : حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لَأَنْ يَزَيَّ الرَّجُلُ بَعْشَرَ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزَيَّ بِأَمْرَةٍ جَارِهِ .»

قال : فقال : « مَا تَقُولُونَ فِي السَّرْقَةِ؟ » قالوا : حرمها الله ورسوله فهي حرام قال : لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ .» (٢)

وحيثما يقع ذلك من الجار يعد من أعظم ما ابتلي به المرء لحديث عن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْعَوَاقِرِ : إِمَامٌ إِنْ أَحْسَنَتْ

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الوصاة بالجار ، ص (٧٢١١ - ٧٢١٢) .

(٢) البخاري : " الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، المفرد و باب حق الجار ، رقم الحديث (١٠٣) ص (٥٠) ، والحديث صحيح .

نور الدين الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ، كتال البر والصلة ، باب ما جاء في أدب الجار ، ج ٤ ، ص (١٩٨) ، وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات . واللفظ له

لَمْ يَشْكُرْ، وَإِنْ أَسَاتَ لَمْ يَغْفِرْ، وَجَارُ سُوءٍ إِنْ رَأَى خَيْرًا دَفَنَهُ وَإِنْ شَرًّا أَدَاعَهُ،
وَأَمْرًا إِنْ حَضَرَتْ أَدْنَكَ وَإِنْ غَبَتْ عَنْهَا خَانَتْكَ» (١).

١٠- كف الأذى عنه :

وذلك بكف الأذى القولي والفعلي :

عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا قليل من أذى
الجار » (٢).

وقد ورد الوعيد الشديد لمن يؤذي جاره بأقل الأذى ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَطَّلَعَ مِنْ بَيْتِ جَارِهِ فَنظَرَ إِلَى عَوْرَةِ
أَخِيهِ الْمُسْلِمِ أَوْ شَعَرَ امْرَأَتِهِ أَوْ شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهَا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ
النَّارَ » (٣).

وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن،
والله لا يؤمن. قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه» (٤).

و أذية الجار محبطة للعمل كما في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ،
قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ،
وتفعل وتصدق ، وتؤذي جيرانها بلساتها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لا خير فيها هي من أهل النار " . ، قالوا : إن فلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأثوار ،
ولا تؤذي أحد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هي من أهل الجنة " . (٥)

(١) المرجع السابق ، باب ما جاء في جار السوء وإمام السوء وزوجة السوء نعوذ بالله منهم ،
ص (١٦٨) ، وقال : رواه الطبراني ، وفيه : محمد بن عمام بن يزيد ، ذكره ابن أبي حاتم ولم
يجرحه ولم يوثقه ، وبقيّة رجاله وثقوا .

(٢) سبق تخريجه ، ص (١٦٤) .

(٣) نور الدين الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة
، باب ما جاء في أذى الجار ، ص (١٧٠) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه : يحيى
بن عنبسة ، وهو وضاع .

(٤) سبق تخريجه ، ص (١٥٧) .

(٥) سبق تخريجه ، ص (١٦٣) .

ولعظمة هذه المبدأ حرص السلف على التمسك به ومن ذلك ما حكاه الغزالي في الإحياء ، فقد شكوا بعضهم كثرة الفأر في داره ، فقيل له : لو اقتنيت هرا؟ فقال أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسي . (١)

ويدخل في كف الأذى ما نهى عنه صلى الله عليه وسلم وهو أدنى الأذى وهو عدم منع الجار من أن يغرّس خشبة إذا كان ذلك لا يؤذيه لحديث ، «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب من فم القربة، أو السقاء. وأن يمنع جاره أن يغرّز خشبته في داره». (٢)

ب [مقابلة إساءته بالعفو والحلم :

فمن حق الجار بالإضافة إلى عدم إيذائه الصبر على أذاه ففي ذلك أجر عظيم ، لحديث عن مطرف - يعني: ابن عبد الله - قال: كان يبلغني عن أبي نر حديثٌ وكنت أشتي لقاءه، ففقيته فقلت: يا أبا نر كان يبلغني عنك حديثك وكنت أشتي لقاءك قال: لله - تبارك وتعالى - أبوك، قد لقيتني فهات، قلت: حديثاً بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدّثك قال: «إنّ الله - عزّ وجلّ - يحبُّ ثلاثةً ويبيغضُ ثلاثةً» .

قال: فما أحالني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قلت: فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله - عزّ وجلّ؟ قال: «رجلٌ عَزَا في سبيل الله صابراً مُحْتَسِباً فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، وَأَنْتُمْ تَحِدُونَهُ عِنْدَكُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» ثُمَّ تَلَا {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بَنِيَانٌ مَرْصُوعًا} قلت: وَمَنْ قَالَ: «رَجُلٌ كَانَ لَهُ

(١) الغزالي: "إحياء علوم الدين"، مرجع سابق، ج ٢، ص (٢١٣) .

(٢) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١١، كتاب الأشربة ، باب الشرب من فم السقاء ، رقم الحديث ٥٦٢٧ ، ص (٦٧٧٦) .

جَارُ سُوءٍ يُوْذِيهِ فَصَبَرَ عَلَىٰ أَذَاهُ حَتَّىٰ يَكْفِيَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ بِحَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ» . (١)

ويقول الغزالي : " واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى، فإن الجار أيضاً قد كف أذاه فليس في ذلك قضاء حق، ولا يكفي احتمال الأذى بل لا بد من الرفق وإسداء الخير والمعروف" . (٢)

فحسن الجوار الصبر على أذى الجار مع مقابله بالعتو والإحسان .

وعن عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه أن أبا بكر رضي الله عنه مر بعبدالرحمن بن أبي بكر وهو يماظ جار له فقال لا تماظ جارك فإن هذا يبقى ويذهب الناس . (٣)

" تماظ : أي لا تتازعه ، والمآظة : شدة المنازعة والمخاصمة مع طول اللزوم " (٤)

الأمور المعينة على تطبيق مبدأ الوصاة بالجار :

من الأمور المعينة على تطبيق مبدأ الوصاة بالجار ما يلي :

- ١- تقوى الله تعالى ، فهي أساس كل عمل صالح .
- ٢- استحضار الأجر العظيم لمن طبق هذا المبدأ في الدنيا والآخرة ، والإثم العظيم الذي يبوء به من خالفه وعقابه في الدنيا والآخرة .
- ٣- قراءة القصص من سير الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح ، من بعدهم التي تتعلق بالإحسان إلى الجار ، لاقتداء والتأثر بهم .
- ٤- توطين النفس وتهذيبها على حسن الخلق مع من حولها .
- ٥- إزالة الخلافات التي تكون بين الجيران وأسبابها .

(١) نور الدين الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد "، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب فيمن يصبر على أذى جاره ، ص (١٧٠ - ١٧١) ، وقال : قلت : فنكر الحديث وقد رواه النسائي وغيره ذكر الجار . رواه أحمد والطبراني واللفظ له وإسناد الطبراني وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح .

(٢) الغزالي ، : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢١٢) .

(٣) ابن الأثير : " النهاية في غريب الحديث والأثر " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، باب الميم مع الظا ، ص (٣٤٠) .

(٤) المرجع السابق .

٦- تعاهد الجيران لبعضهم البعض بالزيارة ، والمساعدة ، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٧- على المسلم معرفة الحقوق الواجبة عليه تجاه جيرانه مما يعينه على تطبيقها .

أثار مبدأ الوصاة بالجار :

وعندما يتحقق مبدأ الوصاة بالجار يجني الفرد والمجتمع ثمار طيبة ومنها ما يلي :

١- رضا الله تعالى ودخول الدرجات العلى من الجنة .

٢- كمال الإيمان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : «مَنْ يَأْخُذْ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلْ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمْ مَنْ يَعْمَلْ بِهِنَّ؟»

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ حَمْسًا وَقَالَ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ

تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ

مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ

تُمَيِّتُ الْقَلْبَ» . (١)

٣- اكتساب محبة الله و الناس ، من خلال الإحسان إلى الجيران وحسن الخلق معهم .

٤- اكتساب حسن الخلق ، من خلال القيام بحقوق الجار واحتمال أذاه ، فهذا مما

يَهْدِبُ النَّفْسَ وَيُرْبِيهَا عَلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، عن عائشة رضي الله عنها: خلال

المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في

سيده، يقسمها الله تعالى لمن أحب: صدق الحديث، وصدق الناس، وإعطاء السائل،

والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتذم للجار، والتذم للصاحب،

وقرى الضيف، ورأسهن الحياء. " (٢)

٥- الذكر الحسن بين الناس ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « قال

رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت ؟

(١) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي "، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الزهد ، باب اتق المحارم تكن اعبد الناس ، ص (٤) ، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

(٢) الغزالي : " إحياء علوم الدين "، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢١٤) .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعت جيرانك يقولون : قد أحسنت فقد أحسنت
، وإذا سمعتهم يقولون : قد أسأت فقد أسأت » . (١)

٦- ترابط المجتمع المسلم ، يروى أن " ابن المقفع أن جاراً له يبيع داره في دين
ركبه وكان يجلس في ظل داره، فقال: ما قمت إذا بحرمة ظل داره إن باعها معدماً
فدفع إليه ثمن الدار وقال: لا تبعها." (٢)

٧- شيوع الأمن والاطمئنان داخل المجتمع المسلم فكل جار مؤتمن على ما عند
جاره.

(١) سبق تخريجه ، ص (١٥٨).

(٢) الغزالي: "إحياء علوم الدين" ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢١٣).

المبحث الخامس

مبدأ إكرام الضيف

مبدأ إكرام الضيف مبدأ ثابت من مبادئ التربية الإسلامية أثبتته نصوص الكتاب والسنة ، ورغبت في تطبيقه واعتبرته من الحلقات الاجتماعية المهمة في ترابط المجتمع ، فبه تقضى حوائج الناس وتنشيع المحبة والألفة ، وبه يعرف شريف الأخلاق من وضيعها ، وهو مبدأ دال على مروءة النفس وشرفها حيث كان شائعاً قبل الإسلام في الجاهلية ، وقد تباهت به العرب ، وأقره الإسلام ، قال تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ...﴾ (١)

قال ابن كثير : « **وَابْنَ السَّبِيلِ** وهو المسافر المجتاز الذي قد فرغت نفقته فيعطى ما يوصله إلى بلده، وكذا الذي يريد سفراً في طاعة فيعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه، ويدخل في ذلك الضيف، كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: ابن السبيل هو الضيف الذي ينزل بالمسلمين ... » (٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» . (٣)

مفهوم مبدأ إكرام الضيف

ولتعريف مفهوم مبدأ إكرام الضيف لا بد من معرفة شقيه (إكرام ، الضيف) .

(١) سورة البقرة : الآية (١٧٧).

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (١٨١-١٨٢).

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ، رقم الحديث (٦١٣٦) ، ص (٧٣٢١).

معنى إكرام :

لغة : أصل الكلمة كرم من مادة (ك ر م) وهو يعني شرفاً في الشيء في نفسه أو شرفاً في خلق من الأخلاق. يقال رجلٌ كريم، وفرسٌ كريم، ونبات كريم،... وأرضٌ مكرمةٌ للنبات، إذا كانت جيدة النبات. والكرم في الخلق: يقال هو الصّوّح عن ذنب المذنب، قال عبدُ الله بنُ مسلم بن قتيبة: الكريم: الصّوّح، والله تعالى هو الكريم الصّوّح عن ذنوب عباده المؤمنين ، وقال الجوهري : الكرم ضد اللؤم ، والجمع ، كرماء وكرام وكرائم ... (١)

اصطلاحاً : قال ابن مسكويه الكرم إنفاقاً للمال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلية القدر والكثيرة النفع . (٢)

معاني الكرم في القرآن الكريم :

الكرم في القرآن الكريم ورد على عدة معاني منها :

الحسن ، قال تعالى : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِنَّيَ أَلْقِيَا إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ... ﴾ . (٣)

السهل ، قال تعالى : ﴿ ... وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ . (٤)

الكثير ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَآ

أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْدَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ . (٥)

(١) ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا : مقاييس اللغة ، ط ٢ ، دار مكتبة مطبعة الحلبي ، مصر ، القاهرة ، ١٣٩٢ هـ ، ج ٥ ، ص (١٧١) ، و ابن منظور : "لسان العرب" ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، (١١٣-١١٤) ص ، و الجوهري ، إسماعيل بن حماد : الصحاح تاج اللغة صحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، طبع على نفقة حسن عباس الشربتلي ، القاهرة ، ١٩٨٢ م ، ج ٥ ، ص (٢٠١٩) .

(٢) ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، ٢٠٠١ م ، ص (٢٨) .

(٣) سورة النمل : الآية (٢٩) .

(٤) سورة الإسراء : الآية (٢٣) .

(٥) سورة الأحزاب : الآية (٣١) .

العظيم ، قال تعالى : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ . (١)

الفضل ، قال تعالى : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَكِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . (٢)

الصفوح ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (٣) ... (٤)

معنى الضيف :

لغة : أصل الكلمة ضيف من مادة (ض ي ف) ، والضيف يدل على ميل الشيء إلى الشيء ، يقال أضفت الشيء إلى الشيء أملتة ، والجمع أضياف وضيغان ، ويقال للأمر المشفق منه أضاف الشيء ، والضيف ناحية الوادي . (٥)

اصطلاحاً : "والضيف من مال إليك نازلاً بك؛ وصارت الضيافة متعارفة في القرى، وأصل الضيف مصدر، ولذلك استوي فيه الواحد والجمع" . (٦)

مفهوم مبدأ إكرام الضيف :

قال الحلبي في شعب الإيمان : " وإكرام الضيف أن يلقاه صاحب البيت بالطلاقة والبشر ، ويحضر ما يحتاج إليه قبل الوقت الذي يتوقعه فيه ، وأحسن وأوفر بما جرت به عادته مع أهله وولده ، ويثويه أوسع ما عنده من الأماكن وأنزهها وأشرحها لصدرة ، وأسنعها في الشتاء ، وأدرجها في الصيف ، ويفرش مجلسه ومرقده أحسن

(١) سورة المؤمنون : الآية (١١٦) .

(٢) سورة الإسراء : الآية (٦٢) .

(٣) سورة الانفطار : الآية (٦) .

(٤) الراغب الأصفهاني : " المفردات في غريب القرآن " ، مرجع سابق ، ص ، الفيروز آبادي : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٣٤٤ - ٣٤٥) .

(٥) ابن فارس : " مقاييس اللغة " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٣٨٠) ، والجوهري : " الصحاح تاج اللغة صحاح العربية " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (١٣٩٢) ، و ابن منظور : " لسان العرب " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص (١١٢ - ١١٣)

(٦) القاري : " مرقاة المفاتيح ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الأطعمة ، باب الضيافة ، ص (٣٩٠) .

وأنعم مما يفرشه لنفسه، ويحتمل عنه من مؤن من يصحبه من خدامه ودوابه ما يحمل من مؤونة نفسه، وإذا خرج زوده ما يكفيه يومه، وشيعه ميلاً إن كان عليه خوف، فقدر على أن يمدّه بمن يأمن بمرافقتهم إلى المنازل، وفعل ذلك حسن والله أعلم." (١)

مكانة مبدأ إكرام الضيف في التربية الإسلامية :

١- من صفات الأنبياء :

الأنبياء عليهم السلام القدوة الصالحة لأممهم لذا ضربوا لنا أروع الأمثلة في الكرم ، فهو صفة من الصفات الأخلاقية التي كانوا عليها عليهم السلام ، وقد قص الله تعالى لنا قصة إبراهيم وبين لنا مدى كرمه ، من خلال تعامله مع ضيوفه من الملائكة ، قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ فَاغْتَبَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾. (٢)

" ﴿ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِينٍ ﴾ أي مشوي على الرضف ﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ﴾ أي أدناه منهم ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ تلطف في العبارة وعرض حسن، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل فتي سمين مشوي، فقربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل." (٣)

(١) الحلبي: "كتاب المنهاج في شعب الإيمان"، مرجع سابق، ج ٣، ص (٣٦٠).

(٢) سورة الذاريات: الآية (٢٤ - ٣٠).

(٣) ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، مرجع سابق، ج ٤، ص (٢١١).

وكذلك لوط عليه السلام وما بدر منه من اكرامه لضيوفه والمحافظة عليهم ،
 قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ
 عَصِيبٌ * وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَقُومُ
 هَؤُلَاءِ بِبَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ
 رَشِيدٌ * قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾. (١)

فمن حرصه على إكرام الضيف وشرف نفسه عليه السلام استحي أن لا يضيفهم
 ووقع في نفسه الحرج ، وضافت نفسه بسببهم وخشي إن لم يضيفهم أن يضيفهم أحد
 من قومه فينالهم بسوء ، فلم يصرح بذلك بل كان يقول لهم في أثناء الطريق
 كالمعرض لهم لينصرفوا عنه: إنه والله يا هؤلاء ما أعلم على وجه الأرض أهل بلد
 أخبت من هؤلاء، ثم مشى قليلا ثم أعاد ذلك عليهم حتى كرره أربع مرات، فعلم قومه
 بأمر ضيوفه فأتوا إليه مسرعين يريدون أن يعتدوا على ضيوفه ، فعظم ذلك عنده ،
 لعظم منزلة الضيف وإكرامه لهم ، فقال لهم : ﴿قَالَ يَقُومُ هَؤُلَاءِ بِبَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ
 لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (٢).

والنبي صلى الله عليه وسلم كان قوة أمته في هذه الفضيلة في الجاهلية
 والإسلام فقد وصفته بذلك السيدة خديجة رضي الله عنها في الحديث الطويل الذي
 روته السيدة عائشة رضي الله عنها عن بدء الوحي والذي ورد في طرف منه قول
 خديجة رضي الله عنها: " كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَتَّصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمَلُ
 الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ... " (٣)

والمواقف التربوية في حياته صلى الله عليه وسلم الكثيرة تدل على تطبيقه لهذا
 المبدأ وتربية صحابته عليه عن المقداد رضي الله عنه ، قال: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ
 لِي. وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ. فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ

(١) سورة هود : الآية (٧٧-٧٩).

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٤١٢)

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب بدء الوحي ، باب... ، رقم الحديث (٣) ، ص (٢٩) .

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا. فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ. فَإِذَا ثَلَاثَةٌ أَعْتَزُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اِحْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا». قَالَ: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهَا نَصِيبَهُ. وَتَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصِيبَهُ... (١)

عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما «أن أبا بكر تَضَيَّفَ رَهْطًا فَقَالَ لعبد الرحمن: دُونَكَ أَضْيَافَكَ فِإِنِّي مُنْطَلِقٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَافْرُغْ مِنْ قِرَاهِمِ قَبْلَ أَنْ أَجِيءَ. فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَاتَاهُمْ بِمَا عِنْدَهُ فَقَالَ: اطْعَمُوا. فَقَالُوا: أَيْنَ رَبُّ مَنَزَلِنَا؟ قَالَ: اطْعَمُوا. قَالُوا: مَا نَحْنُ بِأَكْلِينَ حَتَّى يَجِيءَ رَبُّ مَنَزَلِنَا. قَالَ: اقْبَلُوا عَنَّا قِرَاحِمَ. فَإِنَّهُ إِنْ جَاءَ وَلَمْ تَطْعَمُوا لَنَلْقَيْنَ مِنْهُ. فَأَبَوْا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَجِدُ عَلِيَّ. فَلَمَّا جَاءَ تَنَحَّيْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ. فَسَكَتَ. ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَسَكَتَ. فَقَالَ: يَا عُنْتَرُ، أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَوْتِي لَمَّا جِئْتَ. فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ: سَلْ أَضْيَافَكَ. فَقَالُوا: صَدَقَ، أَتَانَا بِهِ. قَالَ: فَإِنَّمَا انْتِظَرْتُمُونِي، وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُهُ اللَّيْلَةَ. فَقَالَ الْآخَرُونَ: وَاللَّهِ لَا نَطْعَمُهُ حَتَّى تَطْعَمَهُ. قَالَ: لِمَ أَرَفِي الشَّرَّ كَاللَّيْلَةِ. وَيَلْكُمْ، مَا أَنْتُمْ؟ لِمَ لَا تَقْبَلُونَ عَنَّا قِرَاحِمَ؟ هَاتِ طَعَامَكَ. فَجَاءَهُ، فَوَضَعَ يَدَهُ فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، الْأَوَّلِ لِلشَّيْطَانِ. فَأَكَلَ وَأَكَلُوا». (٢)

فالنبي صلى الله عليه وسلم طبق هذا المبدأ وأشرك صحابته معه ليغرسه في نفوسهم ويربيهم عليه .

٢- من صفت المؤمنين :

إن الأخلاق الفاضلة دائما مرتبطة بالإيمان ، فالمؤمن يتسم بشرف النفس وعلوها وسماحتها وسخائها لذا فهو مكرم لضيفة يقوم بواجبه تجاهه بيتغي الأجر من الله تعالى

(١) النووي: "صحيح مسلم بشرح النووي"، مرجع سابق، ج ١٤، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وإيثاره، ص (١٣).
(٢) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب، باب ما يكره من الغضب والجزع عند الضيف، رقم الحديث (٦١٤٠)، ص (٧٣٢٥).

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالْغَدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ الْأَطْعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝﴾ (١).

أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين ووصفهم بالإبرار لعملهم أعمال البر التي منها إطعامهم الطعام في حالة محبتهم وشهوتهم له ، فيقدمونه لليتيم والأسير وبيتغون الأجر من الله تعالى ، والمؤمن إذا أكرم الضيف و أطعمه الطعام على هذه الحال بيتغي وجه الله تعالى فإن له الأجر العظيم . (٢)

وربط النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بإكرام الضيف ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمِ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ» . (٣)

٣- إكرام الضيف خلق يحبه الله تعالى :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنِّي مَجْهُودٌ . فَأَرْسَلَ إِلَيَّ بَعْضَ نِسَائِهِ . فَقَالَتْ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ . ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيَّ أُخْرَى . فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ . حَتَّىٰ قُلْنَا كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ : لَا . وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ . فَقَالَ : «مَنْ يُضِيفُ هَذَا، اللَّيْلَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : أَنَا . يَا رَسُولَ اللَّهِ فَانْطَلِقْ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ . فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ قَالَتْ : لَا . إِلَّا فُوتُ صَبِيَّائِي . قَالَ : فَعَلَّيْهِمْ بِشَيْءٍ . فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَاطْفَيْ السَّرَّاجَ وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ . فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السَّرَّاجِ حَتَّىٰ تُطْفِئِيهِ .

(١) سورة الإنسان : الآية (٥-١٢) .

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٤١١) .

(٣) سبق تخريجه ، ص (١٥٧) .

قال: فَعَدُّوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ عَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ:
«قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ»^(١).

قال النووي : "وقد أتى الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الرجل وامراته فدل على أنهما لم يتركا واجبا بل أحسنا وأجملا رضي الله عنهما،... فأثرا على أنفسهما برضاهما مع حاجتهما وخصاصتهما فمدحهما الله تعالى وأنزل فيهما: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ففيه فضيلة الإيثار والحث عليه. وقد أجمع العلماء على فضيلة الإيثار بالطعام ونحوه من أمور الدنيا وحظوظ النفوس."^(٢)

"قوله صلى الله عليه وسلم: «عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة» قال القاضي: المراد بالعجب من الله رضاه ذلك، قال: وقد يكون المراد عجبت ملائكة الله وأضافه إليه سبحانه وتعالى تشريفاً."^(٣)

٤- إكرام الضيف مقدم على التطوع بالصوم والصلاة :

فلعظم منزلة مبدأ إكرام الضيف قدم على التطوع بالصلاة وغيرها ، عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: «أخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً فقال: كل، فإني صائم. فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام. ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن. قال: فصلياً. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له،

(١) النووي : "صحيح مسلم بشرح النووي" ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، كتاب الأشربة ، باب إكرام الضيف ، ص (١٢) .

(٢) المرجع السابق ، ص (١٢) .

(٣) المرجع السابق ، ص (١٣) .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق سلمان». (١).

فالصحابي سليمان رضي الله عنه أراد أن يربي أخاه أبي الدرداء على جملة من المبادئ التي أقر الإسلام تطبيقها بتوازن ومن ضمنها مبدأ إكرام الضيف ، فلأهميته قدمه على صيام التطوع وكذا على التطوع بالصلاة ، والنبي صلى الله عليه وسلم أقر سلمان على ذلك فقال " صدق سلمان " وفي رواية أخرى ، " وإن لزورك عليك حق". (١).

فتبين عظم حق الضيف وتقديمه على التطوع .

٥- مبدأ إكرام الضيف من مكارم الأخلاق:

فمبدأ إكرام الضيف مبدأ موافق للفطرة السوية والخلق الكريم ، فقد كان مشهور في الجاهلية قبل الإسلام وعد من مكارم الأخلاق التي تفاخر بها العرب فهو يدل على المروءة والكرم وشرف النفس وسخاءها ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى :

إن التمداح بين الشعراء إنما كان بالشجاعة والكرم ، والذم بالبخل والجبن ، وصلاح بني آدم لا يكون في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم ، وبها فضل السابقين وامتدحهم الله تعالى في آيات كثيرة ، قال تعالى : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾. (٣) ... (٤)

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب حق الضيف ، رقم الحديث (٦١٣٤) ، ص (٧٣٢٠) .

(٢) المرجع السابق ، ص (٧٣٢٠) .

(٣) سورة محمد : الآية (٣٨)

(٤) ابن تيمية ، أبي العباس تقي الدين احمد بن عبد الحلیم : الاستقامة ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، مصر ، (د . ت) ، ج ٢ ، ص (٢٦٩ - ٢٧٠) .

أن مبدأ إكرام الضيف مبدأ مهم في التربية الإسلامية وقد بينت لنا النصوص الشرعية أهميته فجعلته سنة مؤكدة ، وحذر النبي صلى الله عليه وسلم من التهاون فيه ، عن عتبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قلنا يارسول الله إنك تبعثنا فننزلُ بقوم فلا يقرُوننا، فما ترى فيه؟ فقال لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إن نزلتم بقوم فأمرُوا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلُوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حقَّ الضيفِ الذي ينبغي لهم»^(١)

فاعتبرته حق يلزم أداءه لمن يستحقه ، فالضيافة سنة مؤكدة ، و تجب إذا كان الشخص مضطراً إلى هذه الضيافة ومحتاج إليها كما لو أمتنع صاحب الطعام أن يبيعه وهو محتاج له أخذه بالقوة .^(٢)

قال ابن كثير : "ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزول، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل ."^(٣)

وقد قرن الله تعالى حق الضيافة بالحقوق التي قرنت بعبادته ، قال تعالى : **﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وِبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾**^(٤)

قال ابن كثير : "وأما ابن السبيل، فعن ابن عباس وجماعة: هو الضيف، وقال مجاهد وأبو جعفر الباقر والحسن والضحاك ومقاتل: هو الذي يمر عليك مجتازاً في

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، رقم الحديث (٦١٣٦)، ص (٧٣٢١).

(٢) المرجع السابق، ج ٦، كتاب المظالم، باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، ص (٣٠٧٨).

(٣) ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، مرجع سابق، ج ٤، ص (٢١١).

(٤) سورة النساء: الآية (٣٦).

السفر، وهذا أظهر، وإن كان مراد القائل بالضيف المار في الطريق، فهما سواء...» (١)

٧- عظم أجر إكرام الضيف :

إن إكرام الضيف يدل على كرم الأخلاق وسموها التي تزيد إيمان صاحبها وليس أعظم أجر لصاحبه من الفوز بالجنة ، عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ، يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَّوِيَّ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ». (٢)

فصاحبه ممتثل لأمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فهو مستحق لدخول الجنة .

ولمكرم الضيف الأجر العظيم في الدنيا فهو سبب للبركة في الرزق والعمر ، حيث يتضمن إنفاق للجهد والمال ابتغاء وجه الله تعالى فصاحبه مستحق للأجر العظيم في الدنيا بالبركة في الرزق ، والعمر ، لإحسانه للآخرين وبركة دعائهم له .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «طَعَامُ الْإِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ». (٣)

وقد بارك الله تعالى في طعام ضيوف أبي بكر رضي الله تعالى عنه عندما ابتغى وجه الله تعالى ودحر الشيطان ، ففي طرف من رواية للحديث ما دل على ذلك " فقال أبو بكر رضي الله عنه : كَأَنَّ هَذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فِدَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلَ وَأَكَلُوا . فَجَعَلُوا لَا يَرْفَعُونَ لِقْمَةً إِلَّا رُبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا . فَقَالَ يَا أُخْتُ بَنِي فِرَاسٍ مَا

(١) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٤٣٩) .

(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ، رقم الحديث (٦١٣٥) ، ص (٧٣٢١) .

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، كتاب الأشربة ، باب المواساة في الطعام القليل ، ص (٢٢) .

هذا؟ فقلت: وفرّة عيني إنها الآن لأكثرُ قبل أن نأكل، فأكلوا، وبعث بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أنه أكل منها». (١)

يقول ابن حجر معلق على الحديث: "فقال أبو بكر كأن هذه من الشيطان، فدعا بالطعام فأكل وأكلوا، فجعلوا لا يرفعون اللقمة إلا ربا من أسفلها" ويحتمل أن يجمع بأن يكون أبو بكر أكل لأجل تحليل يمينهم شيئا، ثم لما رأى البركة الظاهرة عاد فأكل منها لتحصل له وقال كالمعتد عن يمينه التي حلف "إنما كان ذلك من الشيطان" والحاصل أن الله أكرم أبا بكر فأزال ما حصل له من الحرج، فعاد مسرورا، وانفك الشيطان مدحورا، واستعمل الصديق مكارم الأخلاق فحنت نفسه زيادة في إكرام ضيفانه ليحصل مقصوده من أكلهم...". (٢)

٨ - عظم أثم من أساء إلى الضيف :

إن الإساءة للضيف وعدم إكرامه دليل على سوء الأخلاق وقلة المروعة و البخل ، فهي من الصفات الخلقية المذمومة ، فترك هذا المبدأ دليل على سوء الأخلاق ، بالإضافة إلى ما يجر إليه من آثار على صاحبه وعلى المجتمع من فرقة وشقاق لذا فصاحبه مستحق للعقوبة في الآخرة قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣)

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ (٤)

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب، باب قول الضيف لصحبه والله لا أكل حتى تأكل، رقم الحديث (٦١٤١)، ص (٧٣٢٥).

(٢) المرجع السابق، ج ٧، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ص (٤١٨٢).

(٣) سورة آل عمران: الآية (٣٧-٣٩).

(٤) سورة النساء: الآية (٣٦-٣٩).

قال ابن كثير: "يقول تعالى ذاما الذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به من بر الوالدين والإحسان إلى الأقارب، واليتامى، والمساكين، والجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم من الأرقاء، ولا يدفعون حق الله فيها، ويأمرون الناس بالبخل أيضاً، ... فالبخيل جحود لنعمة الله لا تظهر عليه ولا تبين، لا في مأكله ولا في ملبسه ولا في إعطائه وبذله، والكفر هو الستر والتغطية، فالبخيل يستر نعمة الله عليه ويكتمها ويجعلها فهو كافر لنعم الله عليه . " (١)

لذا كان الكريم شاكر لأنعم الله تعالى لأنه أدى حقه فيها .

٩- إكرام الضيف مطلقاً :

من كمال التربية الإسلامية أنها لم تفرق من خلال نصوصها الحاتة على إكرام الضيف بين الضيف المسلم والعاصي والكافر ، والنصراني ، واليهودي ، فإكرام الضيف المسلم يرجى بره وصلته وحصول الأجر العظيم ، والعاصي يرجى توبته وهدايته ، الكافر يرجى ترقيق قلبه وتأليفه للإسلام ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ضَافَهُ ضَيْفٌ ، وَهُوَ كَافِرٌ ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ فَحَلَبَتْ ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا ، ثُمَّ أَخْرَى فَشْرَبَهُ ، ثُمَّ أَخْرَى فَشْرَبَهُ ، حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاهٍ . ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ . فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِشَاةٍ فَشَرِبَ حِلَابَهَا . ثُمَّ أَمَرَ بِأَخْرَى فَلَمْ يَسْتَتْمَهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعَى وَاحِدٍ . وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ» . (٢)

١٠- إن حق الضيافة يتأكد في حق من وسع الله تعالى عليه :

فالنبي صلى الله عليه وسلم أكد على ذلك من خلال قصته مع أهل الصفة وأنه أرسلهم إلى أبي بكر الصديق ليضيفهم ، لأنه رضي الله عنه ممن وسع الله تعالى عليه

(١) ابن كثير: " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٤٤٠) .

(٢) النووي: " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، كتاب الأشربة ، باب المؤمن يأكل في معي ، ص (٢٤) .

في ذلك الوقت عندما كان المسلمون في حاجة وضيق .

قال النووي في شرحه الحديث : "وفي هذا الحديث فضيلة الإيثار والمواساة، وأنه إذا حضر ضيفان كثيرون فينبغي للجماعة أن يتوزعوهم ويأخذ كل واحد منهم من يحتمله، وأنه ينبغي لكبير القوم أن يأمر أصحابه بذلك ويأخذ هو من يمكنه. قوله: (وإن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم بعشرة) هذا مبين لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الأخذ بأفضل الأمور والسبق إلى السخاء والجود، فإن عيال النبي صلى الله عليه وسلم كانوا قريباً من عدد ضيفانه هذه الليلة فأتى بنصف طعامه أو نحوه، وأتى أبو بكر رضي الله عنه بثلاث طعامه أو أكثر، وأتى الباقر بدون ذلك والله أعلم." (١)

فإكرام الضيف مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع إذا كان بهذه الصورة .

١١- إكرام الضيف نفقة في سبيل الله تعالى :

فإكرام الضيف من أعمال البر التي حث عليها الشارع ، والتي تحتاج إلى نفقة لأدائها ، فالمنفق إن ابتغى وجه الله تعالى كان له أجر عظيم، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وِبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾. (٢)

١٢- تقديم حق الضيف على بعض الحقوق في بعض الأحيان :

قال البيهقي : تعليقا على حديث «المؤمن يشرب في معي واحد...» (٣).

" وفيه من المعنى أن الضيف ألصق جواراً من الجار المطلق، لأن ذلك جار

(١) المرجع السابق ، ج ١٤ ، كتاب الأشربة ، باب إكرام الضيف ، ص (١٧-١٨).

(٢) سورة النساء : الآية (٣٦).

(٣) سبق تخريجه ، ص (١٨٦).

بالبدن، فأى إحسان أوجب لأبعد الجارين، فهو لأقربهما أوجب. وفيه أن من نزل به ضيف ثقة، وإحسان ظن به فقبله، أو كان استضافه، فإن استضافه أمانة، ويدخل في عهده، لأن قبول الضيف لا يكون إلا للقرى، وإذا لم يقره ولم يكرمه كان كمن قبل أمانة ثم ضيعها.

ألا ترى أن لوطاً النبي عليه السلام كيف شرح الله صدره بأن يقري الذين قدرهم لضيافة بنياته، فقال «هؤلاء بناتي هن أطهر لكم، فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي»^(١). وقال: «إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون»^(٢). لو رأى أن الأضياف أمانات لما التزم في بناته ما لا شيء أشد على قلوب الرجال منه»^(٣).

١٣- الضيافة من أعمال البر التي تكفر الذنوب :

إن إكرام الضيف من أعمال البر التي تكفر الذنوب وترفع الدرجات عند الله تعالى لما فيه من مروءة وكرم ، وتواضع وحسن خلق وتألف لقلوب المسلمين، كما في حديث ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة - قال أحسبه في المنام - فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قال قلت لا، قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال في تحري فعلمت ما في السموات وما في الأرض. قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قلت نعم في الكفارات، والكفارات المكث في المسجد بعد الصلوات، والمشى على الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من حظيته كيوم ولدته أمه، وقال يا محمد إذا صليت فقل اللهم إني أسألك فعل الخيرات

(١) سور هود الآية (٧٨) .

(٢) سورة الحجر : الآية (٦٨)

(٣) الحليمي: " كتاب المنهاج في شعب الإيمان " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٣٥٩ - ٣٦٠) .

وَتَرَكَ الْمُتَكْرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَقْتُونٍ.
قَالَ وَالدرَجَاتُ إِقْتِنَاءُ السَّلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ وَنِيَامٌ»

قال المباركفوري : «والكفارات» وسميت هذه الخصال الكفارات لأنها تكفر الذنوب عن فاعلها ... «والدرجات» ما ترفع به الدرجات ^(١)

آداب الضيافة :

ولضيافة آداب تكلم عنها العلماء وذكروها في مضان كتبهم مع الآداب الإسلامية الأخرى فهي لا تقل أهمية عنها وقد عدد الغزالي في كتابه الأحياء مجموعة منها ، وفيما يلي تفصيلها ^(٢) :

١- آداب الدعوة :

على المسلم إذا دعاه أخيه المسلم أن يجيب دعوته ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول «حَقُّ المسلم على المسلم خمسٌ: ردُّ السلام، وعبادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميتُ العاطس». ^(٣)

فإجابة الدعوة حق واجب للمسلم على أخيه المسلم ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أجيبوا هذه الدعوة إذا دُعيتَ لها» قال: كان عبدُ الله يأتي الدعوة في العرس وغير العرس وهو صائم. ^(٤)

(١) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة ص (٨٥-٨٦) ، قال أبو عيسى: وقد تَكَرَّرُوا بَيْنَ أَبِي قِلَابَةَ وَبَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ رَجُلًا وَقَدْ رَوَاهُ قَتَادَةُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْجَلَّاحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .
(٢) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٢-١٨) .
(٣) سبق تخريجه ، ص (١٢٠) .
(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب النكاح ، باب إجابة الداعي في العرس وغيره ، رقم الحديث (٥١٧٩) ، ص (٦١٣٦) .

والتربية الإسلامية وضعت لدعوة المسلم لأخيه المسلم آداب عليه التأدب بها :

١- أن لا يخص المسلم الدعوة بالأغنياء دون الفقراء بل يساوي بينهم فالتربية الإسلامية لا تفرق في مبادئها بين غني وفقير إلا بالتقوى وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: «شَرُّ الطَّعَامِ طعامُ الوَكِيمَةِ، يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء، ومن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم». (١)

وقد كان السلف في قمة التواضع والالتزام بهذا الأدب إقتداءً بنبيهم صلى الله عليه وسلم ، فقد روي أنه " مر الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسراً على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بغلته فسلم عليهم فقالوا له: هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: نعم إن الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال: قد أحببتكم فأجيبوني ، قالوا: نعم ، فوعدهم وقتاً معلوماً فحضروا فقدم إليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم". (٢)

و ذلك يدل على حسن خلق المسلم وتواضعه .

٢- أن يبتغي المسلم من دعوته وجه الله تعالى ، حيث ينوي إدخال السرور إلى إخوانه المسلمين وتأليف قلوبهم وزيادة عرى المحبة والمودة ، فلا ينوي التفاخر أو الكبر في دعوته وتفضله عليهم .

٣- أن يعمد في دعوته إلى الأتقياء دون الفساق ، فالنبي صلى الله عليه وسلم نبه المسلم إلى ذلك من خلال قوله في الحديث ، عن أنس رضي الله عنه : «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ

(١) المرجع السابق ، ج ١٠ ، كتاب النكاح ، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله ، رقم الحديث (٥١٧٧) ، ص (٦١٣٤) .

(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٣) .

النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ». (١)

٤- أن يحرص على دعوة أقاربه وعدم إهمالهم وتقديمهم على غيرهم ، ففي ذلك بر وصلة لهم .

٥- أن لا يدعو من يغلب على ظنه حصول المشقة والضرر له إن هو دعاه .

٢- آداب الإجابة : -

وعلى المسلم أن يحرص على إجابة دعوة أخيه المسلم لما في ذلك من زيادة عرى الألفة والمحبة بين المسلمين ولكن ذلك مقيد بآداب وهي كما يلي :

١- أن يساوي في الإجابة بين الفقراء والأغنياء ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان في إجابته لدعوة المسلمين لا يفرق بين غنيهم وفقيرهم ، فقد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم دعوة خياط ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إِنَّ خِيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَطْعَامِ صَنْعَةٍ. قَالَ أَنَسٌ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَيْتُهُ يَتَّبَعُ الدَّبَّاءَ مِنْ حِوَالِي الْقِصْعَةِ. قَالَ: فَلَمْ أَرَلْ أَحَبُّ الدَّبَّاءِ مِنْ يَوْمِئِذٍ». (٢)

قال ابن حجر: "وفي الحديث جواز أكل الشريف طعام من دونه من محترف وغيره وإجابة دعوته، ومؤكلة الخادم، وبيان ما كان في النبي صلى الله عليه وسلم من التواضع واللفظ بأصحابه وتعاهدهم بالمجيء إلى منازلهم، وفيه الإجابة إلى الطعام ولو كان قليلا ومناولة الضيفان بعضهم بعضا مما وضع بين أيديهم، وإنما

(١) أبادي: "عون المعبود شرح سنن أبي داود"، مرجع سابق، ج ١٠، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام، ص (٢٦٦)، قال المنذري: وفيه رجل مجهول، وفيه يزيد بن عبدالرحمن أبو خالد المعروف بالدلاني وقد وثقه غير واحد وتكلم فيه بعضهم.
(٢) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١١، كتاب الأطعمة، باب من تتبع حوالي القصعة مع صاحبه إذا لم يعرف منه كراهته، رقم الحديث (٥٣٧٩)، ص (٦٤٨٥).

يمتع من يأخذ من قدام الآخر شيئاً لنفسه أو لغيره، ...» (١)

٢- أن لا يجيب من يغلب على ظنه أنه يتكلف فيوقعه ذلك في الحرج والضيق
كان يكون فقيراً محتاجاً فإن إجابته في هذه الحالة ليست سنة. (٢)

٣- أن يتجنب إجابة الدعوة في الأماكن التي يقع فيها منكر لا يقدر على تغييره
، أو إلى فاسق ، قال ابن عثيمين رحمه الله : " أن لا يكون كسبه حرام ، لأن إجابته
تستلزم أن تأكل طعاماً حراماً وهذا لا يجوز ، وبه قال أهل العلم ، وقال آخرون : ما
كان محرماً لكسبه فإن إثمه على الكاسب لا على من أخذ منه بطريق مباح من
الكاسب بخلاف ما كان محرماً لعينه كالخمر والمغصوب ونحوهما ، وهذا القول وجيه
قوي...» (٣)

٤- أن يبتغي في إجابة الدعوة رضا الله تعالى بإدخال السرور إلى أخيه المسلم
وليس ملئ بطنه بالطعام فليس ذلك من المروءة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه
قال: «أبصر النبي صلى الله عليه وسلم نساءً وصبياناً مقبلين من عرس فقام مُمتناً
فقال: اللهم أنتم من أحب الناس إلي». (٤)

٥- أن لا يمنعه تطوع بالصيام و غيره من إجابة دعوة أخيه المسلم ، عن بن
أبي جحيفة عن أبيه قال: «أخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء
فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أمّ الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك
أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً فقال: كل،
فإني صائم. فقال: ما أنا بأكل حتى تأكل، فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء
يقوم، فقال: نم، فنام. ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم

(١) المرجع السابق ، ص (٦٤٨٦) .

(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٣) .

(٣) ابن عثيمين ، محمد صالح : القول المفيد على كتاب التوحيد ، ط ٣ ، دار ابن الجوزي ،
المملكة العربية السعودية ، الدمام ، ١٤١٩هـ ، ج ٢ ، ص (٣٥١) .

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب النكاح ،
باب ذهاب النساء والصبيان ، رقم الحديث (٥١٨٠) ، ص (٦١٣٨) .

الآن. قال: فصلياً. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق سلمان».

٦- أن لا يحضر دون دعوة من صاحب الدعوة ، عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: «كان من الأنصار رجلٌ يقال له أبو شعيب، وكان له غلامٌ لحام، فقال: اصنع لي طعاماً أدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم خامسَ خمسة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خامسَ خمسة، فتبعهم رجلٌ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنك دعوتنا خامسَ خمسة، وهذا رجلٌ قد تبعنا، فإن شئت أدنت له وإن شئت تركته. قال: بل أدنت له».(١)

قال النووي: "أن المدعو إذا تبعه رجل بغير استدعاء ينبغي له أن لا يأذن له وينهاه، وإذا بلغ باب دار صاحب الطعام أعلمه به ليأذن له أو يمنعه، وأن صاحب الطعام يستحب له أن يأذن له إن لم يترتب على حضوره مفسدة بأن يؤذي الحاضرين أو يشيع عنهم ما يكرهونه أو يكون جلوسه معهم مزريراً بهم لشهرته بالفسق ونحو ذلك، فإن خيف من حضوره شيء من هذا لم يأذن له، وينبغي أن يتلطف في رده ولو أعطاه شيئاً من الطعام إن كان يليق به".(٢)

٣- آداب الضيافة والاستقبال والدخول :

ولدخول الضيف على الداعي واستقبال الداعي له أحاطتها التربية الإسلامية بجملة من الآداب منها :

١- التزام المدعو بآداب الإستئذان عند دخوله لصاحب الدعوة ، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا

(١) المرجع السابق ، ج ١١ ، كتاب الأطعمة ، باب الرجل يتكلف الطعام لإخوانه ، رقم الحديث (٥٤٣٤) ، ص (٦٥٢٦).

(٢) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، ج ١٣ ، كتاب الأشربة ، باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام ، ص (٢٠٨) .

ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ
وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ» (١).

قال ابن كثير: "هذه آداب شرعية، أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك في الاستئذان أمرهم أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي يستأذنوا قبل الدخول، ويسلموا بعده، وينبغي أن يستأذن ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا انصرف..."

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مدعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع. فقال: والله لنقيم عليه بيئته. أمينكم أحد سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقامت معه فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك». (٢)

فعلى الضيف أن يستأذن على مضيفه عند الدخول حتى لا يطلع على شيء يكره الضائف أن يطلع عليه، ففي ذلك غض للبصر، فعن سهل بن سعد قال: اطلع رجل من جحر في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، ومع النبي صلى الله عليه وسلم مدري يحك به رأسه فقال: لو أعلم أنك تنظر لطمعتُ به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر». (٣)

(١) سورة النور: الآية (٢٧-٢٩).

(٢) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، رقم الحديث (٦٢٤٥)، ص (٧٤٤٧).

(٣) المرجع السابق، ج ١٢، كتاب الاستئذان، باب لاستئذان من أجل النظر، رقم الحديث (٦٢٤١)، ص (٧٤٤٤).

٢- أن لا يأتي باكرا إلى الدعوة إذا تعارف الناس ضرره بالداعي ، قال تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ...» (١)

قال ابن عطية: وكانت سيرة القوم إذا كان لهم طعام وليمة، أو نحوه أن يبكر من شاء إلى الدعوة ينتظرون طبخ الطعام ونضجه، وكذلك إذا فرغوا منه جلسوا كذلك، فهي الله المؤمنين عن ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ودخل في النهي سائر المؤمنين، والتزم الناس أدب الله لهم في ذلك، فمنعهم من الدخول إلا بإذن عند الأكل لا قبله لانتظار نضج الطعام...» (٢)

٣- أن يحرص الداعي على استقبال ضيفه ببشاشة وطلاقة وجه ، عَنْ أَبِي ثَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ» (٣)

وهذا يتضح من ترحيب الأنصاري وزوجته بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته كما ورد في رواية مسلم للحديث ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، . قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ . فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ . فَقَالَ «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الْجُوعُ . يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَأَنَا . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا . فُومُوا» فَقَامُوا مَعَهُ . فَاتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ . فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ . فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعِذُّ لَنَا مِنَ الْمَاءِ . إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَنظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَصَاحِبِيهِ . ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ . مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي . قَالَ

(١) سورة الأحزاب : الآية (٥٣)

(٢) الشوكاني ، محمد علي: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الناشر محفوظ العلي ، لبنان ، بيروت (د . ت) ج ٤ ، ص (٢٩٧).

(٣) سبق تخريجه ، ص (١٢٢) .

فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرَطْبٌ...» (١)

فالكلمة الطيبة لها وقع على القلوب وتأليفها .

٤- أن يحرص الداعي على خدمة ضيفه بنفسه ، وقدوتنا في ذلك إبراهيم عليه السلام حيث امتدحه الله تعالى لإكرامه ضيفه وتقديم الطعام له بنفسه ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ...﴾ (٢).

والنبي صلى الله عليه وسلم حرص على ذلك ومن مواقفه ما روي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟» فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوَهُ. فَعَجِنَ. ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ، مُشْرِكٌ مُشْعَانٌ طَوِيلٌ، بَعْنَمٍ يَسُوفُهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَبِيعَ أَمْ عَطِيَّةً - أَوْ قَالَ - أَمْ هِبَةً؟» فَقَالَ: لَا. بَلْ بَيْعٌ. فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً. فَصُنِعَتْ. وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَوَادِ الْبَطْنِ أَنْ يُشَوَّى. قَالَ: وَإِيمُ اللَّهِ مَا مِنَ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةً إِلَّا حَزَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُزَّةً حُزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا. إِنْ كَانَ شَاهِدًا، أَعْطَاهُ. وَإِنْ كَانَ غَائِبًا، حَبَأَ لَهُ.

قَالَ وَجَعَلَ قَصْعَتَيْنِ. فَأَكَلْنَا مِنْهُمَا أَجْمَعُونَ. وَشَبِعْنَا. وَقَضَلَ فِي الْقَصْعَتَيْنِ. فَحَمَّائُهُ عَلَى الْبَعِيرِ. أَوْ كَمَا قَالَ. (٣)

فالنبي صلى الله عليه وسلم من خلال قيامه بنفسه بصنع الطعام و تقديمه جسد هذا المبدأ لغرسه في نفوس الصحابة رضي الله عنهم .

(١) المرجع السابق ، ج ١٣ ، كتاب الأشربة ، باب جواز استتباعه غيره دار ، ص (٢٢٠) .

(٢) سورة هود : الآية (٦٩) .

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، كتاب الأشربة ، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره ، ص (١٦) .

١- أن يقدم مباشرة الطعام الكبير ومن يلي الشخص من جهة اليمين ، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب فشرب منه - وعن يمينه غلامٌ وعن يساره الأشياخ - فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله يا رسول الله، لا أوترُ بنصيبك منك أحداً. قال: فقلَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده». (١)

٢- أن لا يتكلف في الطعام بل يقدم قدر الكفاية ، فلا يزيد عن الحاجة فيؤدي إلى الإسراف المنهي عنه قال تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ . (٢)

قال ابن كثير : " قال بعض السلف جمع الله الطب كله في نصف آية ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ وقال البخاري قال ابن عباس: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة،... " (٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، . قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة. فإذا هو بأبي بكر وعمر. فقال «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع. يا رسول الله قال: «وأنا. والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما. قوموا» فقاموا معه. فأتى رجلاً من الأنصار. فإذا هو ليس في بيته. فلما رآته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً فقال لها رسول الله «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء. إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله وصاحبيه. ثم قال: الحمد لله. ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني. قال فانطلق فجاءهم يعدق فيه بسرٌّ وتمرٌ ورطبٌ. فقال: كلوا من هذه. وأخذ المدينة. فقال له رسول الله «إياك والحلوب» فدبج لهم. فاكلوا من الشاة. ومن ذلك العدق. وشربوا. فلما أن شبعوا ورووا، قال

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب المظالم ، باب إذا أذن له أوأمله ولم يبين كم هو ، رقم الحديث (٢٤٥١) ، ص (٣٠٧٢) .

(٢) سورة الأعراف : الآية (٣١).

(٣) ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم" ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٩٥).

رَسُولُ اللَّهِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ: «وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ. ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ». (١)

قال النووي: "وقد كره جماعة من السلف التكلف للضيف وهو محمول على ما يشق على صاحب البيت مشقة ظاهرة لأن ذلك يمنعه من الإخلاص وكمال السرور بالضيف، وربما ظهر عليه شيء من ذلك فيتأذى به الضيف، وقد يحضر شيئاً يعرف الضيف من حاله أنه يشق عليه وأنه يتكلفه له فيتأذى الضيف لشقته عليه، وكل هذا مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» لأن أكمل إكرامه إراحة خاطره وإظهار السرور به، وأما فعل الأنصاري وذبحه الشاة فليس مما يشق عليه بل لو ذبح أغناماً بل جمالاً وأنفق أموالاً في ضيافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما كان مسروراً بذلك مغبوطاً فيه والله أعلم" (٢)

وعلى المسلم أن لا يقل الطعام فيؤدي به إلى البخل، بل يقتدي بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم.

٣- أن يعجل الطعام :

وقدوتنا في ذلك إبراهيم عليه السلام فقد اثني الله تعالى عليه حينما عجل بالطعام لضيوفه، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُتَكْرِمُونَ * فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٣)

(١) سبق تخريجه، ص (١٩٥).

(٢) النووي: "صحيح مسلم بشرح النووي"، مرجع سابق، ج ١٣، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، ص (٢١٤).

(٣) سورة الذاريات: الآية (٢٤-٣٠).

ففي الآية مدح إبراهيم عليه السلام في تأدبه بأدب الضيافة مع اضيافه ، حيث قابلهم بالسلام و الكلام الطيب وانسل بسرعة وخفاء ليعجل لهم في تقديم الطعام من حيث لا يشعرون ، وقوله عز وجل: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴾ أي انسل خفية في سرعة ﴿ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴾ أي من خيار ماله. (١)

وفي حديث الأنصاري مع النبي صلى الله عليه وسلم دليل على استحباب الاستعجال بالطعام للضيف .

قال النووي : " وفيه استحباب المبادرة إلى الضيف بما تيسر وإكرامه بعده بطعام يصنعه له لا سيما إن غلب على ظنه حاجته في الحال إلى الطعام، وقد يكون شديد الحاجة إلى التعجيل، وقد يشق عليه انتظار ما يصنع له لاستعجاله للانصراف... " (٢)

٤- أن لا يرفع صاحب الدعوة يده قبل الضيوف خشية أن يتخرجوا فيبادروا بالقيام قبل أن يقضوا حاجتهم من الطعام ، وأن يبادر إلى مناولتهم الطعام وتقديمه لهم ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إِنَّ خِيَاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَطْعَامٍ صَنَعَهُ. قَالَ أَنَسٌ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَيْتُهُ يَتَّبَعُ الدَّبَّاءَ مِنْ حَوَالِي الْقَصْعَةِ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَحَبُّ الدَّبَّاءِ مِنْ يَوْمِئِذٍ. » (٣)

٥- آداب الضيافة عند الانصراف :

١- أن يودع الضيف إلى الباب ، " فيخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر بإكرامه. قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» . وقال عليه السلام: «إِنَّ مِنْ سُنَّةِ الضَّيْفِ أَنْ يُشَيِّعَ إِلَىٰ بَابِ الدَّارِ» . قال أبو قتادة: قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه

(١) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٢١١) .

(٢) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الأشربة ، باب جواز استتباع ، ص (٢١٤)

(٣) سبق تخريجه ، ص (١٩٢) .

وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله: فقال: «كَلَّا إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِي مُكْرِمِينَ وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَكْفِيَهُمْ». وتمام الإكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة. قيل للأوزاعي رضي الله عنه: ما كرامة الضيف؟ قال: طلاقة الوجه وطيب الحديث...^(١)

٢- أن يدعوا الضيف لصاحب الدعوة فهو سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، عن أنس رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عْبَادَةَ فَبَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ». ^(٢)

٣- أن ينصرف الضيف طيب النفس راض وإن جرى في حقه تقصير، فيتغاضى ويستتر.

٤- أن لا يخرج إلا برضا صاحب الدعوة، ولا يطيل المكوث إن هو رأى خلاف ذلك، وأن لا تزيد مدة إقامته عن ثلاثة أيام، عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ، يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَبْثُورَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرَجَهُ». ^(٣)

قال ابن حجر: "قوله: (حتى يخرجه) بحاء مهملة ثم جيم من الحرج وهو الضيق، والثواء بالتخفيف والمد الإقامة بمكان معين، قال النووي في رواية لمسلم " حتى يوثمه " أي يوقعه في الإثم، لأنه قد يغتابه لطول مقامه أو يعرض له بما يؤذيه أو يظن به ظنا سيئا، وهذا كله محمول على ما إذا لم تكن الإقامة باختيار صاحب المنزل بأن يطلب منه الزيادة في الإقامة أو يغلب على ظنه أنه لا يكره ذلك، وهو مستفاد من قوله: " حتى يخرجه " لأن مفهومه إذا ارتفع الحرج أن ذلك يجوز، ...

(١) الغزالي: "إحياء علوم الدين"، مرجع سابق، ج ٢، ص (١٨).

(٢) سبق تخريجه، ص (١٩١).

(٣) سبق تخريجه، ص (١٨٤).

قال ابن بطال إنما كره له المقام بعد الثلاث لئلا يؤذيه فتصير الصدقة منه على وجه
المن والأذى، قلت: وفيه نظر، فإن في الحديث "فما زاد فهو صدقة" فمفهومه أن
الذي في الثلاث لا يسمى صدقة، فالأولى أن يقول لئلا يؤذيه فيوقعه في الإثم بعد أن
كان مأجورا. (١)

الأمور المعينة على تطبيق مبدأ إكرام الضيف :

ومن الأمور المعينة على تطبيق مبدأ إكرام الضيف ما يلي :

- ١- تقوى الله تعالى ، فهي مفتاح كل خير .
- ٢- تعويد النفس على البذل والعطاء .
- ٣- استحضار آثار مبدأ إكرام الضيف في الدنيا والآخرة .
- ٤- مصاحبة أهل الكرم والجود ، وتجنب أهل البخل .

آثار مبدأ إكرام الضيف :

و لمبدأ إكرام الضيف ثمار طيبة يجنيها المسلم منها:

- ١- الفوز بالدرجات العلى من الجنة ، والنجاة من النار .
- ٢- اكتساب مكارم الأخلاق من كرم وبذل وإيثار ..
- ٣- كمال الإيمان .
- ٤- البركة في العمر والرزق .
- ٥- إشاعة روح الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع مما يقوي الصلات الاجتماعية بينهم.
- ٦- اكتساب محبة الناس .
- ٧- الذكر الحسن في الحياة وبعد الممات .

(١) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج١٢ ، كتاب الأدب ،
باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ، ص(٧٣٢٣-٧٣٢٤) .

المبحث السادس

مبدأ الحياء

الحياء مبدأ ثابت من مبادئ التربية الإسلامية ، أثبتته نصوص الكتاب والسنة وأكدت على أهميته التربوية ، فهو رأس أخلاق الإسلام ، لأنه قوام السلوك الخُلقي الصالح ، فهو خير كله ، لأنه الباعث على كل فضيلة ، فعن قتادة عن أبي السَّوَّار العدويّ قال: «سمعتُ عمرانَ بنَ حُصينَ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: الحياءُ لا يأتي إلا بخير. قال بُشيرُ بن كعب: مكتوبٌ في الحكمة: إنَّ من الحياءِ وقاراً وإنَّ من الحياءِ سَكينة. فقال له عمرانُ: أهدتْكَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدّثني عن صحيفتِكَ». (١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمانُ بضغّ وسِتُونِ شُعبَةٍ، والحياءُ شُعبَةٌ مِنَ الإيمانِ» (٢)، فهو شعبة من شعب الإيمان ، وأساس كماله .

مفهوم مبدأ الحياء:

لغة: أصل الكلمة حيي ، يقال حي منه حيا ، واستحيا حذفوا الياء الأخيرة كراهة النقاء اليائين ، والحياء بمعنى التوبة والحشمة . (٣)

اصطلاحاً :

- قيل هو : خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذوي الحق.

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الحياء ، رقم الحديث (٦١١٧) ، ص (٧٣٠٨).

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان ، رقم الحديث (٩) ، ص (٧١).

(٣) ابن منظور: "لسان العرب" ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، مادة حيا ، فصل الحياء ، حرف الواو والياء ، ص (٢٣٧).

- وقيل هو حاله حاصلة من روثية الآلاء : إي النعم - ورؤية التقصير ، فتولد بينهما حالة تسمى الحياء (١) .

- وقيل هو : حالة حاصلة من امتزاج التعظيم بالمودة فإذا أقرنا تولد بينهما الحياء. (٢)

وقال الراغب : " الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركها ". (٣)

تعريف الباحثة لمفهوم مبدأ الحياء :

ومن خلال ما سبق نقول إن مفهوم مبدأ الحياء هو :

هو خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق صاحب الحق .

حقيقة الحياء :

ولمعرفة حقيقة الحياء فهو ينقسم إلى أنواع ، وفيما يلي تفصيل ذلك:

- أنواعه :

١- فطري :

وهو الغريزي الذي فطر عليه الإنسان ، وليس بادل على ذلك من حياء آدم وحواء حين نزع لإباسهما في الجنة لمخالفتها أمر الله تعالى ، قال تعالى : ﴿فَدَلَاهُمَا يُغْرُونَ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سُوءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَتَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . (٤)

(١) ابن علان : " دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) ابن القيم الجوزية ، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، ج ٢ ، ص (٢٧٤) .

(٣) الراغب الأصفهاني : " المفردات في غريب القرآن " ، مرجع سابق ، مادة حيي ، ص (١٤٠) .

(٤) سورة الأعراف : الآية (٢٢) .

" فالحياء مما جبل الناس عليه في كثير من الأشياء فهم يستحون، وإن كانوا لا يدرون ما الحياء ، كما يجوعون ولا يدرون ما حقيقة الجوع...فكذلك يستحون و إن لم يدروا ما حقيقة الحياء ، على معنى يمنعون من فعل مالا يمنع من مثله إلا خوف الاستنكار والذم ، و إن كانوا لا يخشون بذلك من نفوسهم ، لكنهم لا يخلون من نفور يجدونه في قلوبهم ، وذلك النفور جبلة ". (١)

وهذا الحياء الفطري هو الذي جبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم فكان أشد حياء من العذراء في خدرها .

" ومحل وجود الحياء منه صلى الله عليه وسلم في غير حدود الله تعالى " (٢) .
ويترتب عليه "حياء الإنسان من الناس فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقيح..."

فلاستحياء من الناس من مكارم الأخلاق بل من اللوازم بالاستحقاق وبه تكمل المروءة ويتم الصلاح ويكف الأذى ويصدق اللسان وتؤدي الأمانة وتحسن السيرة وتصلح السريرة... " (٣)

٢- مكتسب (شرعي):

وحقيقة الحياء الشرعي تتمثل في قوله النبي صلى الله عليه وسلم : " أستحوا من الله حق... " (٤)

وهو الحياء الشرعي الذي صرحت به كثير من نصوص الشرع ، وهو لا يأتي إلا بخير " لحديث الحياء لا يأتي إلا بخير .. " (٥)

-
- (١) الحلبي: " كتاب المنهاج في شعب الإيمان " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٤٠)
(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ص (٤١٥٥) .
(٣) عبد الباري ، عبد الباري محمد داود : اللسان بين ميزان الصمت والكلام ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، القاهرة ، (د . ت) ، ص (٣٨) .
(٤) احمد بن حنبل : " مسند احمد " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣٨٧) .
(٥) سبق تخريجه ، ص (٢٠٢) .

والباعث على ترك القبيح " و الذي جعله الشارع من الإيمان وهو المكلف به دون الغريزي غير أن من كان فيه غريزة منه فإنها تعينه على المكتسب وقد ينطبع بالمكتسب حتى يصير غريزيا ".^(١)

" والنبي صلى الله عليه وسلم قد جُمع له النوعان ، فكان في الغريزي أشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان في الحياء المكتسب في الذروة العليا صلى الله عليه وسلم ".^(٢)

ويتولد الحياء الشرعي من حياء الإنسان من الله تعالى ، وهو أعلى وأرفع منازل الحياء وأجله وهو المتمثل بقول النبي صلى الله عليه وسلم "استحيوا من الله حق الحياء..."^(٣)

فيتولد من معرفة الله تعالى ومراقبته سرا وعلنا ، فيوقن العبد أنه في معية الله تعالى سواء بعلمه أنه محيط بكل شيء ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .^(٤) وقال تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾^(٥) وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾^(٦) ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٧).

أو بحفظه ونصره وتأييده لعباده الصالحين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾.^(٨) وقال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٩)

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الحياء ، ص (٧٣١٠).

(٢) المرجع السابق .

(٣) سبق تخريجه ، ص (٢٠٤).

(٤) سورة الحديد : الآية (٤) .

(٥) سورة غافر : الآية (١٩) .

(٦) سورة العلق : الآية (١٤) .

(٧) سورة النساء : الآية (١) .

(٨) سورة النحل : الآية (١٢٨) .

(٩) سورة البقرة : الآية (١٨٦) .

فالله تعالى مطلع على السر والعلن ومعرفة العبد بذلك تجعله يراقبه ويزيده ذلك حياء منه ، فيمتثل لأمره ويترك ما نهى الله عنه . (١)
فكلما كان العبد اعرف بالله تعالى اشتد خوفه وحيأؤه منه .

والحياء من الله تعالى طريق إلى إقامة كل طاعة واجتناب كل معصية لأنه إذا خاف الذم من الله عز وجل ، وإنكاره ما يبذره منه من القبيح لم يرفض له طاعة ولم يقرب له معصية ، فيكمل إيمانه بسبب حياءه . فصح بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم «الحياء من الإيمان» وخلق هذا الدين الحياء. (٢)

وقد أقرن الحياء بالإيمان في نصوص الشارع كثيراً ، فهو باعث على فعل كل خير عن فتادة عن أبي السَّوَّارِ العدويّ قال: «سمعتُ عِمْرَانَ بنَ حُصَيْنٍ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: الحياءُ لا يأتي إلا بخير. قال بُشَيْرُ بنُ كعب: مكتوبٌ في الحكمة: إنَّ من الحياءِ وقاراً وإنَّ من الحياءِ سَكِينَةٌ. فقال له عِمْرانُ: أهدتْكَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدتني عن صحيفتك». (٣)

وبذلك يرتقي الإنسان إلى درجة الإيمان المقترن بالحياء .

ويدخل في حياء الإنسان من الله تعالى " استحياء المرء من نفسه : وهو أن يتعفف في خلوته عن كشف عورته ومن النظر إليها ويتنزّه عند إنفراده عن استطلاع ما يكره لغيره استطلاعاً منه فلا يأتي في الخلوة إلا ما يأتي في الملاء " . (٤)

قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونِ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَخْفُونَ نَبَاهَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٥) ، أناس كانوا يستحون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء أو يجمعوا نساءهم

(١) ابن القيم الجوزية : " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢٧٥-٢٧٨) .

(٢) الحلبي: " كتاب المنهاج في شعب الإيمان " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٣١) .

(٣) سبق تخريجه ، ص (٢٠٢) .

(٤) عبدالباري : " اللسان بين ميزان الصمت والكلام " ، مرجع سابق ، ص (٤٠) .

(٥) سورة هود : الآية (٥) .

فيفضوا إلى السماء ، فنزل ذلك فيهم " . (١)

الفرق بين الحياء والخجل :

الخجل :

لغة : التحير والدهش من الاستحياء . (٢)

واصطلاحا : هو ترك الشيء لدهشة تلحقك عنده . (٣)

ومن التعريفات السابقة يتضح الفرق بين الحياء والخجل .

فالحياء تورع من قول أو فعل لا يليق بالكريم ، والخجل الإسراف في صفة الحياء حتى يضعف المرء عن الأقدام على الشيء الحسن النافع خوفا من الذم... (٤)

فهذا الحياء المذموم ، وهو الذي يبعد صاحبه عن مواجهة من يرتكب المنكرات ويحمله على الإخلال ببعض الحقوق فهذا الحياء ليس شرعيا بل هو عجز ومهانة . (٥)

وقد يبعده عن تعلن العلم ، فأم سليم رضي الله عنها لم يمنعها حيائها من السؤال عن الغسل إذا احتلمت المرأة لحديث ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «جاءت أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟ فقال: نعم، إذا رأيت الماء» . (٦)

(١) ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، مرجع سابق، ج ٢، ص (٣٩٦).

(٢) الجوهري: "الصحاح تاج اللغة صحاح العربية"، مرجع سابق، ج ٤، ص (١٦٨٢).

(٣) البدر العيني: "عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، ص (١٧٧).

(٤) أحمد الشرباصي: "موسوعة أخلاق القرآن"، ط ١، دار الرائد العربي، لبنان، بيروت، ١٤٠١هـ، ج ١، ص (٨٨).

(٥) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب، باب الحياء، ص (٧٣١٠).

(٦) المرجع السابق، باب ما لا يستحي من الحق للتعفة في الدين، رقم الحديث (٦١٢١)، ص (٧٣١١).

، وكذلك حديث ، أنس رضي الله عنه قال: «جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تعرض عليه نفسها فقالت: هل لك حاجة في؟ فقالت ابنته: ما أقل حياءها. فقال: هي خير منك، عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسها»^(١).

فلم يمنع هؤلاء الحياء من التفقه في الدين إذا لو ذمهم النبي صلى الله عليه وسلم لكان الحياء المذموم .

" وقال مجاهد : لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر ، وقالت عائشة رضي الله عنها : نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين " ^(٢)

فزيادة الحياء عن الحد المعني به شرعا تفضي إلى الخجل .

وإما نقصان الحياء فيؤدي إلى الفحش و البذاءة ، وهما بمعنى القول والفعل القبيح ، وهما أسوأ شيء في مساوئ الأخلاق .^(٣)

وقد حذرت التربية الإسلامية من الفحش والبذاءة وذمتها، لحديث عن أنس رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في قط إلا زانه» .^(٤)

وفي طرف من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «...إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَيَّ الْحَلِيمَ الْمَتَعَفِّفَ، وَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبِدِّيَّ، السَّائِلَ

(١) المرجع السابق ، رقم الحديث (٦١٢٣) ، ص (٧٣١١) .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، باب الحياء في العلم ، ص (٣٠١) .

(٣) القارى : " مرقاة المفاتيح ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الآداب ، باب حفظ اللسان والغيبة ، ص (٦٣٦) ، باب الرفق والحياء وحسن الخلق ، ص (٧٤٠ ، ٧٤١) .

(٤) احمد بن حنبل : " مسند احمد " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٦٥) .

المَلْحِفَ، إِنَّ الْحَيَاءَ مِنْ إِيمَانٍ، وَإِلِيمَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَالْفُحْشِ مِنَ الْبَدَاءِ وَالْبَدَاءِ فِي النَّارِ». (١).

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ: وَالْبَدَاءُ مِنَ الْجَقَاءِ، وَالْجَقَاءُ فِي النَّارِ» (٢)

وقيل: " إن كان الحياء في أمر محرم فهو واجب وإن كان في أمر مكروه فهو مستحب وإن كان في أمر مباح فهو راجع للعرف " . (٣)

مكانة مبدأ الحياء في التربية الإسلامية :

١ - صفة من صفات الله تعالى :

أن لله تعالى صفات الكمال والجلال ، فقد نسبت بنصوص الكتاب والسنة صفة الحياء لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمه " فحياء الرب تعالى من عبده ، لا تدرکه الأفهام ولا تكيفه العقول فإنه حياء كرم وبر وجود وجلال " (٤).

فقد أثبتته تعالى لنفسه في كتابه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيُ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (٥)

(١) نور الدين الهيثمي: "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، مرجع سابق، ج ٤، كتاب الأدب، باب ما جاء في الحياء والنهي عن الملاحاة، ص (١٦٩)، وقال رواه الطبراني، وفيه: محمد بن موسى بن أبي نعيم، وثقه أبو حاتم وجماعة، وكذبه ابن معين، وبقيته رجاله رجال الصحيح.

(٢) المباركفوري: "تحفة الأحوذني شرح سنن الترمذي"، مرجع سابق، ج ٦، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحياء، ص (١١٦)، وقال في الحديث: قال أبو عيسى: وفي الباب عن ابن عمر وأبي بكر وأبي امامة وعمران بن حصين. هذا حديث حسن صحيح.

(٣) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، ص (١٠٢).

(٤) ابن القيم الجوزية: "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، مرجع سابق، ج ٢، ص (٢٧٢).

(٥) سورة البقرة: الآية (٢٦).

وكذا اثبت له نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، عن عطاء عن يعلى ، : «أنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبِرَّازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ
فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ سَيِّرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ
أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ». (١)

وعدم رده سبحانه دعاء عبده إنما هو منه تعالى جياء كرم وجود ، عن أبو
عُثْمَانَ عَنْ سَلْمَانَ ، قَالَ قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدُهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا». (٢)

٢- من صفات الأنبياء :

فالأنبياء هم القدوة لأممهم فقد مثلوا نموذج للشخصية السوية بكل مقاييسها لذا
فهم متصفون بالخلق الكريم الذي رأسه الحياء ومنهم خاتم الأنبياء النبي محمد صلى
الله عليه وسلم ، فقد كان متصف بصفة الحياء التي أثبتها له الله تعالى في كتابه قال
تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ
نَاطِرِينَ إِنَاءً وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِنِينَ لِحَدِيثِ إِنَّ
ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ
مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا
رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا». (٣)

فالنبي صلى الله عليه وسلم لشدة حياؤه عندما دعا الصحابة إلى وليمة زينب
رضي الله عنها ، استحي أن يطلب من الصحابة الذين تأخروا في المكوث في
المجلس الانصراف ، ليدخل على أهله وفي أثناء ذلك ذهب إلى زوجاته ليسلم عليهن
حتى يخرجوا، وهذا الحياء الذي منه صلى الله عليه وسلم إنما يدل على شدة كرم خلقه

(١) أبادي : " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الحمام ، باب
النهي عن التعري ، ص (٣٩) .

(٢) المرجع السابق ، ج ٤ ، كتاب الوتر ، باب الدعاء ، ص (٢٦٤) وقال المنذري : وأخرجه
الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي حسن غريب .

(٣) سورة الأحزاب : الآية (٥٣)

، فلم يستطع أن يخرج صحابته حياء منهم فأخبر عنه ذلك ربه عز وجل ونبه إلى شدة حياؤه ... (١)

لذا نجد الراوي يصفه بشدة الحياء في قوله : " ... ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون - وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء - فخرج مُطلقاً نحو حجرة عائشة، فما أدري أخبرته أو أخبر أن القوم خرجوا، فرجع ... " (٢)

فهذا الحياء منه صلى الله عليه وسلم هو حياء جود وكرم .

لذلك كان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء كما وصفه الصحابة ، عن أبا سعيد قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها» . (٣)

ومن الأنبياء من عرف بصفة الحياء وهو موسى عليه السلام ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن موسى كان رجلاً حياً سثيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أذرة، وإما آفة. وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر. فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبراه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوا لله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله:

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب التفسير ، باب {لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا ...} ، رقم الحديث (٤٧٩٣) ، ص (٥٥٤٩) .
(٢) ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم" ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٤٧٠) .
(٣) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الحياء ، رقم الحديث (٦١١٩) ، ص (٧٣٠٨) .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آتوا موسى فبأواه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيها﴾ (١) (٢)

٣- من صفات الملائكة :

قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ...﴾ (٣)

فحياء الملائكة حياء تقصير فهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، فإذا كان يوم القيامة قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك . (٤)

وقد ثبتت هذه الصفة لهم في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعاً فِي بَيْتِي، كَاشِفاً عَن فُخْدِيهِ. أَوْ سَاقِيهِ. فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ. فَأَذِنَ لَهُ. وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ. فَتَحَدَّثَ. ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ. وَهُوَ كَذَلِكَ. فَتَحَدَّثَ. ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ. فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ . وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ. فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ. وَلَمْ تُبَالِهِ. ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ. ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسَتْ وَسَوَّيْتُ ثِيَابَكَ فَقَالَ «أَلَا اسْتَحْيِي مِن رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ». (٥)

٤- من صفات المؤمنين والمؤمنات :

والحياء صفة ملازمة للمؤمن يتميز بها عن غيره ، وضرب الله تعالى لنا أمثلة عن حياء المؤمنين والمؤمنات ، فيحكي الله تعالى عفة وحياء زوجة موسى ابنة نبي

(١) سورة الأحزاب : الآية (٦٩).

(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الأنبياء ، باب ، رقم الحديث (٣٤٠٤) ، ص (٣٩٧٩) .

(٣) سورة فصلت : الآية (٣٧).

(٤) ابن القيم الجوزية : " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢٧٢) .

(٥) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب من فضائل عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، ص (١٦٨ - ١٦٩) .

الله شعيب عليه السلام قال تعالى : ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ...﴾ (١)

أي جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها . (٢)

وامتدح عثمان بن عفان رضي الله عنه بسبب حياءه حيث كان من أشد الناس حياء كما في الحديث ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ عُمَانَ ، حَدَّثَاهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ ، لَا يَسُ مِرْطَ عَائِشَةَ . فَأَذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ كَذَلِكَ . فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انصَرَفَ . ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ . فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ . ثُمَّ انصَرَفَ . قَالَ عُمَانُ : ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَجَلَسَ . وَقَالَ لِعَائِشَةَ : «اجْمَعِي عَلَيْكَ ثِيَابَكَ» فَقَضَيْتُ إِلَيْهِ حَاجَتِي ثُمَّ انصَرَفْتُ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِي لَمْ أَرَكَ فَرَعْتَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، كَمَا فَرَعْتَ لِعُمَانَ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ عُمَانَ رَجُلٌ حَيٌّ . وَإِنِّي خَشِيتُ ، إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ» . (٣)

وقد تميز عثمان رضي الله عنه بهذه الصفة كما في الحديث ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ» وقال عفان مرة : في أمر الله عمر : «وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُمَانُ ، وَأَقْرَضَهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَقْرَوَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وَأَعْلَمَهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ» . (٤)

(١) سورة القصص : الآية (٢٥).

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٣٦٠).

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب من فضائل عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، ص (١٦٩) .

(٤) احمد بن حنبل : " مسند احمد " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٨١) .

٥- مبدأ الحياء شريعة ربانية توارثتها الأمم :

ولأهمية خلق الحياء فهو ليس صفة خلقية محضة بل هو مبدأ ثابت في الشرائع السابقة والشريعة الإسلامية ، حيث يعد مبدأ حائثا على تطبيق الشريعة الإسلامية ، لحديث ، عن أبو مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت». (١)

وحديث ، عن أبي أيوب رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أربع من سنن المرسلين: الحياء والتعطر والسواك والنكاح» (٢)

٦- مبدأ الحياء رأس أخلاق الإسلام :

روى في شعب الإيمان عن النبي صلى الله عليه وسلم «لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء». (٣)

أي طبع هذا الدين وسجيته التي بها قوامه ومروءة الإسلام التي بها جماله الحياء وأصله من الحياة فإذا حيى القلب بالله أزداد منه حياء ، ألا ترى أن المستحي يعرق وقت الحياء فعرقه من حرارة الحياء التي هاجت من الروح ضمن هيجانه تفور منه الروح فيعرق منه الجسد ويعرق منه أعلاه لأن سلطانه الحياء في الوجه والصدر وذلك من قوة الإسلام ، لأن الإسلام تسليم النفس والدين خضوعها وانقيادها ، فلذا صار الحياء خلقا للإسلام فيتواضع ويستحي. (٤)

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت ، رقم الحديث (٦١٢٠) ، ص (٧٣١٠) .

(٢) المباركفوري: "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي" ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في فضل التزويج والحث عليه ، ص (١٤٢) ، قال أبو عيسى: حديث أبي أيوب حديث حسن غريب .

(٣) الحلبي: "كتاب المنهاج في شعب الإيمان" ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٣٠) .

(٤) الزرقاني ، محمد عبد الباقي بن يوسف : شرح الزرقاني على موطأ مالك ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ج ٤ ، ص (٢٥٧) .

٧- مبدأ الحياء شعبة من شعب الإيمان :

فالحياء شعبة من الإيمان وهو الحياء الشرعي، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضغّ وسِتُونِ شُعْبَةٍ، والحياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ». (١)

وقوله صلى الله عليه وسلم لمن كان يعظ أخاه في الحياء : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: مرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على رجل وهو يعاتبُ أخاه في الحياء يقول: إنك لتستحيي - حتى كأنه يقول: قد أضربك - فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: دَعَهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ». (٢)

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : «الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قَرْنَانِ جَمِيعاً فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ». (٣)

فخلق الحياء ملازم للإيمان كما بين النبي صلى الله عليه وسلم انه من الإيمان فهو أثر من آثاره النفسية و السلوكية فهو والإيمان إنما هما وحدة كلية لا تتجزأ ، والحياء إنما هو شعبة من شعب الإيمان كما جاء في الحديث ، فإذا رفع الحياء رفع الإيمان وكذا العكس ، ولما كان الباعث على الحياء من المعاصي وسيء الأفعال الإيمان الذي يرافقه الخوف من الله تعالى كان من الطبيعي أن لا يوجد الحياء متى رفع الإيمان ، ويحل محله القحة والجرأة على فعل كل قبيح فيه معصية لله تعالى ولا يبقى إلا الحياء الذي هو معروف عند الناس عيباً ، وقد يتلاشى شيئاً فشيئاً متى

(١) سبق تخريجه ، ص (٢٠٢).

(٢) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب ، باب الحياء ، رقم الحديث (٦٠٠٨) ، ص (٧٣٠٨).

(٣) الحاكم: "المستدرک علی الصحیحین" ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، باب إذا زنى العبد خرج منه الإيمان ، ص (٢٢)، وقال : هذا حديث صحيح على شرطهما، فقد احتجا برواياته ولم يخرجاه بهذا اللفظ

تغيرت عادة الناس ، فقد يكون ما يستحي منه اليوم لا يستحي منه غدا حسب العادة دون النظر إلى كونه من المعاصي ، وبذلك يظهر لنا تلازم الحياء والإيمان . (١)

فحقيقة الحياء أنه باعث على ترك المعاصي خوفا من الله تعالى وحياء منه لحديث، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم : استحيوا من الله عز وجل حق الحياء » قال : قلنا : يا رسول إنا نستحي والحمد لله ، قال : ليس ذلك ولكن من استحي من الله حق الحياء فيحفظ الرأس وما حوى ، وليحفظ البطن وما وعى ، وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيامن الله عز وجل حق الحياء .» (٢)

فالحياء من الله سبحانه وتعالى يتولد من معرفة العبد بالله وإيقانه بمرآته له فإذا علم ذلك استحي أن ينظر إليه على معصية ويتجنبه للمعاصي حياء من الله ترتفع منزلته عند الله ويزداد إيمانه .

فقد يصل الإنسان إذا حقق الحياء الشرعي إلى منزلة الإحسان ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجلٌ يمشي فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، ورُسُلِهِ، ولقائه، وتؤمن بالبعثِ الآخر. قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبدَ اللهَ ولا تُشركَ به شيئاً، وتُقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاةَ المفروضة، وتصومَ رمضان. قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك...» (٣)

ولذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا يزني الزاني حين يزني

(١) الميداني: "الأخلاق الإسلامية و أسسها"، مرجع سابق ، ج ٢، ص (٥٠٨ - ٥٠٩).

(٢) سبق تخريجه ، ص (٢٠٤).

(٣) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ٩ ، كتاب تفسير القرآن ، باب { لا تُشركُ باللهِ إنَّ الشُّركَ لظلمٌ عظيمٌ } (لقمان: ١٣) ، رقم الحديث (٤٧٧٧) ، ص (٥٥٣١).

وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن»^(١).

قال عمر رضي الله عنه : " من قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه".^(٢)

يقول ابن القيم : " و "الحياء" من الحياة ... وعلى حسب حياء القلب يكون فيه قوة خلق الحياء ، وقلة الحياء من موت القلب والروح ، فكلما كان القلب أحي كان الحياء أتم"^(٣).

٨- مبدأ الحياء معيار لتخلق بمكارم الأخلاق :

فالحياء إنما يدل على فعل الكريم من الأفعال ، فهو مرتبط بالأخلاق الفاضلة وذلك يتضح من معناه .^(٤)

والدليل على ذلك حديث عن أبو مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»^(٥).

يقول ابن حجر في معنى الحديث : " قوله (فاصنع ما شئت) قال الخطابي: الحكمة في التعبير بلفظ الأمر دون الخبر في الحديث أن الذي يكف الإنسان عن مواجهة الشر هو الحياء فإذا تركه صار كالمأمور طبعاً بارتكاب كل شر، ...وفيه

(١) المرجع السابق ، ج ١٤ ، كتاب الحدود ، باب الزنا وشرب الخمر ، رقم الحديث (٦٧٧٢) ، ص (٨٢٤٢) .

(٢) ابن أبي الدنيا : " مكارم الأخلاق " ، مرجع سابق ، ص (٢٠) .

(٣) ابن القيم الجوزية : " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢٧٠) .

(٤) هو خلق يبعث على تجنب القبيح ، ويحض على فعل الحسن ويمنع من التقصير في حق ذوي الحق .

(٥) سبق تخريجه ، ص (٢١٣) .

إشارة إلى تعظيم أمر الحياء، وقيل هو أمر بمعنى الخبر، أي من لا يستحيي يصنع ما أراد... " (١).

فإذا لزم المسلم الحياء قربه من كل فضيلة وأبعده عن كل رذيلة .

٩- سبب لدخول الجنة :

بما أن الحياء من الإيمان فهو إذا سبب في دخول الجنة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ: وَالْبَدَأُ مِنَ الْجَقَاءِ، وَالْجَقَاءُ فِي النَّارِ» (٢)

١٠- خلق يحبه الله تعالى :

كما ورد في طرف من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَيَّ الْحَلِيمَ الْمُتَعَفِّفَ، وَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيءَ، السَّائِلَ الْمُحْفَ، إِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَالْفُحْشُ مِنَ الْبَدَاءِ وَالْبَدَاءُ فِي النَّارِ» . (٣)

١١- أنه خير كله :

لحديث عن قتادة عن أبي السَّوَّارِ العَدَوِيِّ قَالَ: «سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ. قَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: إِنَّ مِنَ الْحَيَاءِ وَقَارًا وَإِنَّ مِنَ الْحَيَاءِ سَكِينَةً. فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ: أَحَدَّثَكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَحَدَّثَنِي عَنْ صَاحِبَيْكَ» . (٤)

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب إذا لم تستح فأفعل ما شئت ، ص (٧٣١١).

(٢) سبق تخريجه ، ص (٢٠٨).

(٣) سبق تخريجه ، ص (٢١١).

(٤) سبق تخريجه ، ص (٢٠٢).

وحديث ، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في قط إلا زانه». (١)

قال ابن القيم: "خلق الحياء من أفضل الأخلاق واجلها قدرا ... بل هو خاصية الإنسانية... لولا هذا الخلق لم يقرأ الضيف ، ولم يوف بالوعد ، ولم تؤد الأمانة ، ولم تنقض حاجة ، ... فكثير من الناس لولا الحياء لم يؤد شيء من الأمور المفترضة عليه ...، فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني وهو رجاء عاقبتها الحميدة ، إما دنيوي علوي وهو حياء فاعلها من الخلق ، فقد تبين انه لولا الحياء إما من الخالق أو الخلاق لم يفعلها صاحبها ...". (٢)

١٢- يترتب عليه أحكام شرعية :

ولعظم مكانة الحياء وتأثيره على هذا الدين بنيت عليه أحكام شرعية ، ومنها إن رأي البكر في النكاح لا يؤخذ منها بالتصريح وإنما بسكوتها ، والعلة في ذلك ما جبلت عليه الفتاة من الحياء فيمنعها عن إبداء رأيها صراحة . (٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُنكحُ الأيمُ حتى تُستأمرَ، ولا تُنكحُ البكرُ حتى تُستأذنَ، قالوا: يارسولَ الله وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت». (٤) وفي حديث آخر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يارسول الله إن البكر تستحي، قال: رضاها صمتها». (٥)

(١) سبق تخريجه ، ص (٢٠٨).

(٢) ابن القيم ، أبي عبد الله شمس الدين محمد أبي بكر : مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، ج ١ ، ص (٢٧٧).

(٣) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب النكاح ، باب لا يُنكحُ الأبُ وغيره البكر والثيب إلا برضاها ، ص (٦٠٧١).

(٤) المرجع السابق ، رقم الحديث (٥١٣٦) ، ص (٦٠٧٠).

(٥) المرجع السابق ، رقم الحديث (٥١٣٧) ، ص (٦٠٧٠).

علامات الحياء : (١)

وللحياء علامات تظهر على صاحبها يتميز بها وهي :

١- ستر العورة وقلة التكشف :

وهذا ما كان من موسى عليه السلام .

٢- عدم المواجهة والمصارحة بما يكره :

واتضح هذا في سلوك النبي صلى الله عليه وسلم المرابي الأول حيث لم يكن يواجه الناس بالعتاب ، أو يصرح في مواجهته ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : «صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعهُ، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية». (٢)

٣- الإعراض بالوجه :

ومن ذلك موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع المرأة التي سألته عن علامة انقطاع الدم.

عن عائشة رضي الله عنها، أن امرأة من الأنصار قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: كيف أغتسل من الحيض؟ قال: «خذي فرصة ممسكة فتوضئي ثلاثاً» ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استحيا فأعرض بوجهه أو قال: توضئي بها. فأخذتها فجدبئها فأخبرتها بما يريد النبي صلى الله عليه وسلم. (٣)

(١) الشهري ، فهد عبد الله فائز : خلق الحياء في الكتاب والسنة وتطبيقاته التربوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ ، ص (٩٠-٩٥).

(٢) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ، رقم الحديث (٦١٠١) ، ص (٧٢٩٨) .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، كتاب الحيض ، باب غسل المحيض ، رقم الحديث (٣١٥) ، ص (٥٤٠) .

٤- تحسين الثياب والهيئة وطلاقة الوجه :

ويتضح ذلك من موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع عثمان حين حسن هيئته حياء منه ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ عُثْمَانَ ، حَدَّثَاهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ ، لَأَيْسُ مِرْطَ عَائِشَةَ . فَأَذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ كَذَلِكَ . فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ . ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ . فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ . ثُمَّ انْصَرَفَ . قَالَ عُثْمَانُ : ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَجَلَسَ . وَقَالَ لِعَائِشَةَ : «اجْمَعِي عَلَيْكَ ثِيَابَكَ» فَقَضَيْتُ إِلَيْهِ حَاجَتِي ثُمَّ انْصَرَفْتُ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِي لَمْ أَرَكَ فَرَعْتَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، كَمَا فَرَعْتَ لِعُثْمَانَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيٌّ . وَإِنِّي خَشِيتُ ، إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ» . (١)

٥- ترك صاحب الحق حقه :

وقول صلى الله عليه وسلم لمن كان يعظ أخاه في الحياء : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : مرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على رجل وهو يعاتبُ أخاه في الحياء يقول : إنك لتستحيي - حتى كأنه يقول : قد أضرب بك - فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ» . (٢)

٦- السكوت وعدم الإفصاح عما في النفس :

ومنه حياء البكر ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : «لَا تُنْكِحُ الْأَيْمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ ، وَلَا تُنْكِحُ الْبَكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ

(١) سبق تخريجه ، ص (٢١٦) .

(٢) سبق تخريجه ، ص (٢١٧) .

الله وكيف إذئها؟ قال: أن تَسْكُتَ». (١) وفي حديث آخر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يارسول الله إن اليكر تَسْتَحِي، قال: رضاها صَمَتها». (٢)

٧- الجلوس حيث ينتهي المجلس :

عن أبي واقد الليثي «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل إثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد. قال: فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فاندبر ذاهباً. فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه». (٣)

فالثاني لحيائه جلس خلف الحاضرين ، فرحمه الله تعالى لحسن خلقه .

٨- ترك الحديث لمن هو أكبر سناً :

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «قال النبي صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء لا يسقط ورقها ولا يتحات. فقال القوم: هي شجرة كذا، هي شجرة كذا، فأردت أن أقول هي النخلة - وأنا غلام شاب - فاستحييت، فقال: هي النخلة».

وعن ابن عمر.. مثله، وزاد «فحدثت به عمر فقال: لو كنت قلتها لكان أحب إلي من كذا وكذا». (٤)

(١) سبق تخريجه ، ص (٢١٩).

(٢) سبق تخريجه ، ص (٢١٩).

(٣) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، باب من قعد حيث ينتهي به ، رقم الحديث (٦٦) ، ص (٢٠٦) .

(٤) المرجع السابق ، رقم الحديث (٦١٢٢) ، ص (٧٣١١) .

٩- الإستنابة في الاستفتاء من يعرف :

وفي ذلك يتضح الحياء إذا كان السؤال مما يستحي منه ، فعن محمد بن الحنفية قال: قال علي: كنت رجلاً مدأءً فاستحيت أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: «فيه الوضوء». (١)

١٠- تغطية الرأس أو الوجه :

وهذا يتجلى في موقف ام سليم ، فعن أم سلمة قالت: «جاءت أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا رأت الماء. فغطت أم سلمة - تعني وجهها - وقالت: يا رسول الله، وتحتلم المرأة؟ قال: نعم، تربت يمينك، فبم يشبهها ولأها؟». (٢)

١١- التعفف عن سؤال الناس عند الحاجة :

فقد أمتدح الله تعالى عباده المتصفين بالحياء و منهم من لا يسأل الناس الحافا ، قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . (٣)

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الوضوء ، باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال ، رقم الحديث (١٣٢) ، ص (٣٠٣) .
(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، باب الحياء في العلم ، رقم الحديث (١٣٠) ، ص (٣٠١) .
(٣) سورة البقرة : الآية (٢٧٣ - ٢٧٤) .

قال ابن كثير: "وقوله: ﴿يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحَافًا﴾ أي لا يلحون في المسألة ولا يكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه، فإن سأل وله ما يغنيه عن المسألة، فقد ألحق في المسألة،..." (١) ، وإنما ذلك حياء منهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لَيْسَ الْمَسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ الْأَكْلَةُ وَالْأَكْلَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمَسْكِينُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ غِنَى وَيَسْتَحْيِي أَوْ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ إِحَافًا». (٢)

١٢- ترك القبيح أمام من يعرف :

فمن علامات الحياء امتناع الإنسان عن أمر قبيح حياء ممن يعرفه ومن ذلك حياء على رضي الله عنه وامتناعه عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه لأنه متزوج من أبنته ، فقد وكل المقداد في السؤال . (٣)

١٣- قلة الكلام :

فمن مظاهر الحياء التزام المرء فضيلة الصمت ، ففيه دلالة على حياؤه ، لحديث : عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبِدَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النَّفَاقِ». (٤)

والحيي إنما يتأني في كلامه خشية الوقوع في الخطأ ، لذا فهو مقل للكلام فهذا معنى العي ، وإما الفاحش البذيء فهو متسرع في الكلام مظهر لتفاسح ومتعمق في النطق وهذا معنى البيان ، وذلك يوقعه في الفحش والبذاءة ، فالحياء والعِي شعبتان من الإيمان أي أثران من آثاره فإن المؤمن يحمله الإيمان على الحياء فيترك القبائح

(١) ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم" ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٢٨٥) .

(٢) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الزكاة ، باب قوله تعالى لا يسألون الناس إحافا ... ، رقم الحديث (١٤٧٦) ، ص (١٩٦٣) .

(٣) سبق تخريجه ، ص (٢٢٢) .

(٤) المباركفوري: "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي" ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في العي ، ص (١٣٨) ، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب .

حياء من الله تعالى ويمنعه عن الاجترار على الكلام شفقة عن عثرة اللسان، فالإيمان
الحياء والعي مصدر كل معروف وإحسان . (١)

١٤- إخفاء ما يعاب عليه :

فقد يخفي الإنسان أمور يخشى أن تعاب عليه وهذا من مظاهر الحياء ، ومنه
إخفاء النبي صلى الله عليه وسلم رغبة في الزواج من زينب بنت جحش قال تعالى :
﴿وَأَدِّ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي
فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا
مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ . (٢)

فإن الله تعالى زوجه زينب بنت جحش حتى يبطل ما كان معروف من التبني ، فقد
كان زوجها زيد ابن النبي صلى الله عليه وسلم من التبني فكانوا يدعونه زيد بن محمد
، وقد كتب الله تعالى له فراقها واعلم نبيه بذلك ، فلما كان يأتيه زيد يشكوها كان
يحضه صلى الله عليه وسلم على إمساكها ولا يبدي ما اعلمه الله به حياء منه صلى
الله عليه وسلم ، حتى أظهره الله تعالى . (٣)

أسباب اكتساب مبدأ الحياء :

١- تقوى الله تعالى ، وذلك لعلم العبد أن الله مطلع عليه في السر والعلن ، فإن مخافة
الله تعالى تحمل العبد على مراقبته لله تعالى فلا يأتي شيء يوجب عقابه .

٢- التحلي بمكارم الأخلاق ، وتجنب السلوك السيئ .

(١) المرجع السابق ، ص (١٣٨-١٣٩) .

(٢) سورة الأحزاب : الآية (٣٧) .

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٤٥٨) .

٣- المداومة على الطاعات ، وتجنب المعاصي فهي تذهب الحياء ، قال ابن القيم :
"من عقوبات المعاصي أنها تذهب الحياء الذي هو مادة القلب ، وهو أصل كل خير
وذهابه ذهاب الخير أجمعه " . (١)

٤- استحضار آثار الحياء في الدنيا والآخرة .

٥- التزام فضيلة الصمت ، فهي توطن النفس على خلق الحياء .

آثار مبدأ الحياء :

١- من كمال الإيمان ، فالحياء يوصل المسلم إلى التقوى التي توصله إلى أعلى
مراتب الدين .

٢- الفوز في الدار الآخرة بالجنة والنجاة من النار .

٣- الفوز بمحبة الله تعالى ، ومحبة خلقه في الأرض ، فيحسن خلق المرء مع
الآخرين يكتسب محبتهم .

٤- دلالة على حسن الخلق فالحياء رأس الأخلاق ومنبع كل خير .

٥- سبب لتماسك المجتمع وخلوه من الأمراض الخلقية الفاسدة ، فتشيع المحبة والألفة
والتسامح والإخاء .

٦- سبب لنجاح المربي في تربيته ، فالنبي صلى الله عليه وسلم تمثل مبدأ الحياء في
مواقفه التربوية المختلفة ، فاستطاع النفوذ إلى قلوب صحابته وغرس مبادئ التربية
الإسلامية ، حيث تجلى ذلك في تسامحه وعفوه وكرمه وتعففه ... الخ .

٧- من أسباب اكتساب العلم النافع .

(١) ابن القيم : الداع والدواء ، تحقيق : عبد الغفار سليمان ، ط ١ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ،
١٤١١هـ ، ص (١١١) .

المبحث السابع

مبدأ الرحمة

مبدأ الرحمة مبدأ ثابت في التربية الإسلامية ، أثبتته نصوص الكتاب والسنة ، وأكدت على أهميته التربوية ، قال تعالى : «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» (١) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. قَالَ «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا. وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً» (٢) .

فإن الله تعالى امتدح المربي الأول محمد صلى الله عليه وسلم لاتصافه بهذا المبدأ التربوي العظيم ، فلولا له لما استطاع تربية هذه الأمة التي يعد الصحابة الكرام رضي الله عنهم نموذجا مثالي في تطبيق مبادئها ، فالرحمة من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها المربي لينفذ إلى نفس المتربي ويجد قبوله.

مفهوم مبدأ الرحمة :

لغة : أصل الكلمة رحم : الرَّحْمَةُ : الرَّقَّةُ وَالرَّحْمَةُ ، والمغفرة ، والمرحمة مثله... وثرأحم القوم: رَحِمَ بعضهم بعضاً، واسترحمه : سأله الرَّحْمَةَ ،... الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ اسمان مشتقان من الرَّحْمَةِ ، والرَّحْمَةُ في بني آدم عند العرب: رِقَّةُ القلب وعطفه ، ورَحْمَةُ الله: عطفه وإحسانه ورزقه.

(١) ورة آل عمران : الآية (١٥٩) .

(٢) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ، ص (١٥٠) .

وجاءت الرحمة في القرآن على عدة معان منها :

قال تعالى في وصف القرآن: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١)؛ أي فصلناه هادياً وذا رَحْمَةٍ ؛ وقوله تعالى: وَرَحْمَةً ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾؛ أي هو رَحْمَةٌ لِّأَنَّهُ كَانَ سَبَبَ إِيمَانِهِمْ، وقال الله عز وجل: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾؛ أي أوصى بعضهم بعضاً بِرَحْمَةِ الضَّعِيفِ وَالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِ ، قول تعالى: ﴿ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾: أي رزق، ﴿وَلَنْ أَدْنَاهُ رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾: أي رزقاً، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾: أي عَطْفًا وَصِنْعًا، ﴿وَإِذَا أَدْنَاهُ النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ﴾: أي حَيًّا وَخِصْبًا بَعْدَ مَجَاعَةٍ، وَأَرَادَ بِالنَّاسِ الْكَافِرِينَ. ^(٢)

اصطلاحاً : الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم ، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو : رحم الله فلانا ، وإذا وصف بها البارئ تعالى فيراد بها الإحسان المجرد دون الرقة فالرحمة من الله تعالى إنعام وأفضال ومن الأدميين رقة وتعطف . . ^(٣)

مكانة مبدأ الرحمة في التربية الإسلامية :

١- من أسماء الله وصفاته الحسنی "الرحمن الرحيم" :

الرحمة اسم وصفة من صفات الله تعالى اتصف بها كما يليق بجلاله وعظمته وقدرته تعالى ، قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيَّ أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . ^(٤)

فقد تكررت في أكثر من موضع في نصوص الكتاب وفيما يلي بعض من ذلك:

(١) سورة الأعراف : الآية (٥٢).

(٢) ابن منظور : " لسان العرب " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص (١٢١-١٢٢).

(٣) الراغب الأصفهاني : " المفردات في غريب القرآن " ، مرجع سابق ، ص (١٩١).

(٤) سورة الأعراف : الآية (١٨٠).

قال تعالى : ﴿وَالَهُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾. (١)

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا

إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. (٢)

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى

عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ

بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. (٣)

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَثُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. (٤)

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. (٥)

﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ لِعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾. (٦)

فالله الرحمن الرحيم : وهي مشتق من الرحمة ، ورحمة الله تعالى : عطفه

وإحسانه وورزقه. (٧)

والله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ : بنيت الصفة الأولى على فعْلان لأن معناه الكثرة، وذلك

لأن رحمته وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين . (٨)

والأحاديث على سعة رحمة الله كثيرة منها ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

«قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في صلاةٍ وقمنا معه، فقال أعرابيٌّ وهو في

الصلاة: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً. فلما سلم النبي صلى الله عليه

(١) سورة البقرة : الآية (١٦٣).

(٢) سورة البقرة : الآية (١٢٨).

(٣) سورة البقرة : الآية (١٤٣).

(٤) سورة البقرة : الآية (١٦٠).

(٥) سورة المائدة : الآية (٩٨).

(٦) سورة الحجر : الآية (٤٩).

(٧) ابن منظور : " لسان العرب " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص (١٢١-١٢٢).

(٨) المرجع السابق .

وسلم قال للأعرابي: لقد حَجَرْتَ واسعاً. يُريدُ رحمة الله». (١)

والله تعالى ارحم من الوالدين بولدهما وهذه الرحمة تمثل غاية الرحمة عند البشر ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل ومعه صبي فجعل يضمه إليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أترحمه ، قال : نعم ، قال : " فإله ارحم بك منك به ، وهو ارحم الراحمين " : (٢)

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته. فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: أثرون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها». (٣)

والرحمن أسم خاص بصفة عامة ، لأنه لا يطلق على غير الله تعالى وعامة لأن رحمته الدنيوية واسعة شاملة للمؤمن والكافر. (٤)

قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ نُورٌ وَرَحْمَةٌ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾. (٥)

قال الطبري في تفسير الآية : "يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فإن كذبوك يا محمد هؤلاء اليهود فيما أخبرناك أنا حرّمنا عليهم وحلّلنا لهم كما بينا في هذه الآية، فقل: ربكم نور رحمة بنا وبمن كان به مؤمناً من عباده وبغيرهم من

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث (٦٠١٠)، ص (٧٢٠٦).

(٢) البخاري: "الأدب المفرد"، مرجع سابق، باب رحمة العيال، رقم الحديث (٣٨٢)، ص (١١٥)، والحديث صحيح الإسناد

(٣) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله ومعانقته، رقم الحديث (٥٩٩٩)، ص (٧١٩٢).

(٤) بن صنيتان، مرزوق بن صنيتان بن تنباك: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية، دار رواج، المملكة العربية السعودية، الرياض،

١٤٢١هـ، ج ٢٦، ص (٩)

(٥) سورة الأنعام: الآية (١٤٧).

خالقه، واسعة، تسع جميع خلقه المحسن والمسيء، لا يعاجل من كفر به بالعقوبة ولا من عصاه بالنقمة، ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه ولا يحرمه ثواب عمله، رحمة منه بكلا الفريقين ولكن بأسه، وذلك سطوته وعذابه، لا يردّه إذا أحله عند غضبه على المجرمين عنهم شيء. والمحرمون هم الذين أجزموا فاكتسبوا الذنوب واجتروا السيئات." (١)

والرحيم أسم عام لصفة خاصة ، فهي عامة تطلق لغير الله تعالى فيقال رجل رحيم، ولا يقال رحمن وخاصة لأنها تختص في الآخرة بالمؤمنين . (٢)

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّكِرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا...﴾. (٣)

وفي الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ فِي مِائَةِ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاخَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنِ وِلْدَانِهَا خَشِيَةً أَنْ تُصِيبَهُ». (٤)

وقال القرطبي: " مقتضى هذا الحديث أن الله علم إن أنواع النعم التي ينعم بها على خلقه مائة نوع، فأنعم عليهم في هذه الدنيا بنوع واحد انتظمت به مصالحهم وحصلت به مرافقهم، فإذا كان يوم القيامة كمل لعباده المؤمنين ما بقي فبلغت مائة وكلها للمؤمنين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا...﴾ (٥).

(١) الطبري: "جامع البيان على تأويل القرآن"، مرجع سابق، ج ٥، ص (٧٧).

(٢) بن صنيان: "موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية"، مرجع سابق، ج ٢٦، ص (٩)

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٤١ - ٤٣).

(٤) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء، رقم الحديث (٦٠٠٦)، ص (٧١٩٨).

(٥) الأحزاب: الآية (٤٣)

فإن رحيمًا من أبنية المبالغة التي لا شيء فوقها، ويفهم من هذا أن الكفار لا يبقى لهم حظ من الرحمة لا من جنس رحمات الدنيا ولا من غيرها إذا كمل كل ما كان في علم الله من الرحمات للمؤمنين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَنْتَفُونَ﴾ (١) الآية،... (٢)

ورحمة الله تعالى سبقت عذابه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي» (٣)

مظاهر رحمة الله تعالى :

فإن الله تعالى أرحم الراحمين ومظاهر رحمة هي التي ذكرت في الحديث سواء الدنيوية ، وهي الجزء الواحد الذي أودعه الله تعالى في الأرض ، أو الجزء الباقي وهو التسعة والتسعين التي تكمل للمؤمنين في الآخرة ، ويمكن بيانه كالتالي :

١- رحمة الله بالخلق عامة :

وهذه الرحمة هي الجزء الدنيوي الذي أودعه الله تعالى بين الخلق يتراحمون بها بعضهم البعض ، والمتمثلة بقوله في الحديث " ... فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرًا عن ولدها خشية أن تُصيبيه... " (٤)

٢- إرسال الرسل والكتب :

فمن رحمة الله تعالى بخلقه أن أخرجهم من الظلمات إلى النور بإرسال الرسل مبشرين بالجنة لمن أطاعه ، ومنذرين من النار لمن عصاه ، فمن رحمته أن لا يعذبهم

(١) سورة الأعراف : الآية (١٥٦).

(٢) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء ، ص (٧٢٠٠).

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ، ج ١٥ ، كتاب التوحيد ، باب لو كان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم {النمل: ٢٦} ، رقم الحديث (٧٤٢٢) ، ص (٩٢٢٣) .

(٤) سبق تخريجه ، ص (٢٣١) .

إلا بعد أن يقيم عليهم الحجة وهي الرسل ، فالرسل والكتب من مظاهر رحمة الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١) ، ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢) ، قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ . (٣)

ويقول تعالى مخاطب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ . (٤)

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً. فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمَقْفِيُّ، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ». (٥)

٣- التشريع :

ففي التشريع رحمة بالعباد ، ففيه تنتظم أحوالهم وتصلح ، فإن الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها ، وفي الأمر بأداء الحقوق سواء كانت لله أو للخلق ، فلم يكلف الله تعالى نفسا إلا وسعها ، وكذا تتضح رحمته تعالى في تدبر ما فرض الله تعالى فيما يختص بالمعاملات والحقوق الزوجية وحقوق الوالدين والأقربين

(١) سورة الأنعام : الآية (١٥٤-١٥٥) .

(٢) سورة الأعراف : الآية (٥٢) .

(٣) البقرة : الآية (١٤٣) .

(٤) سورة الأنبياء : الآية (١٠٧) .

(٥) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب الفضائل ، باب في أسمائه ، ص (١٠٥) .

والجيران ...، كذا وسعت هذه الشريعة برحمتها وعدلها العدو والصديق . (١)

والمأمل كذلك فيما شرعه الله تعالى لعباده من حدود يجد فيها رحمة لعباده ففيها حفظ لنفس والعرض والمال ، قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . (٢)

قال ابن كثير في تفسير الآية : " وفي شرع القصاص لكم، وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهي بقاء المهج وصونها ، لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل أنكف عن صنيعه، فكان في ذلك حياة للنفوس... " (٣)

٤- قبول التوبة من عباده المؤمنين :

فقبول توبة العبد في الحياة الدنيا من مظاهر رحمة الله تعالى ، فهو تعالى يتجاوز عن عباده المؤمنين ويغفر لهم ، فباب التوبة مفتوح للعباد ما لم تخرج أرواحهم أو تشرق الشمس من مغربها ، قال تعالى : ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ . (٤)

٥- إنزال البلاء:

فإنزال البلاء إنما هو من رحمة الله تعالى بالناس ، قال تعالى : ﴿ وَلَنبَلِّغَنَّكُمْ يُشِيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ . (٥)

(١) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة ، مكتبة المعارف ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ ، ص (٥٢ - ٥٥) .

(٢) سورة البقرة : الآية (١٧٩) .

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (١٨٤) .

(٤) سورة الأحزاب : الآية (٧٣) .

(٥) سورة البقرة : الآية (١٥٥ - ١٥٧) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن رحمته أن نغص عليهم الدنيا وكدرها ،
لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها ويرغبوا عن النعيم المقيم في داره وجواره ،
فساقهم إليها بسياط الابتلاء والامتحان فمنعهم ليعطيهم ، وابتلاهم ليعافهم ، وأماتهم
ليحييهم . (١)

٦- نعمة تعالى في الأرض :

ومن مظاهر رحمة الله تعالى في الدنيا ما فيها من نعم كثيرة ، لا تحصى
سخرها الله تعالى للناس عامة ، للكافر والمؤمن ، قال تعالى : ﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَلِيُّ الْحَمِيدُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ
وَأَلْفَلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ
بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَكَفُورٌ﴾. (٢)

من أعظم النعم في الدنيا خلق السماء بلا عمد ، و تثبيتها ، كذا تثبيت الأرض
أن تميد ، وما وهبه الإنسان من مال وبنون وصحة وغذاء وكساء و غيرها من النعم.

٧- رحمة الله بالمؤمنين خاصة :

وهذه الرحمة خاصة بالمؤمنين يكملها الله تعالى لهم في الآخرة بالتسعة
والتسعين الباقية ، كما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا *
وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ...﴾. (٣)

(١) ابن القيم الجوزية ، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ،
تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، ج ٢ ، ص (١٧٥).

(٢) سورة الحج : الآية (٦٣ - ٦٦).

(٣) سورة الأحزاب : الآية (٤١ - ٤٣).

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ . (١)

فهذه الفرحة لهم رحمة من الله تعالى فهم يتقبلون بنور يمشون به في الناس بعد أن أخرجهم الله تعالى من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ، فهي حاصلة للمهتدين وكلما كان الإنسان أوفر حظا من الهداية كان أكثر رحمة لما يحصل له من محبة الخير والبر ونوق حلاوة الإيمان و الفرح والسرور والاطمئنان والعافية . (٢)

وهذا في الدنيا ثم يكملها لهم في الآخرة بدخول الجنة .

٢- من صفات الأنبياء :

قال تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ . (٣)

" فبرحمة الله يا محمد ورافته بك، وبمن آمن بك من أصحابك، لنت لهم لأتباعك فسهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به، وأغلظت عليه، لتركك ففارقك، ولم يتبعك، ولا ما بعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة من الله لنت لهم." (٤)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ . قَالَ «إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لَعْنًا . وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً» . (٥)

(١) سورة يونس : الآية (٥٧ - ٥٨) .

(٢) ابن القيم الجوزية : " إغائة اللهفان من مصائد الشيطان " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٧٢) .

(٣) سورة آل عمران : الآية (١٥٩) .

(٤) الطبري : " جامع البيان على تأويل القرآن " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (١٥١) .

(٥) سبق تخريجه ، ص (٢٢٧) .

إن خلق الرحمة خلق عظيم أمّتن الله به على نبيه صلى الله عليه وسلم ، فاتصف به ، ولولاه لما استطاع تربية هذه الأمة التي يعد الصحابة الكرام رضي الله عنهم نموذجاً لها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. (١)

وقال تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. (٢)

فالرسول صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى أنه رسالته من مظاهر رحمة الله تعالى فهو متصف بهذه الرحمة يدعو أمته برفق ورحمة .

فقد استخدم صلى الله عليه وسلم في دعوته أسلوباً رحيماً لتربية أتباعه وتأليف الناس للإسلام .

فكان رحيماً بأمته مشفقاً عليها لحديث ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَل مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ. فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعِيثِي. وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعَرِيَانُ. فَالْتَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَأَدْلَجُوا فَأَنْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ. فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَأَجْتَاكَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَأَتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ. وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ» . (٣)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفِ الْقَيْنِ - وَكَانَ ظَنَرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّمَهُ. ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ - وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ

(١) سورة الأنبياء : الآية (١٠٦-١٠٧) .

(٢) سورة التوبة : الآية (١٢٨) .

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب الفضائل ، باب شفقته على أمته ، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم ، ص (٤٨ - ٤٩) .

بنفسه - فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرقان. فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال يا ابن عوف إنها رحمة. ثم أتبعها بأخرى فقال صلى الله عليه وسلم: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» (١).

فموقفه صلى الله عليه وسلم من موت ابنه في الحديث يدل على أن الرحمة متأصلة في نفسه .

٣- من صفات المؤمنين :

فالمؤمن لا يكون مؤمنا إن لم يتحلى بالرحمة فمبدأ الرحمة إنما تحمل معاني الشفقة ورقة العاطفة والقلب مما يعبد من أنصف بها عن إيذاء الآخرين فيحمله ذلك على حسن الخلق وحسن الخلق إنما هو من علامات الإيمان الحديث " عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» (٢).

فالرحمة تبعد المسلم عن إيذاء الآخرين وبذلك يحقق مبدأ الرحمة ويتحقق فيه الإسلام .

ولذا أمدح الله عباده المؤمنين لاتصافهم بالرحمة ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا * مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَاةً فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلِظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ يُعْجِبُ

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ٣، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «إنا بك لمحزونون»، رقم الحديث (١٣٠٣)، ص (١٧٥١).

(٢) المرجع السابق، ج ١، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم الحديث (١٠)، ص (٧٤).

الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) . (١)

" قوله: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ يقول تعالى ذكره: محمد رسول الله وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه، أشداء على الكفار، غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ يقول: رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم لهم. " (٢)

فالرحمة من علامات الإيمان .

٤- عظم أجر من أتصف بخلق بالرحمة :

أن الرحمة سبب لرحمة الله تعالى ، فمن تخلق بهذا الخلق الكريم رحمة الله تعالى ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ الْوَالِدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَنظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ. (٣)

التحلي بالرحمة سبب لدخول رحمة الله تعالى يوم القيامة لحديث : عن أبي امامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من رحم ولو ذبيحة ، رحمه الله يوم القيامة " . (٤)

وسبب لدخول الجنة لحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجلٌ يمشي بطريق اشتدَّ عليه العطشُ، فوجدَ بئراً فنزلَ فيها فشرب، ثمَّ خرجَ فإذا كلبٌ يلهثُ يأكلُ الثرى من العطشِ، فقال الرجل: لقد

(١) سورة الفتح : الآية (٢٩) .

(٢) الطبري : " جامع البيان على تأويل القرآن " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، (١٠٩) .

(٣) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب البئر والصلة ، باب ما جاء في رحمة الولد ، (١٨ - ١٩) ، قال أبو عيسى : وهذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

(٤) البخاري : " الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، باب رحمة البهائم ، رقم الحديث (٣٨٦) ، ص (١١٦) ، قال المحقق : حديث حسن .

بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملاً خُفَّهُ ثم أمسكهُ
بفيه فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له: قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم
أجراً؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر». (١)

٥- عظم أثم من أبتعد عن خلق الرحمة :

وحيثما تنزع الرحمة من قوم وتحل محلها الغلظة والقسوة في غير موضعها
الصحيح فإن الله لا يرحمهم ، عن عمر رضي الله عنه قال : " لا يرحم من لا يرحم
، ولا يغفر لمن لا يغفر ، ولا يتاب على من لا يتوب ، ولا يوق من لا يتوق " . (٢)
عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يرحمُ الله من
لا يرحم الناس » . (٣)

فمن ترك الرحمة تُوعَد بالشقاء لحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال:
سمعت رسول الله الصادق المصدقَ أبا القاسم صاحبَ الحجرة صلى الله عليه وسلم
يقول: « لا تُنزعُ الرحمة إلا من شقي » . (٤)

وكذا تُوعَد بالنار لحديث ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً،
فدخلت فيها النار، قال: فقال - والله أعلم - : لا أنتِ أطعمتها ولا سقيتها حين
حبستها، ولا أنتِ أرسلتها فأكلت من خَشاش الأرض » . (٥)

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب، باب
رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث (٦٠٠٩)، ص (٧٢٠٦).

(٢) البخاري: "الأدب المفرد"، مرجع سابق، باب أرحم من في الأرض، رقم الحديث (٣٧٧)،
ص (١١٤)، والحديث حسن.

(٣) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٥، كتاب التوحيد،
باب قول الله تبارك وتعالى: {قل ادعوا الله...}، رقم الحديث (٧٣٧٦)، ص (٩١٦٧).

(٤) أحمد بن حنبل: "مسند أحمد"، مرجع سابق، ج ٢، ص (٣٠١).

أبادي: "عون المعبود شرح سنن أبي داود"، مرجع سابق، ج ١٣، كتاب
الأدب، باب في الرحمة، ص (٢٣٤)، قال المنذري: وأخرجه الترمذي وقال حسن.

(٥) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ٥، كتاب المساقاة،
باب فضل سقي الماء، رقم الحديث (٢٣٦٥)، ص (٢٩٩٢).

صور الرحمة في التربية الإسلامية :

مبادئ الإسلام كما سبق كلها رحمة من الله تعالى لعباده في هذه الدنيا، لذا تجلت صور الرحمة في التربية الإسلامية من خلال مبادئها، ومن أبرزها ما يلي :

١- الرحمة بالوالدين :

قال تعالى : ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا﴾. (١)

" قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتذلل لهما تذلل الرعية للأمير والعبيد للسادة؛ كما أشار إليه سعيد بن المسيّب. وضربَ خَفَضَ الجناح ونصبه مثلا لجناح الطائر حين ينتصب بجناحه لولده. والذل: هو اللين... فينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلة، في أقواله وسكناته ونظره، ولا يُحِدَّ إليهما بصره فإن تلك هي نظرة الغاضب." (٢)

قال الطبري في تفسير الآية : " يقول تعالى : وكن لهما ذليلا رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية، ولا تخلفهما فيما أحبّا." (٣)

ورحمة الوالدين تتضمن الوفاء بجميع حقوقهما بلين وشفقة وعطف ومحبة وسعة صدر وحنان ، وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل في مبدأ بر الوالدين .

٢- الرحمة بالأولاد :

" رحمة الأب بولده : أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل من ولده كان لقلّة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه [ويرقهه] ويريحه. فهذه رحمة مقرونة بجهل، كرحمة الأم." (٤)

(١) سورة الإسراء : الآية (٢٤).

(٢) القرطبي : " الجامع لأحكام القرآن " ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص (٢٤٣) .

(٣) الطبري : " جامع البيان على تأويل القرآن " ، ج ٩ ، ص (٦٦) .

(٤) ابن القيم الجوزية : " إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٧٤) .

ويتمثل ذلك في التوجيه التربوي للقمان لولده من خلال توجيهه مجموعة من الوصايا قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١)

يقول ابن كثير في تفسير الآية :

" يقول تعالى مخبراً عن وصية لقمان لولده، ... وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، ثم قال محذراً له ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ أي هو أعظم الظلم." (٢)

وتتمثل كذلك في رعايتهم والقيام بحقوقهم قال تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِيَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣)

ورحمة الأولاد تتضمن توجيههم برفق وشفقة ومحبة ولين وعطف وحنان ، فإن ذلك ادعى لقبولهم وطاعتهم لوالديهم وبرهم بهم ، بل واكتسابهم لهذه الصفة التي تكون معينة لهم على بر آبائهم خاصة في كبرهم والنبي صلى الله عليه وسلم كان هو قدوتنا في ذلك كما اتضح من حديث الأقرع بن حابس . (٤)

فالأقرع حينما يعامل أولاده بغلظة وقسوة يورثهم هذا السلوك فيصبح جزء من تعاملهم به في المستقبل ، لذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله : " من لا يرحم لا يرحم " .

(١) سورة لقمان : الآية (١٣)

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٤١٥) .

(٣) سورة البقرة : الآية (٢٣٣)

(٤) سبق تخريجه ، ص (١٤٥) .

ومواقف النبي صلى الله عليه وسلم التربوية تربي صحابته وتغرس فيهم رحمة
 أبنائهم ومن ذلك موقفه مع الصحابي عندما تعجب من بكاءه صلى الله عليه وسلم على
 ابنه إبراهيم فقد بين له أنها رحمة في القلب على ابنه حيث يقول الصحابي : " لَقَدْ
 رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَدِمَعَتْ عَيْنَا
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ . وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا
 يَرْضَى رَبَّنَا . وَاللَّهُ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ» .^(١)

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن عليّ على فخذه الآخر ثم يضمهما ثم
 يقول: اللهم ارحمهما فإني أرحمهما» .^(٢)

٣- الرحمة بالأقارب :

ورحمة الأقارب تتضمن الإحسان إليهم ومعاملتهم برفق ولين وشفقة وعدم
 إيذائهم وأداء حقوقهم ومعاونتهم إذا احتاجوا ، قال تعالى : «وَادِّ أَخَدْنَا مِيثَاقَ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ
 وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ
 مُّعْرِضُونَ»^(٣) - وقد سبق تفصيل ذلك -

٤- الرحمة بالجار :

تتضمن أداء حقوقه ومعاملته بلطف ولين والنصيحة له وعدم إيذائه، قال تعالى
 : «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
 وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا
 مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا»^(٤) - وقد سبق التفصيل -

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب الفضائل ، باب رحمة
 الصبيان والعيال ، وتواضعه ، وفضل ذلك ، ص (٧٤ - ٧٥) .

(٢) سبق تخريجها ، ص (١٤٥)

(٣) سورة البقرة : الآية (٨٣) .

(٤) سورة النساء : الآية (٣٦) .

المرأة إنسان ضعيف بطبعها وخلقتها التي خلقها الله تعالى تفنقر إلى الغير فالله تعالى خلقها من ضلع اعوج ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِذَا شَهِدَ امْرَأً فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لَيْسَكُنْتَ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا».(١) فالمرأة إنسانة رقيقة حساسة من حيث التكوين الجسدي والنفسي ، لذلك تحتاج إلى أسلوب رحيم في التعامل معها سواء كانت بنتاً أو أماً أو أختاً أو زوجة والنصوص الإسلامية أكدت على ذلك مع بيان حقوقها وواجباتها ، فوضعتها في قالب رحيم ، و يتضح ذلك من خلال ما أعده الله تعالى للمحسن للمرأة من أجر عظيم .

فرحمها الإسلام وهي بنت ، عن عبد الله بن أبي بكر أن عروة بن الزبير أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته قالت: «جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرٍ واحدة، فأعطينها، فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته، فقال: من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كنَّ له ستراً من النار».(٢)

يقول ابن حجر : " ففي الحديث تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالباً عن القيام بمصالح أنفسهن . " (٣)

وكذا رحمها وهي أختا لحديث الصحابي الذي تزوج ثيب كي ترعى أخواته وقره النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له بالبركة ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،؛ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ هَلَكَ وَتَرَكَ نِسْعَ بَنَاتٍ (أَوْ قَالَ سَبْعَ) فَتَزَوَّجَتْ امْرَأَةً ثَيِّبًا. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَا جَابِرُ! تَزَوَّجْتَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ:

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، ص (٥٨).

(٢) سبق تخريجه ، ص (١٤٤) .

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، ص (٧١٩٥).

«فَبِكْرٌ أَمْ تَنِيْبٌ؟» قَالَ قُلْتُ: بَلْ تَنِيْبٌ، يَا رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! قَالَ: «فَهَلَّا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ» (أَوْ قَالَ: تُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ) قَالَ قُلْتُ لَهُ: إِنَّ عَبْدَ اللهِ هَلَكَ وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ (أَوْ سَبْعَ) وَأَيُّ كَرِهْتُ أَنْ أَتِيَهُنَّ أَوْ أَحْيِيَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَجِيءَ بِامْرَأَةٍ تَقُومُ عَلَيْهِنَّ وَتُصَلِّحُهُنَّ. قَالَ: «فَبَارَكَ اللهُ لَكَ» أَوْ قَالَ لِي خَيْرًا. (١)

وكذا أكد على رحمتها وهي أما ، لقوله تعالى : «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ» (٢)

حيث خصتها بنصوص كثيرة بالاهتمام والبر والرحمة دون الأب ، وكذا أكد الإسلام الرحمة بالمرأة وهي زوجة قال تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا * وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا» (٣)

فالإسلام أوصى برحمة المرأة من خلال حفظ كرامتها وأداء حقوقها ، فقد كانت في الجاهلية تعامل بكل غلظة وقسوة ولا تتال ابسط حقوقها كإنسان بل كانت تعامل كسقط المتاع، حيث كانت تورث كالمتاع ، وتحرم من حقوقها في اختيار مصيرها وزوجها بعد وفاة وليها ، فكان الرجل إذا مات وترك جارية، ألقى عليها حميمة ثوبه فمنعها من الناس فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب الرضخ ، باب استحباب نكاح البكر ، ص (٥٣).

(٢) سورة لقمان : الآية (١٤).

(٣) سورة النساء : الآية (١٩ - ٢٢).

فيرثها. (١) ، فأتى الإسلام وكرمها وحفظ حقوقها .

والنبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا الجانب من الرحمة في سلوكه ونبه عليه لتأكيد على مراعاته عن هشام بن دَعْرُوة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي، وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ» . (٢)

عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَغُلَامٌ أَسْوَدٌ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ، يَحْدُو. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ، سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ» . (٣)

وكذا رغب الإسلام وحث على الإحسان إليها عندما تحتاج وجعل الأجر في ذلك يساوي الصيام والقيام ، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل» . (٤)

٦- الرحمة باليتيم :

اليتيم هو الذي فقد احد والديه وهو يتيم حتى يبلغ الحلم فإذا بلغ الحلم زال عنه اليتيم. (٥)

قال الراغب : اليتيم انقطاع الصبي عن والديه قبل بلوغه . (٦)

واليتيم في البشر هو المنفرد عن الأب لأن نفقته على الأب ، وفي البهائم المنفرد عن الأم لأن اللبن والأطعمة منها . (٧)

(١) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٤١١) .

(٢) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ص (٢٩٩) ، قال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ .

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب الفضائل ، باب رحمة النبي بالنساء ، ص (٨٠) .

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الساعي على الأرملة ، رقم الحديث (٦٠٠٦) ، ص (٧٢٠٥) .

(٥) ابن منظور : " لسان العرب " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص (١٣٢) .

(٦) الراغب الأصفهاني : " المفردات في غريب القرآن " ، مرجع سابق ، ص (٥٥٠) .

(٧) الجرجاني ، الشريف على بن محمد : كتاب التعريفات ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ص (٢٥٨) .

فهو حرم من رحمة وشفقة الوالدين منذ الصغر ، فأصبح ضعيفا محتاجا للشفقة والعطف والرحمة أكثر من غيره ، وكذا قد يكون بسبب ضعفه مطمعا للنفوس الضعيفة في التعدي على حقوقه ، فمن رحمة الإسلام أن رغب في رعايته والرحمة به ، فوعد بالأجر العظيم لكافل اليتيم ، عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وقال بإصبعيه السبابة والوسطى». (١)

قال ابن بطال : حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك " . (٢)

وكذا حذر وتوعد من تعدى على حقوقه ، قال تعالى : ﴿وَالضَّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ * وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ . (٣)

فإنه تعالى يحث نبيه صلى الله عليه وسلم على رعاية حق اليتيم و التلطف معه ورعايته ورحمته ، فلا ينسى انه كان يتيما مثله، فمن نعمته عليه انه كان يتيما فرحمه الله تعالى و شمله برعايته. (٤)

وقد ذم الله تعالى وقبح فعل المشركين لأنهم كانوا يأكلون أموال اليتامى ظلما ، قال تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ لَأَكْرَمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ . (٥)

وما دفع المشركين إلى الأقدام على هذا الفعل إلا لقسوة قلوبهم وخلوها من خلق الرحمة التي لو وجدت لرحموه وحفظوا له حقه .

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب فضل من يعول يتيما ، رقم الحديث (٦٠٠٥) ، ص (٧٢٠٤) .

(٢) المرجع السابق ، ص (٧٢٠٤) .

(٣) سورة الضحى : الآية (١ - ١١) .

(٤) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٤١٥) .

(٥) سورة الفجر : الآية (١٧ - ٢٠) .

٧- الرحمة بالخادم :

ومن صور الرحمة في التربية الإسلامية الرحمة بالخادم ، فلاسلام أمر بان يعاملوا بشفقة ورحمة ، قال تعالى : «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُجُورًا».. (١)

قال الطبري : " يعني بذلك جلّ ثناؤه: والذين ملكتموهم من أرقائكم. فأضاف الملك إلى اليمين، ... لأن ممالك أحدنا تحت يده، إنما يطعم ما تناوله أيماننا ويكتسي ما تكسوه وتصرفه فيما أحبّ صرفه فيه بها. فأضيف ملكهم إلى الأيمان لذلك. " (٢)

وصورة رحمتهم بأن تعطي حقوقهم وعدم تحميلهم من العمل فوق طاقتهم أو نهرهم أو استحقارهم ، وخير قدوة لنا في الرحمة بالخادم النبي صلى الله عليه وسلم فمواقفه الرحيمة تجلت مع كل البشر حتى الخادم ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ. وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي: أَقَا قَطُّ. وَلَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلْأَ فَعَلْتَ كَذَا؟.

زَادَ أَبُو الرَّبِيعِ: لَيْسَ مِمَّا يَصْنَعُهُ الْخَادِمُ. وَلَمْ يَذْكُرْ قَوْلَهُ: وَاللَّهِ. " (٣)

عن أبي مسعود رضي الله عنه : «أنه كان يضرب غلاماً له، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: والله، لله أقدر عليك منك عليه، قال: يا نبي الله فإني أعتقه لوجه الله عز وجل». (٤)

عن أنس رضي الله عنه ،: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا. فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ. وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا

(١) سورة النساء : الآية (٣٦).

(٢) الطبري : " جامع البيان على تأويل القرآن "، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٨٣).

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب الفضائل ، باب حسن خلقه صلى الله عليه وسلم ، ص (٦٩).

(٤) أحمد بن حنبل : " مسند احمد " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٣٦٧).

أمرني به نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم . فخرجتُ حتَّى أمرَّ على صبيَّانِ وهُم يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ . فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبِضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي . قَالَ : فَتَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ . فَقَالَ : « يَا أُنَيْسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ . أَنَا أَذْهَبُ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ .^(١)

٨- الرحمة بالكبير والصغير :

أوصى الإسلام الرحمة بالكبير والصغير ، لأن الإنسان في هذه المرحلة يكون اضعف ما يكون في مراحل حياته الأخرى وأحوج إلى الغير ، ونصوص الكتاب والسنة تضافرت في الترغيب في رحمة الكبير والصغير ، وتقديم العون له سواء كان قريباً أو جاراً أو من أخوننا المسلمين أو غيرهم ، فله حق الرحمة والاحترام ، لحديث ، التخفيف في الصلاة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ ، فَإِنَّ فِيهِم الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالكَبِيرَ . وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ » .^(٢)

وحديث عن ابن عباس رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقِرِ الكَبِيرَ وَيَرْحَمِ الصَّغِيرَ ، وَيَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ » .^(٣)

حديث ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا أَكْرَمَ شَابَّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قِيَضَ اللَّهُ لَهُ مِنْ يُكْرَمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ » .^(٤)

٩- الرحمة بغير المسلمين :

إن من كمال هذه التربية التي تستمد كمالها من كمال الشريعة الإسلامية نجد

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب الفضائل ، باب حسن خلقه صلى الله عليه وسلم ، ص (٧٠) .

(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الاذآن ، باب إذا صلى لنفسه فليطول ، رقم الحديث (٧٠٣) ، ص (١٠٢٧) .

(٣) احمد بن حنبل : " مسند احمد " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٢٥٧) .

(٤) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في إجلال الكبير ، ص (١٣٢) ، قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

مبادئها عامة تشمل جميع البشرية مسلمهم وكافرهم ، فمبدأ الرحمة مبدأ شامل يشمل جميع البشر على الإطلاق ، لذا فمن صور الرحمة الرحمة بغير المسلمين ويتضح ذلك فيما دلت عليه النصوص من الطرق في التعامل مع غير المسلمين قال تعالى : **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** .^(١)

قال الطبري : "يقول تعالى ذكره: **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾** من أهل مكة **﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾** يقول: وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم، وبرّكم بهم ... وقوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** يقول: إن الله يحبّ المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحقّ والعدل من أنفسهم، فيبرّون من برّهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم. " ^(٢)

فهذا في حال سلمهم ، بل إنه رحمهم في حال الحرب فنهى عن قتل الطفل والعجوز والمرأة والرجل ، الذين لم يقاتلوا ، عن نافع أن عبد الله رضي الله عنه أخبره **«أَنَّ امْرَأَةً وَجِدَّتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْتُولَةً، فَأَتَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»**.^(٣)

ومن أبرز صور الرحمة التي جسدها لنا النبي صلى الله عليه وسلم مربي هذه الأمة وذلك يوم فتح مكة المكرمة ، عندما أمكنه الله تعالى منها ومن أهلها ، فقد ذكر ابن هشام انه قام على باب الكعبة ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل فيكم قالوا : خيراً أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فانتم الطلقاء ، فالرحمة متصلة في أخلاقه صلى الله عليه وسلم قبل وبعد النبوة ، وهذا ما عهدته عليه قريش .^(٤)

(١) سورة الممتحنة : الآية (٨)

(٢) الطبري : " جامع البيان على تأويل القرآن "، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص (٦٥ - ٦٦) .

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب الجهاد والسير ، باب قتل الصبيان في الحرب ، رقم الحديث (٣٠١٤) ، ص (٣٢٢٤) .

(٤) عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ، دار الفكر لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، ج ٢ ، ص (٦٦) .

١٠- الرحمة بالحيوان :

التربية الإسلامية شاملة كاملة وهذا من خصائصها لذا فهي لم تترك شيئاً يسترعي دخوله تحت مبادئها إلا وضمته تحتها ومن ذلك أن مبدأ الرحمة يشمل المخلوقات كلها بما فيها الحيوان .

فالتربية الإسلامية عالمية تشمل مبادئها كل العالم ، لذا تعدى مبدأ الرحمة الإنسان إلى الحيوان ، ونصوص الكتاب والسنة بينت صور كثيرة للرحمة بالحيوان ، فمن صور الرحمة بالبهائم ، عن عبد الله بن جعفر قال : « أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه ، فأسرّ إليّ حديثاً لا أخبر به أحداً أبداً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب ما استتر به في حاجته هدف أو جائش نخل ، فدخل يوماً حائطاً من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه مجرجر وذرفت عيناه ، قال : بهز وعفان : فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سراته وذفراه فسكن ، فقال : من صاحبُ الجمل ؟ فجاءه فتى من الأنصار فقال : هو لي يا رسول الله ، فقال : « أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكها الله ؟ إنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه » . (١)

و عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ، قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ حَافِظُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ . وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ . وَلْيُحِدِّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ . فَلْيُرِخْ ذُبَيْحَتَهُ » . (٢)

فالإسلام دين الرحمة حتى عند القتل وإنهاء الحياة لهذه البهيمة يقتلها برحمة ، ورحمة الإنسان بالحيوان جعلها الله تعالى سبب لدخوله الجنة كما سبق في حديث قصة الكلب^(٣)، وفي المقابل القسوة عليها سبب لدخوله النار كما سبق في حديث قصة الهرة^(٤).

(١) أحمد بن حنبل : " مسند أحمد " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٢٠٤) .

(٢) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الصيد ، باب الإحسان إلى الذبيحة ، ص (١٠٦) .

(٣) سبق تخريجه ، ص (٢٤٠) .

(٤) سبق تخريجه ، ص (٢٤٠) .

أسباب اكتساب مبدأ الرحمة :

- ١- تقوى الله تعالى فمخافته سبب من أسباب لين القلب .
- ٢- المداومة على الطاعات فهي تلين القلب .
- ٣- التحلي بمكارم الأخلاق ، فهي تلين القلب وترققه .
- ٤- البعد عن المعاصي وسوء الخلق فهما سبب لقسوة القلب .
- ٥- استحضار ما يلقاه الرحماء من أجر وتوفيق في الدنيا والآخرة .

آثار مبدأ الرحمة :

- ١- سبب للدخول في رحمة الله تعالى التي هي خاصة بالمؤمنين في الدنيا من توفيق ، بر ، حلاوة إيمان ، تقوى ، و امن واطمئنان ، وكذلك الدخول في رحمته يوم القيامة والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .
- ٢- سبب لنجاح المربي ونفوذه لنفس المتربي .
- ٣- سبب لمحبة الله تعالى ومحبة خلقه ، فهي تحمل صاحبها على الرقة والعطف بالآخرين وأداء حقوقهم والإحسان إليهم .
- ٤- سبب لتكاتف والألفة بين أفراد المجتمع فمن خلالها تؤدي الحقوق ، ويكثر المحسنين ، فتشيع المحبة والثقة والأمن والاطمئنان ، فيقوى المجتمع المسلم .
- ٥- أنها دلالة على حسن خلق صاحبها وصفاء فطرة ونقاءها ، فالنفوس السوية مجبولة على الرحمة .

المبحث الثامن

مبدأ الحلم

الحلم مبدأ ثابت من مبادئ التربية الإسلامية ، أثبتته من خلال نصوص الكتاب والسنة ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. (١)

فهو صفة لله تعالى اتصف بها كما يليق بجلاله وعظمته ، و جمل به أنبياءه أيضا وكان سبب من أسباب نجاح دعوتهم وتربيتهم أمهم ، فقد سهل هذا المبدأ العظيم خلق الأنبياء مع أمهم فاستطاعوا تربيتهم وكسب محبتهم وقبولهم قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾. (٢)

فهذا المبدأ بما يحويه من قيم تربوية عظيمة من رفق ، ومحبة ، وصبر وغيرها حاز على مكانة عظيمة في التربية الإسلامية .

مفهوم مبدأ الحلم :

لغة : مصدر حَلَمَ وهو مأخوذ من مادة حلم ، و الحِلْمُ (بالكسر) الأناة وقيل هو: الأناة والعقل وهو نقيض السفه وجمعه أحلامٌ وحلومٌ ، وفي التنزيل العزيز ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا ﴾ (٣) ، وقولك حَلَمَ (بالضم) يحلمُ حلماً: أي صار حليماً. وتقول تحلم (مشدداً) أي تكلف الحلم كما تقول: حلمة، والرجل المُحلمُ: الذي يُعلم الحِلْمَ... (٤)

(١) سورة النحل : الآية (٦١) .

(٢) سورة التوبة : الآية (١١٣ - ١١٤) .

(٣) سورة الطور : الآية (٣٢) .

(٤) ابن منظور : " لسان العرب " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص (٣٤ - ٣٦) ، الجوهرى : " الصحاح تاج اللغة صحاح العربية " ، مرجع سابق ، ج ٥ ، (١٩٠٣ - ١٩٠٤) .

اصطلاحاً: اختلف في الحِمْ اصطلاحاً على أقوال أهمها:

الأول: قال الراغب: الحِمْ ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب. (١)

الثاني: قال الجرجاني: الحِمْ هو الطمأنينة عند سورة الغضب ، وقيل: تأخير مكافأة الظالم (إنما مجازاته بظلمه) . (٢)

الثالث: قال ابن المناوي: هو رزانة في البدن يقتضيها وفور العقل. (٣)

تعريف الباحثة :

ومن خلال التعاريف السابقة ، نقول أن مفهوم مبدأ الحِمْ هو :

الحِمْ طمأنينة وضبط لنفس عند الغضب وترك الانتقام مع القدرة على ذلك .

حقيقة مبدأ الحِمْ :

يقول صاحب بهجة الناظرين : الحلم منزلة بين رذيلتين الغضب والبلادة ، وهو تأتي وسكون عند الغضب أو مكروه مع قدرة وقوة وعقل ، فالحليم لا يستفزه الذين لا يعلمون ولا يستخفه الذين لا يعلمون وإنما يضبط نفسه عند هيجان الغضب ، وهو يبدأ بكظم الغيظ ثم النظر في عواقب الأمور ويضع الشيء في موضعه مما يدل على صحة العقل وكماله وعلم صاحبه وإرادته القوية التي تبصره باتخاذ ردة الفعل السليم بإتباع أيسر الأمور وأرشدتها وقد ينتهي الأمر بالعمو والإحسان . (٤)

" فيوجد ارتباط إيجابي قوي بين الحلم والعقل ، وذلك لأن العقل السوي هو الذي يعقل صاحبه من الاندفاع وراء عواطفه وغرائزه ، أو وراء انفعالاته وشهواته

(١) الراغب الأصفهاني: "المفردات في غريب القرآن"، مرجع سابق ، ص (١٢٩) .

(٢) الجرجاني ، مرجع سابق ، ص (٩٢) .

(٣) المناوي ، محمد عبد الرؤف : التوقيف في مهمات التعاريف ، تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، القاهرة التعريفات ، ١٤١٠هـ ، ص (١٤٦) .

(٤) الهلالي ، أبو أسامة سليم عيد: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين ، ط ٢ ، (د . ت) ، (٦٧٨ - ٦٧٩) نقلا عن احمد عليان : الأخلاق في الشريعة الإسلامية ، ط ١ ، دار النشر الدولي ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ ، ص (٢٥٢) .

، أو شدة طباعته النارية ، أو وراء كل ما يميل به إلى الجنوح والانحراف " . (١)
يقول الغزالي عن الحلم : " هو دلالة على كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة
الغضب وخضوعها للعقل " . (٢)

- صفة الحلم هل هي مكتسبة أم سجية وطبع ؟

ويرتبط معرفة حقيقة الحلم معرفة ما إذا كان الاتصاف به سجية وطبعاً أي
مجبولاً عليها الإنسان أم مكتسبة .

قال ابن حبان رحمه الله تعالى: " الحلم سجية أو تجربة أو معا . "

ويقول : " وأول الحلم: المعرفة ، ثم التثبت ، ثم العزم ، ثم التصبر ، ثم الصبر ،
ثم الرضا ، ثم الصمت و الإغضا ، وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء فأما من
أحسن إلى المحسن وحلم عن لم يؤذ فليس ذلك بحلم ولا إحسان" . (٣)
فالحلم إما أن يكون جبلة ، وإما أن يكتسبها الشخص عن طريق التعود فتصير طبعاً .

مكانة مبدأ الحلم في التربية الإسلامية :

١- من أسماء الله الحسنى وصفاته " الحليم " :

إن من صفات الله تعالى الحليم فهي صفة ثابتة له تعالى كما يليق بجلال عظمته
وقدرته .

قال ابن منظور في معنى الحليم: والحليم في صفة الله عز وجل معناه الصبور ،
وقيل هو الذي لا يستخفه عصيان العصاة ، ولا يستفزه الغضب عليهم ، ولكنه جعل
لكل شيء مقدار فهو منته إليه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ

(١) الميداني : " الأخلاق الإسلامية و أسسها " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٣٤) .
(٢) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٧٦) .
(٣) ابن حبان ، أبي حاتم محمد بن حبان البستي : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، دار الكتب
العلمية ، لبنان ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ ، ص (٢٠٩ - ٢١٠) .

أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا» (١).

قال الغزالي رحمه الله تعالى: "الحليم هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستنزه غضب ، ولا يعتريه غيظ ، ولا يحمل على مسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار " (٢).

وقيل حلم الله هو: تأخير العقوبة عن بعض المذنبين ثم قد يعذبهم وقد يتجاوز عنهم (٣).

كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٤).

حلم الله تعالى بعباده مثال رائع على مبدأ الحلم ، فحلمه تعالى الحلم الكامل من أكمل حلم ومن أروع الأمثلة للحلم ، فهو يشاهد معاصي عباده ومخالفاتهم لأمره ، فلا يستنزه غضب ولا يحمل على المسارعة للانتقام ، بل يؤجل العقوبة وقد يعفوا ويغفر عن كثير من سيئات عباده ، فإن كان رب العزة والجلال يعفوا ويصفح ، وهو القادر على إيقاع العقوبة متى شاء فما بالنا نحن البشر الضعفاء لا نعفوا ونصفح.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٥).

" أي لا يعاقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم من الأيمان اللاغية، وهي التي لا يقصدها الحالف بل تجري على لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد ... " (٦).

(١) سورة فاطر : الآية (٤١).

(٢) الغزالي ، أبي حامد محمد : المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ، تقديم : محمود النواوي مكتبة الكليات الأزهر ، مصر ، ١٩٦١م ، ص (٦٥) .

(٣) احمد الشرباصي : " موسوعة أخلاق القرآن " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (١٨٤) .

(٤) سورة النحل : الآية (٦١) .

(٥) سورة البقرة : الآية (٢٢٤ - ٢٢٥) .

(٦) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٢٣٣) .

فمن حلم الله تعالى أن جعل هذا الدين يسر وليس عسر ، فلم يؤاخذهم على ما لم تتعمد قلوبهم من إيمان .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعُلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ .. (١)

قال ابن كثير : " أي ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا ... " (٢) .

فمن حلمه تعالى بعباده أن يسر عليهم أمور دينهم وكلفهم ما يطيقون .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن سَأَلْتُمُوهَا عَلَيْهَا حِينَ يَنْزَلُ الْقُرْآنُ يُبَدَّ لَكُمْ عَمَّا أَلَّهَ عَلَيْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ . (٣)

إن الله تعالى يعظ ويؤدب المؤمنين أن يسألوا عن أمور لم يذكرها لهم ، فقد يسألوه عنها فتفرض عليهم فيشق ذلك عليهم والله تعالى لحلمه عليهم ورحمته بهم لم يذكرها . (٤)

٢- من صفات الأنبياء :

إن الله تعالى أدب أنبائه ووصفهم بصفات عظيمة من بينها الحلم، ومن ذلك حلم إبراهيم عليه السلام قال تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَّاءَ لِقُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ أَسْتِغْفَارُ

(١) سورة الحج : الآية (٧٧-٧٨) .

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٢٣) .

(٣) سورة المائدة : الآية (١٠١-١٠٢) .

(٤) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٩٨) .

إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَاهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ. (١)

فقد كان عليه السلام رحيمًا بأبيه مستمر في دعوته إلى الإيمان بالله رغم ما
يلقاه منه من أذى ، ومن شدة حلمه به كان يدعو له ويستغفر له فوصفه الله " بالحليم
" الكثير الحلم . (٢)

وكذلك حلمه عليه السلام بقوم لوط عندما أرسل الله تعالى إليه الملائكة تبشيره
بإسحاق ويعقوب ، وتهلك قوم لوط ، فأخذ يرجو عدم تنفيذ هلاكهم طمعاً في أن
يصلح حالهم بالصبر ويدعو الله في ذلك. (٣)

يقول الله تعالى: ﴿لَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي
قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنتَبِهٌ﴾ . (٤)

و أيضاً حلم هود عليه السلام ، يقول تعالى : ﴿وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ أَلَمْ آتَاكُم مِّن قَوْمِهِ إِنَّا
لَنرَاك فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَلنَّاظِرُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أبلِغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ . (٥)

فكان يقابل شتائم قومه وجهلهم عليه بحلم عظيم وصبر جم و صدر واسع رحب . (٦)

ونوح عليه السلام وصفه الله تعالى بالحليم ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ
فَقَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ *
قَالَ أَلَمْ آتَاكُم مِّن قَوْمِهِ إِنَّا لَنرَاك فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي

(١) سورة التوبة : الآية (١١٣ - ١١٤) .

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٣٥٩) ،

الشوكاني : " فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير " ، مرجع سابق

، ج ٢ ، ص (٤١٠ - ٤١١) .

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٤١١) .

(٤) سورة هود : الآية (٧٤ - ٧٥) .

(٥) سورة الأعراف : الآية (٦٥ - ٦٨) .

(٦) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢٠٨) .

رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَبْلَغَكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ». (١).

فروح عليه السلام كان حليم بقومه ، فقد صبر على دعوتهم إلى الإيمان مدة طويلة رغم ما لقي منهم من استهزاء وسخرية ، فكان يصنع السفينة بأمر الله تعالى في أرض جرداء ليس فيها بحار ولا انهار وكانوا كلما مروا عليه يسخرون منه ولكنه كان يقابل هذه السخرية بصبر وثبات . (٢)

وحلم سيد الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم فقد أثبتته الله تعالى له ، قال تعالى : «فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَوَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ». (٣)

فحلّمه عليه الصلاة والسلام ليتضح من خلال مواقف كثيرة في دعوته ، ومنها حديث : " عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : " كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَذْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَدَ بَرْدَانَهُ جَبْدَةً شَدِيدَةً قَالَ أَنَسٌ : فَتَنْظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَقَتْ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ". (٤)

يقول النووي في شرح الحديث : " فيه احتمال الجاهلين والأعراض عن مقابلتهم . ودفع السيئة بالحسنة وإعطاء من يتألف قلبه ، والعفو عن مرتكب كبيرة لأحد فيها بجهله ، وإباحة الضحك عند الأمور التي يتعجب منها في العادة ، وفيه

(١) سورة الأعراف : الآية (٥٩ - ٦٢).

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢٠٧).

(٣) سورة آل عمران : الآية (١٥٩).

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك ، رقم الحديث (٦٠٨٨) ، ص (٧٢٨٦).

كمال خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلمه وصفحه الجميل " . (١)

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف يدل على وفور العقل حيث تعجب من موقف الأعرابي وأسلوبه في طلب العطاء ، فكانت هذه ردت فعل تدل على كمال عقل النبي صلى الله عليه وسلم وكمال العقل ملازم لمبدأ الحلم .

وبلغ من حلمه صلى الله عليه وسلم عدم دعائه على الذين أدوه من قومه ، وكان باستطاعته أن يدعو عليهم ولكنه يحلم بهم رجاء إصلاحهم وإصلاح من يخرج من ذريتهم . " عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظللتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد فقال : ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال : النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا " . (٢)

وفي حديث آخر عنها رضي الله عنها يدل على عظم حلمه مع الآخرين أيا كانوا حتى لو كانوا أعداء ، فعن عائشة رضي الله عنها ، أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : السأم عليك قال وعليكم . فقالت عائشة : السأم عليكم ولعنكم الله وعضب عليكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف أو الفحش . قالت : أولم تسمع ما قالوا . قال :

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلف من يخلف إيمانه ، ص (١٤٧) .

(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم أمين والملائكة في السماء ، رقم الحديث (٣٢٣١) ، ص (٣٨٢٦) .

أولم تَسْمَعِي مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِي". (١)

٣- من كمال الإيمان :

فالحلم إنما هو مبدأ تربوي عظيم يحمل في طياته العديد من القيم العظيمة ، فصاحبه يتميز بالصبر و كظم الغيظ والرفق والرحمة والعفو والإحسان ، ووفور عقل ، وهذه الأخلاق كلها تزيد الإيمان وترفع درجة صاحبها في الآخرة ، فالحلم إنما هو من صفات المؤمنين الصادقين ، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾. (٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمناً وإيماناً». (٣)

فالمؤمن وافر العقل رقيق القلب يحمله إيمانه على كظم غيظه والعفو والإحسان عن من أساء إليه.

٤- سبب لمحبة الله تعالى :

فالحليم يكتسب محبة الله تعالى وذلك لما يجمله به مبدأ الحلم من خلق كريم ، وعن أبي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ لِيَبْلُغَ بِصَاحِبِهِ دَرَجَةَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ». (٤)

(١) المرجع السابق ، ج ٢ ، كتاب الأدب ، باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ، رقم الحديث (٦٠٣٠) ، ص (٧٢٢٤).

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٣٣ - ١٣٤).

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣٥٧).

(٤) نور الدين الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في حسن الخلق ، ص (٢٢) . وقال : قلت : رواه الترمذي باختصار . رواه البزار ورجاله ثقات .

لذا صرحت السنة انه من الخلق الذي يحبه الله تعالى ، فعن ابنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ
قال: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَشَجٍّ، - أَشَجَّ عَبْدُ الْقَيْسِ - : «إِنَّ فِيكَ
خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْإِنَاءُ». (١)

٥- جامع لمكارم الأخلاق :

إن الحليم متجمل بصفات كثيرة فهو متميز بالكرم والرحمة ، والرقّة والعطف
والصبر ، وكظم الغيظ ، وعفة للسان و إحسان والصلة ...، فهو جامع لمكارم
الأخلاق.

قال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾. (٢)

فإنه تعالى يأمر نبيه بالتحلي بالحلم لكي يكتسب جميل الصفات ، فقد روي في
تفسير الآية ، أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام : ما
هذا يا جبريل قال: إن الله يأمرك أن تعفو عن من ظلمك وتعطي من حرمك وتصل
من قطعك" . (٣)

فمن المعروف صلة من قطع و إعطاء من حرم والعفو عن من ظلم ، وكل ذلك
يؤدي إلى خصال كريمة يتوصل إليها من خلال التخلق بالحلم .

فإنه تعالى أمر نبيه بالعفو ليربيه على هذا المبدأ العظيم .

وقيل في هذه الآية : " ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية " . (٤)

"وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه
بخميسة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، باب مبايعة
وفد عبد القيس لنبي صلى الله عليه وسلم ، ص (١٨٩).

(٢) سورة الأعراف : الآية (١٩٩).

(٣) الطبري : " جامع البيان على تأويل القرآن " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص (١٥٣ - ١٥٦).

(٤) القرطبي : " الجامع لأحكام القرآن " ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص (٣٤٥).

محمودة: اللحم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعد من الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة ورجوعه إلى مدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير،...". (١)

٦- سبب للفوز بالجنة :

ومجد الإسلام وعظم اللحم فيبين أنه سبب لمحبة الله ورسوله والفوز بالجنة والدرجات العلى منها ، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. (٢)

فيرغب الإسلام على التخلق بهذه الصفة ويبين محبته الله تعالى لمن أتصف بها، فعن ابن عباس رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **لِللَّاشِحِّ عَبْدِ الْقَيْسِ** : " **إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالنَّانَاءُ** ". (٣)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ** ". (٤)

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. (٥)

(١) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٧٨).

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٣٣ - ١٣٤).

(٣) سبق تخريجه ، ص (٢٦٢) .

(٤) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب فضل الرفق ، ص (١٤٦).

(٥) سورة فصلت : الآية (٣٤-٣٦).

قال ابن كثير : " **﴿ وَمَا يُلْقَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾** أي وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك فإنه يشق على النفوس **﴿ وَمَا يُلْقَهَا إِلَّا نُو حَظَّ عَظِيمٍ ﴾** أي ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة،..." (١)

٧- الحلم سبب للترفع عن سوء الأخلاق :

بالحلم يترفع المرء عن سوء الأخلاق وسائر العواقب الجالبة لها، والتي إنما يؤدي إليها ترك الحلم ، وهذا يجره إليه الغضب الذي يعد الصفة السيئة المضادة للحلم التي تعد الطريق الأسهل لسوء الخلق ، فعلى قدر ما يضبط المسلم نفسه ويكظم غيظه يملك لسانه ويبعد عن بذية القول عن ثوبان رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " طوبى لمن ملك لسانه ووسع به بيته وبكى على خطيئته." (٢)

فالحلم سبب لنجاة الإنسان فهو مبعد له عن سوء الأخلاق والتي منها انفلات لسانه ، فهو في اغلب الأحيان ممسك له حافظ له من الزلات .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ ، وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبِذِيِّ " . (٣)

فالغضب يجر المرء إلى السباب والمهاترات وما تجر إليه من عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة ، بينما الحلم يجنبه ذلك ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِيِّ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ " . (٤)

(١) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٩٠).

(٢) نور الدين الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في الصمت وحفظ اللسان ، ص (٢٩٩) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط والصغير وحسن إسناده

(٣) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب البر والصلة ، ص (٨٣) ، قال أبو عيسى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

(٤) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب النهي عن السباب ، ص (١٤٠).

والعفو يبعد المسلم على السلوك الدنيء الذي قد يسلكه في حالة غضبه مما قد يجر الى عواقب وخيمة لولا أن المسلم يملك نفسه ، ومن ذلك ، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَدِمَ عِيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، فَتَزَلَّ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْبِيهِمْ عُمَرُ ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شَبَابًا فَقَالَ عِيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ : يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ . قَالَ : سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ . قَالَ : ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذَنَ لِعِيْنَةَ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ . فغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ فَقَالَ الْحُرُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ . (١)

، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ . فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ . (٢)

ويتحدث الغزالي عن آثار الغضب ومظاهره حيث له آثار حسية ومعنوية ، فالغضب خصلة مناقضة لفضيلة الحلم فيقول : " وأما آثار هذا الغضب في الظاهر : تغيير اللون ، وشدة الرعدة في الأطراف ، وخروج الأفعال عن الترتيب ، والنظام واضطراب الحركة والكلام ... ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته ، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره ، فإن الظاهر عنوان الباطن ، وإنما قبحت صورة الباطن أولاً ، ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانياً ، فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن ... فهذا أثره في الجسد وأما أثره في اللسان : فانطلاقه بالسب والفحش من الكلام ... أما أثره على الأعضاء : فالضرب ، والتهجم والتمزيق ، والقتل ، والجرح عند التمكن من غير مبالاة ... وأما أثره في

(١) سورة الأعراف : الآية (١٩٩) .

(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث (٧٢٨٦) ، ص (٩٠٣٦) .

القلب مع المغضوب عليه ، فالحقد ، والحسد ، وإضرار السوء ، والشماتة بالمساءات ، والحزن بالسرور ، والعزم على إفشاء السر ، وهتك الستر والاستهزاء ، وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب . " (١)

والإسلام أدرك هذه الحقيقة فدعا إلى التجمل بخلق الحلم وحذر من الغضب في نصوص كثيرة منها: " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْصِنِي قَالَ : لَا تَغْضَبْ . فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ لَا تَغْضَبْ " . (٢)

وارشد الإسلام إلى سبل تجنب الغضب وعلاجه حتى تعينه هذه السبل على التحلي بفضيلة الحلم ، ويتضح ذلك من خلال الوصايا التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم للغاضب ، فعن أبو وائل القاص قال: « دخلنا على عروة بن محمد بن السعدي فكلمه رجل فأغضبه فقام فتوضأ ثم رجع وقد توضأ فقال حدثني أبي عن جدي عطية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » . (٣)

عن أبي تر ، قال: « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع » . (٤)

عن معاذ بن جبل ، قال: « استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم، فغضب أحدهما غضباً شديداً حتى خيل إلى أن أنفه يتمرغ من شدة غضبه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده من الغضب، فقال ما هي يا رسول الله؟ قال يقول: اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم قال:

(١) الغزالي: " إحياء علوم الدين "، مرجع سابق، ج ٣، ص (١٦٨) .

(٢) العسقلاني: " فتح الباري شرح صحيح البخاري "، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث (٦٠٠٦) ، ص (٧٣٠٥) .

(٣) أبادي: " عون المعبود شرح سنن أبي داود "، مرجع سابق، ج ١٣، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، ص (١١٧) .

(٤) المرجع السابق، باب ما يقال عند الغضب، ص (١١٦) .

فَجَعَلَ مُعَادًا يَأْمُرُهُ فَأَبَى وَمَحَكَ وَجَعَلَ يَزْدَادُ غَضَبًا» . (١)

٨- سبب لاكتساب محبة الناس:

بالحلم نملك قلوب الآخرين ونجد قبولهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِنَّمَا يَنزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . (٢)

قال ابن كثير : " وقوله عز وجل: ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وهو الصديق إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك، ثم قال عز وجل: ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ أي وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك فإنه يشق على النفوس ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ أي ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة... قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم. وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّمَا يَنزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ أي أن شيطان الإنس ربما ينخدع بالإحسان إليه فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك فإذا استعدت بالله والتجأت إليه كفه عنك ورد كيده،... " (٣)

الحليم يجد إعانة الناس ووقوفهم إلى صفة ، يقول علي رضي الله عنه : " أن أول ما عوض الحليم عن حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل". (٤)

(١) المرجع السابق ، ص (١١٥).

(٢) سورة فصلت: الآية (٣٤-٣٦).

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٩٠).

(٤) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٧٨) .

٩- الحلم دلالة على الشدة والقوة :

الحلم في التربية الإسلامية دلالة على القوة ، فالحليم إنما يعفو ويصفح ليس لضعفه أو عجزه عن الانتقام ، وإنما ذلك دلالة على كمال عقله ورجاحته لما أدرك قيمة الحلم وما فيه من مكاسب خلقية ، أيضا دلالة على قوته حيث استطاع أن يجاهد نفسه وان يكظم غيظه وان يصبر ويحتمل الأذى ، وذلك واضح من قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُقَاہَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَاہَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ ﴾ (١)

أي أن هذا يحتاج إلى صبر واحتمال لأنه مما يشق على النفوس .

والنبي صلى الله عليه وسلم اثبت هذه القوة للحليم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» . (٢)

أسباب اكتساب مبدأ الحلم :

هناك دوافع حقيقية تكمن داخل النفس الإنسانية تحض على الحلم تدل على شرف النفس وكمال المروءة وقد ذكرها الماوردي في كتابه ، فقال - رحمه الله تعالى - : " الحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بنوي الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد .

وأسباب الحلم الباعثة عليه عشرة وهي :

١- الرحمة للجهال، وذلك من خير يوافق رقة، وقد قيل في منثور الحكم: من أوكد أسباب الحلم رحمة الجهال.

٢- القدرة على الانتصار، وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة.

٣- الترفع عن السباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة.

(١) سورة فصلت : الآية (٣٥).

(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ، رقم الحديث (٦١١٤) ، ص (٧٣٠٥) .

- ٤- الاستهانة بالمسيء ، وذلك عن ضرب من الكبر. ومن مستحسنة .
- ٥- الاستحياء من جزاء الجواب ، والباعث عليه صيانة النفس وكمال المروءة.
- ٦- التفضل على الساب، ويبعث عليه الكرم وحب التآلف .
- ٧- استتكاك السباب وقطع سببه، والباعث عليه الحزم ، وقد قيل: الحلم حجاب الآفات.
- ٨- الخوف من العقوبة على الجواب ، ويبعث عليه ضعف النفس وربما أوجبه الرأي واقتضاه الحزم .
- ٩- الرعاية ليد سالفة وحرمة لازمة: والباعث عليه الوفاء وحسن العهد.
- ١٠- المكر وتوقع الفرص الخفية: ويبعث عليه الدهاء، وقد قال بعض الأدباء:
- غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله. ... " (١)
- وبالإضافة إلى الأسباب السابقة هناك أمور أخرى تعين المسلم على اكتساب مبدأ الحلم ومنها :
- ١- تقوى الله تعالى ، فمن يتقى الله يدرك عظمته وقدرته وانتقامه العاجل والآجل .
- ٢- أن يستشعر عواقب الحلم في الدنيا والآخرة .
- ٣- أن يستشعر عواقب الغضب من حقد وحسد وعداوة وغيرها في الدنيا والآخرة .
- ٤- أن يبتعد عن الغضب وأسبابه ، ويبادر بعلاجه الوارد في السنة النبوية -قد سبق توضيحه- .

آثار مبدأ الحلم :

- ١- الفوز بالجنة في الدار الآخرة والنجاة من النار .
- ٢- اكتساب المسلم محبة الله تعالى ، لتجمله بخلق الحلم الذي هو أساس كل فضيلة.

(١) الماوردي: "أدب الدين والدنيا"، مرجع سابق، ص (٢٤٥).

- ٣- اكتساب المسلم محبة الناس ، بفضل تحمله لأذاهم وعفوه عنهم وإحسانه إليهم ، فهذا دافع لهم لمحبتته حيث لم يقابل أذاهم بأذى ، ويقول علي رضي الله عنه: أول ما يعرض الحليم عن حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . (١)
- ٤- سبب لاكتساب مكارم الأخلاق ، والترفع عن سيئها .
- ٥- سبب لشيوع روح الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع وزيادة تماسكه وقوته .
- ٦- الحليم يكتسب الحكمة والوقار وشرف النفس والمروءة .
- ٧- سبب لاكتساب العلم ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم " . (٢)

(١) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٧٨) .
(٢) المرجع السابق .

المبحث التاسع مبدأ التواضع

التواضع مبدأ تربوي ثابت بنصوص الكتاب والسنة ، وخلق كريم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة عند الله تعالى وعند الناس قال تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ . (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
" مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا ، عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ " . (٢)

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْأَمْثَالِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ . (٣)

فإنه تعالى يحث نبيه صلى الله عليه وسلم على الالتزام بهذا المبدأ فهو من مقومات المربي الناجح ، فقد كان سبب من أسباب نجاح النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته ، حيث ربي جيل مسلم ظل نموذجاً مثالي لباقي القرون المسلمة .

مفهوم مبدأ التواضع :

لغة : أصل الكلمة ، و ض ع ، والوضع ضد الرفع ، و منه الضعة : خلاف الرقعة في القدر ، ورجل وضيع ، وهو ضد الشريف ، ووضع منه فلان أي حط من درجته . والوضع : الذئبيء من الناس ، الضعة : الدل والهوان والدناءة ، ومنه التواضع : اي التذلل . وتواضع الرجل : ذل .

وقال الراغب ، الوضع أعم من الحط قال تعالى : ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (٤) ،

(١) سورة الفرقان : الآية (٦٣) .

(٢) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب استحباب العفو والتواضع ، ص (١٤١) .

(٣) سورة الحجر : الآية (٨٧-٨٨) .

(٤) سورة المائدة : الآية (١٣) .

وبمعنى الإيجاد والخلق قال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ (١) ،

وقال في الصحاح : وَوَضَعَ الرَّجْلَ (بالضم) يَوْضَعُ ضِعَةً وَضِعَةً أَي صَارَ

وَضِعًا وَوَضَعَ مِنْهُ فُلَانٌ أَي حَطَّ مِنْ دَرَجَتِهِ ، وَالتَّوَضَّعُ التَّذَلُّلُ . (٢)

واصطلاحاً: إظهار التنازل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه ، وقيل: هو تعظيم من

فوقه لفضلة ، وقيل: التواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض في الحكم . (٣)

حقيقة التواضع :

ولمعرفة حقيقة التواضع لابد أن نعرف أنه على درجات :

للتواضع ثلاث درجات (٤):

الأولى : التواضع للدين ، هو الانقياد لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

والاستسلام له والإذعان .

الثانية : أن ترضى بما رضي الحق به لنفسه عبداً من المسلمين أخاً ، وأن لا

ترد على عدوك حقاً ، وأن تقبل من المعتذر معاذيره .

الثالثة : أن تتضع للحق ، فتتزل عن رأيك وعوائدك في الخدمة ، ورؤية حقاك

في الصحبة ، وعن رسمك في المشاهدة .

الفرق بين التواضع والذل والمهانة (التواضع المذموم):

وفيما يتعلق بحقيقة التواضع لابد عدم الخلط بين التواضع ، والذل والمهانة ،

(١) سورة الرحمن : الآية (١٠) .

(٢) ابن فارس : " مقاييس اللغة " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص (١١٨) ،

الراغب الأصفهاني : " المفردات في غريب القرآن " ، مرجع سابق ، ص (٥٢٤)

الجوهري : " الصحاح تاج اللغة صحاح العربية " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٣٠٠) .

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الرقائق ،

باب التواضع ، ص (٧٨٣٢) ، ابن علان : " دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، وهو شرح

كتاب رياض الصالحين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٥٠)

(٤) ابن القيم الجوزية : " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين " ، مرجع سابق ، ج

٢ ، ص (٣٤٧ - ٣٥١) .

فهناك فرق بين التواضع والذل والمهانة .

يقول ابن القيم : " للتواضع حد إذا جاوزه كان ذلاً ومهانة ، ومن قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر " . (١)

فالتواضع إنما يكون لله وللمؤمنين ، و يتولد من معرفة الإنسان لربه وعظمته وأنه هو صاحب الكبرياء والعظمة لحديث ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ " . (١)

ويتولد التواضع من معرفة العبد لنفسه وحقيقة خلقه ، وأن لا يتواضع للناس ليحصل على ما عندهم من حظوظ من الدنيا إنما ذلك ذل ومهانة وخسة . (٢)

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ . (٤)

مكانة مبدأ التواضع في التربية الإسلامية :

١- من صفات الأنبياء :

التواضع صفة من صفات الأنبياء عليهم السلام ، التي رباهم عليها المولى عزوجل ، وقد أثبتها تعالى لهم في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ

(١) ابن القيم ، شمس الدين محمد بن أبي بكر : الفوائد ، تحقيق : عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٧ هـ ، ص (١٥٨).

(٢) أبادي : " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكبر ، ص (١١٧) ، قال المنذري : وأخرجه ابن ماجه وأخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وفيه عذبة مكان قذفته في النار .

(٣) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩) .

(٤) سورة المائدة : الآية (٥٤) .

وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١﴾ . فالله تعالى اثبت لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حسن خلقه وتواضعه وأنه لولاه لما ألف قلوب الناس وحببهم إليه وقبلوا دعوته .

والله تعالى حث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ملازمة هذا الخلق الفاضل مع أتباعه من المؤمنين ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَابِيِّ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ . (٢)

فالمتتبع لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم المعلم والمربي الأول ليجد فيها العديد من المواقف الواضحة التي تدل على اتصافه بهذه الخصلة العظيمة.

عن عثمان رضي الله عنه ، قال : إنا والله قد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر ، وكان يعود مرضانا ويتبع جنازتنا ويغزو معنا ، ويواسينا بالقليل والكثير، وإن ناساً يعلموني به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط» . (٣)

وكان من تواضعه عليه السلام يشفق ويرفق بالأطفال ويحملهم على كتفه وهو نبي هذه الأمة ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : ابْنُ الزُّبَيْرِ لِبْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَتَذَكُرُ إِذْ تَلَقَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَأَنْتَ وَابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ نَعَمْ فَحَمَلْنَا وَتَرَكَكَ . (٤)

ومن تواضعه عليه السلام كان يجلس على الحصير ويخالط المسلمين و يأكل معهم ويجلس بينهم ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ جَدَّتَهُ مَلِيكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَطْنِ صَنْعَةَ فَأَكَلَ مِنْهُ فَقَالَ : فَوَمُوا فَلِأَصْلِي بِكُمْ فَفُجِئْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طَوْلٍ مَا لَبِثَ فَفَضَحْتُهُ بِمَاءٍ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

(١) سورة آل عمران : الآية (١٥٩) .

(٢) سورة الحجر : الآية (٨٧-٨٨) .

(٣) احمد بن حنبل : "مسند احمد" ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٦٩-٧٠) .

(٤) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ٦ ، فتح الباري ، كتاب الجهاد والسير ، باب استقبال الغزاة ، رقم الحديث (٣٠٨٢) ص (٣٦٧٥) .

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْيَتِيمَ مَعِيَ وَالْعَجُوزَ مِنْ وَرَائِنَا فَصَلَّى بِنَا رَكَعَتَيْنِ . " (١)

وكان صلى الله عليه وسلم من تواضعه يحب مخالطة المساكين ويحث على الإحسان إليهم ، عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مَسْكِينًا وَأَمْتِي مَسْكِينًا وَأَحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ يَارْبَعِينَ خَرِيفًا يَا عَائِشَةُ لَا تَرُدِّي الْمَسْكِينِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ يَا عَائِشَةُ أَحْبِبِي الْمَسَاكِينَ وَقَرِّبِيهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُقَرِّبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . " (٢)

ومن تواضعه عليه السلام أنه كان لا يترفع أو يأنف عن مساعدة المسلمين ولو عمل ذلك بيده صلى الله عليه وسلم ، عن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ أَبَاهُ تُوفِيَّ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَاتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : إِنَّ أَبِي تَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا وَكَيْسَ عِنْدِي إِلَّا مَا يُخْرَجُ نَخْلَهُ وَلَا يَبْلُغُ مَا يُخْرَجُ سَنِينَ مَا عَلَيْهِ فَاتَطَلَّقَ مَعِيَ لَكِي لَا يُفْحَشَ عَلَيَّ الْعُرْمَاءُ فَمَشَى حَوْلَ بَيْدَرٍ مِنْ بِيَادِرِ التَّمْرِ فَدَعَا ثُمَّ آخَرَ ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ فَقَالَ انزِعُوهُ فَأَوْقَاهُمْ الَّذِي لَهُمْ وَبَقِيَ مِثْلُ مَا أُعْطَاهُمْ . " (٣)

وكان صلى الله عليه وسلم لا يرد من سأله ولو كانت أمة صغيرة ، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " إِنَّ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ . " (٤)

والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الرفق والانقياد ، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكر الأمة دون الحررة . (٥)

(١) المرجع السابق ، ج ٢ ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على الحصير ، رقم الحديث (٣٨٠) ، ص (٦٣٨) .

(٢) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في فقراء المهاجرين ، ص (٥٤) ، قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، رقم الحديث (٣٥٨٠) ص (٤١٦٧) .

(٤) المرجع السابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الكبر ، رقم الحديث (٦٠٧١) ، ص (٧٢٦٩) .

(٥) المرجع السابق ، ص (٧٢٧٠) .

٢- من كمال الإيمان :

فالتواضع من كمال الإيمان فالمؤمن لا يكون مؤمناً حقاً حتى يعرف حقيقة نفسه ويعرف ربه ، فيتواضع وينزل نفسه منزلتها ، ويتواضع لله جل جلاله فيعبده حق العبادة ، فيصل لمرتبة الإيمان .

امتدح الله عباده المتواضعين و وعدهم بالأجر العظيم ، قال تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ . (١)

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .. (٢)

عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أمامة ، قال : «ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا تَسْمَعُونَ، أَلَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ الْبِدَاةَ مِنَ الْإِيمَانِ، إِنَّ الْبِدَاةَ مِنَ الْإِيمَانِ - يَعْنِي التَّقَطُّ» . (٣)

" قال الخطابي: البداءة سوء الهيئة والتجوز في الثياب ونحوها، يقال: رجل بادئ الهيئة إذا كان رث الهيئة واللباس (يعني التقطل): بقاف وحاء مهملة تكلف اليبس والبلى والمتقطل الرجل اليبس الجلد السيئ الحال ... " (٤)

وفي ذلك إشارة إلى الزهد والتعفف عن متاع الدنيا ، وليس المقصود عدم الاهتمام بالمظهر ، فالمسلم يتميز بمظهره الجميل اللائق ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ

(١) سورة الفرقان : الآية (٦٣) .

(٢) سورة المائدة : الآية (٥٤) .

(٣) أبادي : " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الترجل ، أول كتاب الترجل ، ص (١٧٠) .

(٤) المرجع السابق ، ص (١٧١) .

فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كَبِيرٍ قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكَبِيرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ". (١)

لكن "كره النبي صلى الله عليه وسلم الإفراط في التمتع من التدهن والترجيل على ما هو عادة الأعاجم وأمر بالقصد في جميع ذلك، وليس في معناه الطهارة والنظافة، فإن النظافة من الدين". (٢)

فالتواضع إنما هو من خصال المؤمنين .

٣ - عظم أجر المتواضع :

فالتواضع له اجر عظيم في الدنيا والآخرة :

التواضع دليل على محبة الله ومرضاته ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. (٣)

قال ابن كثير : "وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه،...". (٤)

فإن الله تعالى يمن على المؤمن المتواضعين بمحبته ، فيرفع درجاتهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ، ص (٨٩) .

(٢) أبادي : " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الترجيل ، باب البذاذة من الإيمان ، ص (١٧٠) .

(٣) سورة المائدة : الآية (٥٤) .

(٤) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٦٦) .

مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا ، عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ " . (١)

قال النووي : قوله صلى الله عليه وسلم : « ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » فيه وجهان : أحدهما يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه : والثاني أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعها فيها بتواضعه في الدنيا . (٢)

فالتواضع سبب لقبول في السماء فكذلك يكتب له القبول في الأرض ، قال تعالى : **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** . (٣)

فالتواضع هو السبيل لكسب قلوب الآخرين .

أن التواضع سبب في سعة الرزق ، فمخالطة الضعفاء من المساكين إنما هو من التواضع ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " ابْغُونِي فِي ضِعْفَاءِكُمْ فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنصَرُونَ بِضِعْفَانِكُمْ " . (٤)

أنه سبب في إجابة الدعاء ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " رَبُّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالنُّبُوبِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ " . (٥)

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب استحباب العفو والتواضع ، ص (١٤١) .

(٢) المرجع السابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب استحباب العفو والتواضع ، ص (١٤١) .

(٣) سورة آل عمران : الآية (١٥٩) .

(٤) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج ٥ ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في الاستفتاح بصعاليك المسلمين ، ج ٥ ، ص (٢٩٢) ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

(٥) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب فضل الضعفاء والخاملين ، ص (١٧٤) .

وللمتواضع الأجر العظيم في الجنة ، قال تعالى : ﴿ قَالَ أَلَمْ لَا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ . (١)

وعن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْتَصِرَ دَعَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي حُورِ الْعَيْنِ أَيَّتَهُنَّ شَاءَ، وَمَنْ تَرَكَ أَنْ يَلْبَسَ صَالِحَ الثِّيَابِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ تَوَاضَعًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَعَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي حُلِّ الْإِيمَانِ أَيَّتَهُنَّ شَاءَ» . (٢)

عن حارثة بن وهب الخزاعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كلٌ ضعيفٍ متضاعفٍ لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتُلٍّ جَوَاطٍ مستكبر» . (٣)

٤- باعث على الخلق الحسن وتجنب الخلق السيئ :

فالتواضع إنما يتولد من الأخلاق الفاضلة التي يتحلى بها المرء لأن حسن خلقه يحمله على التحلي بفضيلة التواضع ، وفي المقابل فالتخلي عن هذه الفضيلة سبب لتخلي عن سائر الخلق الفاضل ، فمن تخلى عنها فقد ابتلي بالكبر الذي يعد باعثا على الأخلاق السيئة من حقد وحسد وبذاءة لسان ، وقسوة قلب وغيرها ، لذا وجه الإسلام المسلم إلى التحلي بخلق التواضع من خلال تحذيره وتغييره من خلق الكبر وهو ضد التواضع.

فيقول تعالى : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ

(١) سورة الأعراف : الآية (٧٥-٧٦).

(٢) احمد بن حنبل : "مسند احمد" ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٤٢٨) .

(٣) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الكبر ، رقم الحديث (٦٠٧١) ، ص (٧٢٦٩) .

الْجِبَالِ طُولًا * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا. (١)

ويقول تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ. (٢)

فالتكبر : عبارة عن خلق باطن موجب لأعمال تظهر على الجوارح تسمى تكبراً ، فالتكبر يرى أن لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ، ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره ، فيحصل في قلبه اعتداء ، وهزة وفرح وعزة في نفسه . (٣)

والكبر آفة عظيمة تحرم صاحبها من الجنة ، فالإسلام حذر منه و بين أنه سبب في دخول النار، وأن التواضع سبب في دخول الجنة ، عَنْ حَارِثَةَ بِنِ وَهَبِ الْخَزَاعِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " أَلَا أُخِيرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلِّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةِ ، أَلَا أُخِيرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلِّ عَتَلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ " . (٤)

الجواظ : المستكبر في مشيته . (٥)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ " . (١)

" بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ " أي إنكار الحق ، واحتقار الناس، وذلك من سمات

(١) سورة الإسراء : الآية (٣٧).

(٢) سورة لقمان : الآية (١٨ - ١٩) .

(٣) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٣٤٤) .

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الكبر ، رقم الحديث (٦٠٧١) ، ص (٧٢٦٩) ، واللفظ له

النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، كتاب الجنة و صفته نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، ص (١٨٦) .

(٥) المرجع السابق .

(٦) المرجع السابق ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ، ص (٨٩) .

المتكبرين ... (١)

فالكبر يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين التي هي طريق إلى الجنة ،
فالتكبر يمنعه كبره لما يرى لنفسه من عزة ، من أن يحب للغير ما يحب لنفسه أو أن
يتواضع وهو من أخلاق المتقين ، وهو بسبب كبره سريع الغضب لا يتسامح ، فيورثه
ذلك الحسد والحقد ، والكذب ، والقسوة ، ورفض الحق تكبرا ، و الغيبة ازدياء ،
فما من خلق نعيم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ عزه، وما من خلق
محمود إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يفوته عزه، فمن هذا لم يدخل الجنة من في
قلبه متقال حبة منه. والأخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لا
محالة. وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له . (٢)

قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ﴾. (٣)

أي كذبت بها قلوبهم و استكبروا عن العمل بها فحرموا من الجنة وادخلوا النار. (٤)

ويقول تعالى : ﴿سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا
سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾. (٥)

فالتكبر سبب لصرف الإنسان عن معرفة الحق والإيمان به ففي هذه الآية
يتوعد الله من استكبر عن طاعته وعلى الناس بغير حق ، بأنه تعالى سيمنعهم فهم
كتابه وشريعته . (٦)

(١) المرجع السابق ، ص (٩٠).

(٢) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٣٤٤) .

(٣) سورة الأعراف : الآية (٣٦).

(٤) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (١٩٦) .

الشوكاني : " فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير " ، مرجع سابق

ج ٢ ، ص (٢٠٢).

(٥) سورة الأعراف : الآية (١٤٦).

(٦) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢٢٨).

وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَنْتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ .^(١)

ففي هذه الآيات يبين الله أن سبب عدم إيمان الكفار هو تكبرهم على المؤمنين الضعفاء حتى لا يكونوا في مرتبتهم ومساوون لهم .^(٢)

فاستكبار الكفار منعهم من الانقياد للحق حيث كانوا يرون أنفسهم أعلى مرتبة من مرتبة أنبيائهم ، فهم ذو جاه ومال يدعوهم ذلك للإعجاب بأنفسهم وبحالهم وبالتالي التكبر على الحق والأعراض عنه.

٤- التواضع من أفضل العبادات :

إن التواضع يعد من أفضل العبادات ، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: " إنكم لتغفلون عن أفضل العبادات، التواضع" .^(٣)

فالأجر المعد للمتواضع من دخول الجنة ورضى الله تعالى ومحبة خلقه وقبول دعائه وسعة رزق ، ونجاة من النار ، كلها ترفع درجة التواضع وتجعله من أفضل العبادات ، وذلك لأن العبد لا يتواضع إلا بعد أن يعرف الله حق معرفته فيجله سبحانه و يعبده حق عبادة ويؤدي حقوق المخلوقين عليه ، ويخشاه في السر والعلن ، فكل ذلك يجعله خاضعا لله تعالى في كل شأن من شؤونه.

الشوكاني : " فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢٤٤) .

(١) سورة الأعراف : الآية (٧٥-٧٦).

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢١١).

الشوكاني : " فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٢٢٠).

(٣) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٣٤٤).

" وقال يوسف بن أسباط: يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد. وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ما هو؟ فقال: أن تخضع للحق وتتقاد له ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته. وقال أبو علي الجوزجاني: النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد، فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة، وإذا أراد الله تعالى به خيراً لطف به في ذلك، فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصره الله تعالى، وإذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل، وإذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل." (١)

مظاهر التواضع :

أن مظاهر التواضع تظهر على المتواضع ويعرف بها ، ومن هذه المظاهر (٢):

- أن لا يحب أن يعظمه أحد ، سواء بالفعل أو القول ، فلا يحب أن يقوم له أحد ، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يحب أن يقف له أحد حيث نهى عن تعظيم المسلمين بعضهم البعض كالأعاجم ، ونهى عن تعظيمه بالمبالغة في المدح ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام " . (٣)

- المتواضع لا يمشي ومعه غيره يمشي خلفه ، فقد كان السلف يكرهون ذلك حتى لا يفتنوا ويدخلهم العجب ، فكانوا يؤدّبون أنفسهم على التواضع فينهون عن أن يمشي خلفهم أحد ، وقد كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا يعرف من عبيده (٤).

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص (٣٤٤) .

(٢) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٣٥٣ - ٣٥٩) .

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب الفضائل ، باب فضل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ، ص (١١١) .

(٤) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٣٥٣) .

- أن يحرص على زيارة غيره ويحصل من هذه الزيارة خير في الدين ، ومن ذلك عن عباد بن زاهر أبا رواع قال : سَمِعْتُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْطُبُ فَقَالَ : " إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ وَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانًا وَيَتَّبِعُ جَنَائِزَنَا وَيَغْرُؤُ مَعَنَا وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ وَإِنَّ نَاسًا يُعَلِّمُونِي بِهِ عَسَى أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَأَاهُ قَطُّ " . (١)

- أن لا يستتكف عن جلوس أحد قربه ، أو سيره معه وبالقرب منه ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " إِنْ كَانَتْ الْأَمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ " . (٢)

- أن لا يتحاشى مخالطة المساكين و الضعفاء والمرضى والمعوقين ، وهذا ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً . فَقَالَ : " يَا أُمَّ فُلَانِ انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك . فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها " . (٣)

- أن يقوم على خدمة نفسه بنفسه ، وخدمة أهل بيته ، ومن ذلك عن الأسود بن يزيد سألت عائشة رضي الله عنها ، مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي الْبَيْتِ قَالَتْ : " كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةٍ أَهْلُهُ فَإِذَا سَمِعَ النَّادَانَ خَرَجَ " . (٤)

- أن لا يتكبر فيمتنع عن تعاطي عمل حلال أي كان نوعه ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى النِّعَمَ ،

(١) سبق تخريجه ، ص (٢٧٤) .

(٢) سبق تخريجه ، ص (٢٧٥) .

(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب الفضائل ، باب قربه صلى الله عليه وسلم من الناس وتبركهم به وتواضعه لهم ، ص (٨٢) .

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب النفقات ، باب خدمة الرجل في أهله ، رقم الحديث (٥٣٦٣) ، ص (٦٤٦٣) .

فَقَالَ أَصْحَابُهُ : وَأَنْتَ ، فَقَالَ : نَعَمْ كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيضٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ . (١)

- أن يظهر أثر تواضعه في ملبسه ، عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسِ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ : " أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ تَرَكَ اللَّبَاسَ تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُغُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلِّ الْإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا " . (٢)

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا فَقَالَتْ : " فَبِضِ رُوحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَيْنِ " . (٣)

- وان يحتمل الأذى من غيره وأخذ حقه وهو في الأصل يقدر على ذلك ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : " كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةُ فَأَدْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً قَالَ أَنَسٌ : فَتَنَزَّهْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةَ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَقَتْ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ " . (٤)

فموقف النبي صلى الله عليه وسلم يدل على غاية التواضع ، فقد أُوذِيَ من قبل هذا الأعرابي الجاهل حيث جرّه بردائه حتى احمرت صفحة عنقه صلى الله عليه وسلم ، وسمع منه كلام تجاوز حدود الأدب معه صلى الله عليه وسلم ، ورغم ذلك خفض له صلى الله عليه وسلم جناحه وسامحه وعفا عنه بل وأحسن إليه وقد كان قادر على أن يعاقبه ولكن تواضعه صلى الله عليه وسلم استلزم رحمته وحلمه والصفح عنه .

(١) المرجع السابق ، ج ٥ ، كتاب الإجارة ، باب رعي الغنم على قراريط ، رقم الحديث (٢٢٦٢) ، ص (٢٨٧٩) .
(٢) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب صفة القيامة ، ، باب منه ، ص (١٩٧) ، قال أبو عيسى : حديث حسن .
(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب اللباس ، باب الأكسية والخمائن ، رقم الحديث (٥٨١٧) ص (٧٠٠٥) .
(٤) سبق تخريجه ، ص (٢٥٩) .

وعكس هذه المظاهر السابقة يكون التكبر .

أسباب اكتساب مبدأ التواضع :

إن التواضع يتولد عن طريقان علمي وعملي (١) :

أما العلمي فيتولد من العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته وتعظيمه وإجلاله وأن العظمة والكبرياء لا تكون إلا له سبحانه ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا فَذَقْتُهُ فِي النَّارِ " . (٢)

كذلك يكتسب المسلم التواضع من معرفته بحقيقة نفسه وذلك بأن يعلم أصل خلقه فكان أصله من تراب ثم خلق من ماء مهين قدر فيتأمل في نفسه وتفصيلها ، في أصل خلقه ومراحل تكوينه ومدى ضعفه وحقارته وافنقاره إلى خالقه ومصيره ونهايته ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ . (٣)

فيتولد من ذلك كله خلق التواضع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة لعباده. فلا يرى له على أحدٍ فضلاً ولا يرى له عنده أحدٍ حقاً بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه.

أما الطريق العملي : فيكون بالتواضع لله بالفعل ولسائر خلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين من الأنبياء والصالحين فيحتذي بهم ، كذلك يبتعد عن أسباب التكبر مثل العجب والحسد والرياء والحقد ، فتثمر الكبر الباطن ثم تؤدي إلى الظاهر ،

(١) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩)

(٢) احمد بن حنبل : " مسند احمد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٤١٤) .

(٣) سورة المؤمنون : الآية (١٢ - ١٦) .

فالحقد يحمل على التكبر على من هو أفضل منه بسبب غضبه عليه لأنه سبقه ،
والحسد يحمل على التكبر على المحسود وإن لم يؤذ الحاسد فهو يتكبر عليه لأنه
أفضل منه ، والرياء يدعو إلى أخلاق المتكبرين حيث قد ينكر الشخص الحق أمام
الناس حتى لا يقول لا اعلم ، فيبعده ذلك عن التواضع والاعتراف بالحق .

آثار مبدأ التواضع :

- ١- الفوز بالدرجات العلى من الجنة والنجاة من النار .
- ٢- الفوز برضى الله تعالى وبالمكانة العالية في الدنيا .
- ٣- اكتساب محبة الآخرين .
- ٤- اكتساب مكارم الأخلاق وتجنب قبيحها .
- ٥- سبب لحسن الخاتمة .
- ٦- سبب لسلامة القلب من أمراضه الخطيرة ومن أهمها الحقد والحسد ...
- ٧- سبب لإجابة الدعاء .
- ٨- سبب للبركة في الرزق والعمر .

المبحث العاشر

مبدأ حفظ اللسان

حفظ اللسان مبدأ تربوي ثابت تصافت نصوص الكتاب والسنة في إثباته والتأكيد عليه وبيان أهميته واعتبرته مفتاح كل خير ومغلاق كل شر .

قال تعالى : ﴿... مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ...﴾. (١) فاللسان عليه حفظة يكتبون ويدونون كل ما يتكلم به الإنسان من خير أو شر، قال تعالى : ﴿...وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَقُولُونَ...﴾. (٢)

والتمسك بحفظ اللسان سبب للفلاح في الدارين ، قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾. (٣)

والنبي صلى الله عليه وسلم جعله أصلاً لكل خير ولكل شر ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت يا نبي الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل. ثم قرأ قوله تعالى ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ حتى بلغ ﴿يعملون﴾ ، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ فقلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد. ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فقلت له: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه فقال: كف عليك هذا. فقلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به. فقال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس

(١) سورة ق : الآية (١٨).

(٢) سورة الانطار : الآية (١٠ - ١٢) .

(٣) سورة المؤمنون : الآية (١ - ٣) .

على وجوههم في النار أو قال: على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم». (١)

قال الغزالي: "إن اللسان من نعم الله العظيمة...، فإنه صغير جرمه، عظيم طاعته وجرمه، إذا لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان،..." (٢)

ولأهمية هذا المبدأ، فقد افرد له العلماء أبواب وكتب في مؤلفاتهم فالبخاري وهو موضوع بحثنا افرد له باباً كاملاً في كتاب الرقائق وضمنه داخل باب الأدب.

مفهوم مبدأ حفظ اللسان:

ليبين معنى حفظ اللسان لابد أن ندرك معنى شقيه (الحفظ واللسان)، و فيما يلي بيان ذلك:

معنى الحفظ:

لغة: أصل الكلمة حفظ، وحفظت الشيء حفظاً أي حرسته، وحفظته أيضاً بمعنى استظهرته. والمحافظة: المراقبة. الحفيظ: المحافظ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾. (٣)... (٤)

اصطلاحاً: "الحفظ يقال تارة لهيئة النفس التي بها يثبت ما يود إليه الفهم وتارة لضبط في النفس وضده النسيان، وتارة لاستعمال تلك القوة فيقال حفظت كذا حفظاً ثم يستعمل في كل تفقد وتعهد ورعاية." (٥)

(١) احمد بن حنبل: "مسند احمد"، مرجع سابق، ج ٥، ص (٢٣١).

(٢) الغزالي: "إحياء علوم الدين"، مرجع سابق، ج ٣، ص (١٠٨).

(٣) سورة الأنفطار: الآية (١٠).

(٤) ابن منظور: "لسان العرب"، مرجع سابق، ج ٩، ص (٣١٩-٣٢١).

(٥) الراغب الأصفهاني: "المفردات في غريب القرآن"، مرجع سابق، ص (١٢٤).

معنى اللسان :

لغة : أصل الكلمة لسن ، و هو جارحة الكلام ، وقد يُكْنَى بها عن الكلمة فيؤنث ، واللسان يذكر ويؤنث ، والجمع ألسنة قوله تعالى : ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾^(١) واللسان المقول ، و اللغة ، والثناء ، والرسالة ، ويقال : رجل لسن بَيِّنُ اللِّسَنِ إذا كان ذا بيان وفصاحة....^(٢)

اصطلاحاً : اللسان جارحة في الفم تصلح للنطق والتذوق والبلع ، واللسان بمعنى : اللغة ، أو بمعنى الحجة ، أو الثناء ، كما في قوله تعالى : ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٣)^(٤)

قال الراغب : " اللسان الجارحة وقوتها ، قال تعالى : ﴿وَأَحْلَلْ عَقْدَةَ مِنْ لِسَانِي﴾^(٥) يعني به قوة لسانه فإن العقدة لم تكن في الجارحة ، وإنما كانت في قوته التي هي النطق ، ويقال لكل قوم لسان أي اللغة ، قال تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ﴾^(٦) وقال ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٧) - ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾^(٨) فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات و إلى اختلاف النغمات ، فإن لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر ."^(٩)

ولقد وردت كلمة للسان في القرآن الكريم في آيات كثيرة منها:

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ

(١) سورة الروم : الآية (٢٢).

(٢) ابن منظور : " لسان العرب " ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص (٢٧٠ - ٢٧٤).

(٣) سورة الشعراء : الآية (٨٤).

(٤) إبراهيم ، محمد إسماعيل : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، ط ٢ ، دار النصر للطباعة ، مصر ، القاهرة ، (د . ت) ، ج ٢ ، ص (١٨٢).

(٥) سورة طه : الآية (٢٧).

(٦) سورة مريم : الآية (٩٧).

(٧) سورة الشعراء : الآية (١٩٥).

(٨) سورة الروم : الآية (٢٢).

(٩) الراغب الأصفهاني ، : " المفردات في غريب القرآن " ، مرجع سابق ، ص (٤٥٠).

أَعْجَمِيَّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ» (١).

﴿... وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (٢).

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ...﴾ (٣).

﴿ادْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي *
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَقْفَهُوا قَوْلِي *...﴾ (٤).

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ
الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

﴿إِن يَنْقُضُوكُم كُفُورًا لَّكُمُ الْعَذَابُ أَلِيمٌ * وَإِن يَنْقُضُوكُم كُفُورًا لَّكُمُ الْعَذَابُ أَلِيمٌ * وَإِن يَنْقُضُوكُم كُفُورًا لَّكُمُ الْعَذَابُ أَلِيمٌ *
لَوْ تَكَفَّرُونَ * لَن تَنْفَعَكُم أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٦).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ
بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (٧).

والآيات السابقة دلت على أن القرآن الكريم استعمل اللسان لأربعة معان مفرداً
وجمعاً (٨):

١- اعتبار اللسان إحدى الحواس .

٢- عضو لتكلم .

(١) سورة النحل : الآية (١٠٣).

(٢) سورة مريم : الآية (٥٠).

(٣) سورة البلد : الآية (٨ - ١٠).

(٤) سورة طه : الآية (٢٤ - ٢٨).

(٥) سورة آل عمران : الآية (٧٨).

(٦) سورة الممتحنة : الآية (٢ - ٣).

(٧) سورة مريم : الآية (٩٦ - ٩٧).

(٨) عبد الباري داود : " اللسان بين ميزان الصمت والكلام " ، مرجع سابق ، ص (٢٤).

٣- وسيلة لنقل الأفكار .

٤- طريق الذكر الحسن .

وفي المعنى الأخير يقرن بكلمة صدق ، أي يقصد به لسان صدق وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا بِلسَانِكَ لِئُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ (١) ، أي أجرى الله القرآن الكريم على لسانه صلى الله عليه وسلم ، وأيضا ورد بمعنى الغيبة والنميمة قال تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (٢).

وقيل اللسان معناه : البيان عن علم الحقائق . (٣)

مفهوم مبدأ حفظ اللسان :

قال ابن حجر : " حفظ اللسان أي عن النطق بما لا يسوغ شرعا مما لا حاجة للمتكلم به ، ... " (٤)

أقسام الكلام :

وكلام اللسان لا يخرج عن أربعة أقسام كما قسمها الغزالي (٥) :

١- قسم هو ضرر محض .

٢- وقسم هو نفع محض .

٣- وقسم فيه ضرر ومنفعة .

(١) سورة مريم : الآية (٩٧).

(٢) سورة الأحزاب : الآية (١٩).

(٣) عبد الباري داود : " اللسان بين ميزان الصمت والكلام " ، مرجع سابق ، ص (٢٤) .

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الرقائق ، باب حفظ اللسان ، ص (٧٧٩٢).

(٥) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١١١) .

٤- وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة.

أما الذي هو ضرر محض فلا بدّ من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر.

وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران، فلا يبقى إلا القسم الرابع، فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع، وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتركية النفس وفضول الكلام امتزاجاً يخفى دركه فيكون الإنسان به مخاطراً.

مكانة مبدأ حفظ اللسان في التربية الإسلامية :

لحفظ اللسان مكانة عظيمة في التربية الإسلامية دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة وحثت عليه من خلال ما يأتي :

١- من صفات الأنبياء :

فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين تميز بهذه الصفة العظيمة وتجلت من خلال قوله تعالى : « **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** » . (١)

فالنبي صلى الله عليه وسلم تخلق بأداب القرآن التي تمثلت في الإسلام وشرائعه . (٢)
فجمع صلى الله عليه وسلم كل الأخلاق العظيمة ومن بينها صفة حفظ اللسان التي تجلت في سلوكه وشهد بها صحابته الكرام .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسرد سردكم هذا، يتكلم بكلام بينة فصل، يحفظه من سمعه » . (٣)

(١) سورة القلم : الآية (٤).

(٢) الطبري : " جامع البيان على تأويل القرآن " ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص (١٨) .

(٣) احمد بن حنبل : " مسند احمد " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص (٢٥٧) .

"ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر الناس صمتا في غير تكبير ، وأنصحهم للناس في غير تطويل .

ولقد جاءت نصوص القرآن الكريم بالقواعد العامة التي تتناول كثيراً من الفروع والمسائل وأوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فكان يتكلم بالكلمة الجامعة التي تتضمن المعاني الكثيرة ، وتشمل ما لا يحصى من المسائل ، فإذا فهمت معاني النصوص في الكتاب والسنة ، تبين أنها شاملة لعامة أفعال العباد .

فان حجية السنة ثابتة بالكتاب كما أن السنة بيان للكتاب ... (١)

٢- من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار :

إن اللسان مفتاح كل فضيلة وكل رذيلة على حد سواء وليس أدل من ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه " ...قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فقلت له: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه فقال: كف عليك هذا. فقلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به. فقال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار أو قال: على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم». (٢)

وعن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة». (٣)

وللحافظ للسانه منزلة عظيمة في الجنة ، عن أبي أمامة ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه». (٤)

(١) عبد الباري داود: " اللسان بين ميزان الصمت والكلام "، مرجع سابق ، ص (١٠١ ، ١٠٢) .

(٢) سبق تخريجه ، ص (٢٨٨) .

(٣) العسقلاني: " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الرقائق ، باب حفظ اللسان ، رقم الحديث (٦٤٧٤) ، ص (٧٧٩١) .

(٤) أبادي: " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق ، ص (١٢٩) .

فاللسان قد يرفع الإنسان إلى عليّن أو يسحقه إلى أسفل سافلين ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمةِ ما يتبينُ فيها، يزلُّ بها في النارِ أبعدَ مما بينَ المشرقِ». (١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمةِ من رضوانِ الله لا يُلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإن العبدَ ليتكلمَ بالكلمةِ من سَخَطِ الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم». (٢)

يقول الغزالي : " ... وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنه في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله، وإنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان. " (٣)

٣- اقتترانه بمبادئ عظيمة ، في الدين الإسلامي :

وقرن مبدأ حفظ اللسان بجملة من المبادئ المهمة في نصوص الشريعة ، فاقترانه بها دلالة على انه لا يقل أهمية عن هذه المبادئ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». (٤)

و عن أبي شريح الخزازي قال: سمع أذناي ووعاه قلبي النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: «الضيافة ثلاثة أيام جائزته. قيل: وما جائزته؟ قال: يومٌ وليلة. قال: ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الرقائق ، باب حفظ اللسان ، رقم الحديث (٦٤٧٧) ، ص (٧٧٩١) .
(٢) المرجع السابق ، رقم الحديث (٦٤٧٨) ، ص (٧٧٩١) .
(٣) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٠٨) .
(٤) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الرقائق ، باب حفظ اللسان ، رقم الحديث (٦٤٧٥) ، ص (٧٧٩١) .

فليقل خيراً أو ليسكت» (١).

فقرن بمبدأي حق الضيف و حق الجار بل وقدمه عليها ، وهذه المبادئ قرنت بعبادة الله تعالى في نصوص كثير كما سبق ، فهذا دلالة على أهمية ما اقترن بها من مبادئ .

٤- من كمال الإيمان :

فالإيمان نطق باللسان وإقرار بالقلب فلا يتحقق ولا يتبين من صاحبه إلا إذا اقر به قلبه و إنما يظهر أثر هذا الإقرار على الجوارح ، والتي من أهمها اللسان ، فاللسان ترجمان عملي ودلالة واضحة على سلامة القلب أو فساده ، فإن طابق ما في القلب من خير دل على صدق صاحبه وسلامة سريرته وإن دل على خلاف ذلك دل على سوء بطانة صاحبه ، وهذه سمة من سمات النفاق التي ذمها الله تعالى في كتابه ، قال تعالى : ﴿ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (٢) .

قوله : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ . يعني أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته (٣).

فالمناق يطهر عكس ما يبطن ، لأن الإيمان لم يتحقق عنده ، لذا فالمؤمن الحق يكون لسانه ترجمان لقلبه .

وعلى أساس مطابقة ما في القلب ، يجزى الإنسان ، فعن أبا ذر رضي الله عنه قال : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيتيه وقد استيقظ فقال : ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال :

(١) المرجع السابق ، رقم الحديث (٦٤٧٦) ، ص (٧٧٩١) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٦٧) .

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣٧٤) .

وإن زنى وإن سرق؟ قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي نر. وكان أبو نر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي نر. قال أبو عبد الله: هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم وقال: لا إله إلا الله، غفر له» (١).

فعلى المسلم أن يربي لسانه على مطابقة اعتقاده السليم و أن لا يقول إلا ما يعمل به ، قال تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢).

ففي هذه الآيات يعيب الله على أهل الكتاب والمنافقين فعلهم حيث أن أهل الكتاب كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر، الذي هو جماع كل خير و يأمرونهم بالصوم ، والصلاة ويدعون العمل بما يأمرون به الناس، ويخالفون ما يأمرون الناس به ، فعيرهم الله عز وجل ، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة . (٣)

وعن أبي وائل قال: «قيل لأسامة لو أتيت فلاناً فكلمته، قال: إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، إنني أكلمه في السر دون أن أفتح باباً لا أكون أول من فتحه، ولا أقول لرجل - أن كان عليّ أميراً - إنه خير الناس، بعد شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالوا: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أفتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت أمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية» (٤).

فحفظ اللسان من صفات المؤمنين التي امتدحوا بها في كثير من النصوص، قال

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١١، كتاب اللباس، باب الثياب البيض، رقم الحديث (٥٨٢٧)، ص (٧٠١٢).

(٢) سورة البقرة: الآية (٤٤).

(٣) ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، مرجع سابق، ج ١، ص (٧٣-٧٤).

(٤) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ٧، كتاب، باب صفة النار وأنها مخلوقة، رقم الحديث (٣٢٦٧)، ص (٣٨٤٨).

تعالى : ﴿قَدْ أَقْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
اللُّغُو مُغْرَضُونَ﴾. (١)

فالمؤمن الحق يحرص على حفظ لسانه من جميع الذنوب ابتداء من أعظمها وهو
الشرك ومن ثم سائر المعاصي إلى أدناها وهو قول مالا فائدة فيه . (٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت،...» . (٣)

وروي عن إبراهيم بن عبد العزيز التيمي قال : " المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر
، فإن كان كلامه له تكلم ، وإن كان عليه امسك عنه ، والفاجر إنما كلامه رسلا
رسلا". (٤)

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ ؟
قَالَ : «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» . (٥)

٥- سبب لكمال العمل وصحته :

حفظ اللسان سبب لكمال العمل وصحته ، ففساد اللسان قد يفسد عمل صاحبه ،
فهو سبب لفساد صيام المسلم وعدم قبوله أو كمال أجره ، عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ
فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشِرَابَهُ» . (٦)

(١) سورة المؤمنون : الآية (١ - ٣).

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٢٦) .

(٣) سبق تخريجه ، ص (١٨٠) .

(٤) ابن بي الدنيا ، أبي بكر عبد الله محمد بن عبيد : الصمت وحفظ اللسان ، تحقيق : محمد احمد
عاشور ، ط ٢ ، دار الاعتصام ، مصر ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ ، ص (٥٢) .

(٥) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، باب تفاضل
الإسلام ، ص (١٠) .

(٦) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ،
باب قول الله تعالى : { وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ } ، رقم الحديث (٦٠٥٧) ، ص (٢٢٤٩) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه». (١)

فالنبي صلى الله عليه وسلم حذر من عاقبة عدم حفظ اللسان على كمال صيام المسلم . وكذا نبه الله تعالى إلى ضرورة المحافظة على حفظ اللسان في الحج حتى يكمل الأجر للحاج ، قال تعالى : «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ». (٢)

٦- حفظ اللسان سبب لصيانة الجوارح عن الذنوب :

فعمل الجوارح إنما هو الترجمة العملية لما يصدر عن اللسان لحديث ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، رفته قال: «إذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ فَنَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فَيُنَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجْنَا». (٣)

وقال على رضي الله عنه : " اللسان قوام البدن ، فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح ، وإذا اضطرب اللسان لم تقم له جارحة " . (٤)

(١) المرجع السابق ، ج ٥ ، كتاب الصوم ، باب هل يقول إني صائم إذا شئتم ، رقم الحديث (١٩٠٤) ، ص (٢٤٧٤) .

(٢) سورة البقرة : الآية (١٩٧) .

(٣) المباركفوري : " تحفة الأحوذني شرح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في حفظ اللسان ، ص (١١٣) وذكر للحديث إسناده أخر حيث قال : حَتَّىٰ هَذَا ، أخبرنا أبو أسامة عن حماد بن زيد ، نحوه ولم يرفعه . وهذا أصح من حديث محمد بن موسى ، هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حماد بن زيد . وقد رواه غير واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعه .

(٤) ابن أبي الدنيا : " الصمت وحفظ اللسان " ، مرجع سابق ، ص (٥٢) .

٧- حفظ اللسان من أفضل الأعمال وأيسرها :

واللسان من أسهل الأعضاء انطلاقاً في الخير والشر لذا كان حفظ اللسان من أيسر الأعمال العبادات وأفضلها ، ومن أسهل أسباب حفظه هو لزوم الصمت .

قال ابن حجر:

" فالصمت المرغب فيه ترك الكلام الباطل وكذا المباح إن جر إليه والصمت المنهي عنه ترك الكلام في الحق لمن يستطيعه وكذا المباح المستوي الطرفين . " (١)

والتربية النبوية ركزت على الحث على فضيلة الصمت في أكثر من نص منها :
" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " . (٢)

ففي الصمت " جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة ، فقد ، قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (٣) ... " (٤)

وبذكر الله تعالى يحفظ المسلم لسانه وهو من أيسر الأعمال وأعظمها عند الله تعالى ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» . (٥)

قال سفيان الثوري :

" أول العبادة الصمت ، ثم طلب العلم ، ثم العمل به ، ثم حفظه ، ثم نشره " . (٦)

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية ، ص (٤٤١٦) .

(٢) سبق تخريجه ، ص (١٨٠) .

(٣) سورة ق: الآية (١٨) .

(٤) الغزالي: "إحياء علوم الدين" ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١١١) .

(٥) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الدعوات ، باب فضل التسيب ، رقم الحديث (٦٤٠٦) ، ص (٧٦٦١) .

(٦) ابن حبان البستي: "روضة العقلاء ونزهة الفضلاء" ، مرجع سابق ، ص (٤٧) .

٨ - حفظ اللسان من أسهل الطرق للبعد عن الفواحش :

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حِطَّةً مِنَ الزَّانِ أَنْ يَدْرِكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ: فزنا العين النَّظْرَ، وزنا اللسان المنطق، والنفسُ تتمنى وتشتهي، والفرج يُصدِّقُ ذلك كله ويكذِّبه». (١)

فاللسان قد يوقع المرء في أعظم الفواحش ، وقسوة القلب إنما هي سبب في الوقوع في فعل الفواحش، وسبب قسوة القلب كثرة الكلام مما يوقعه في الآثام فيستمرء عليها المرء، فعن ابن عمر رضي الله عنه ، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُكْثِرِ الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي». (٢)

٩ - حفظ اللسان دلالة على وفور العقل وحسن الخلق :

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤُنَ بِالْحَسَنَةِ الْسَيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾. (٣)

قال ابن كثير :

" وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ أي لا يخالطون أهله ولا يعاشرهم، بل كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ وقالوا لَنَا أَعْمَالُنَا

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٣، كتاب القدر، باب وحرام على قرية أهلكتها، رقم الحديث (٦٦١٢)، ص (٨٠٣).

(٢) المباركفوري: "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي"، مرجع سابق، ج ٧، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، ص (١١٧)، و الحديث حسنٌ غريب .

(٣) سورة القصص : الآية (٥٢-٥٥).

وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿١﴾ أي إذا سفه عليهم سفية وكلمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه، أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح، ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب، ولهذا قال عنهم إنهم قالوا ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي لا نريد طريق الجاهلين ولا نحبها. (١)

فالابتعاد عن اللغو ، والإعراض عن الجاهلين وعدم مجاراتهم في جدالهم ، إنما هو صورة للشخصية الإسلامية التي صاغتها التربية الإسلامية فهي حافظة للسانها ابتداءً ، وذلك إنما هو مظهر من مظاهر رفعة هذه الشخصية وسموا أخلاقها .

فحفظ اللسان لا يتأتى إلا من وافر العقل ، قال أبو حاتم : " لسان العاقل يكون وراء قلبه ، فإذا أراد القول رجع على القلب ، فإن كان له قال ، و إلا فلا ، والجاهل قلبه في طرف لسانه ، ما أتى على لسانه تكلم به ، وما عقل دينه من لم يحفظ لسانه". (٢)

وقال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾. (٣)

واللغو فارغ الحديث ، الذي لا طائل تحته ، ولا حاصل وراءه ، وهو الهذر الذي يقتل الوقت دون أن يضيف إلى القلب أو العقل زاداً جديداً ، ولا معرفة مفيدة ، وهو البذيء من القول الذي يفسد الحس واللسان ، فلقلب المؤمن ما يشغله عن اللغو من ذكر الله تعالى وتدبر آياته وتركية ضميره وعمارة الأرض وإصلاحها. (٤)

وقال عمر رضي الله عنه: أحبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم اسماً فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقاً، فإذا اخترناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة. (٥)

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٣٦٩) .

(٢) ابن حبان البستي : " روضة العقلاء ونزهة الفضلاء " ، مرجع سابق ، ص (٤٣) .

(٣) سورة المؤمنون : الآية (١ - ٣) .

(٤) قطب ، سيد : في ظلال القرآن ، ط ٩ ، دار الشروق ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، ج ٤ ، ص (٢٤٥٤) .

(٥) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٣٩) .

فحفظ اللسان من أعلى المراتب الخلقية .

آفات اللسان :

وللمكانة العظيمة التي تبوئها مبدأ حفظ اللسان في التربية الإسلامية تجلت لنا أهمية الحرص على حفظه ، وكذا تبرز أهمية أكثر إذا عرفت آفاته الخطيرة التي تجر إليها مزالقه والتفريط في حفظه والتهاون بزلاته ، فهو من أسهل الأعضاء انطلاقاً لذا كثرة آفاته الخطيرة والتي منها :

" الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهناك العورات ، فهذه آفات كثيرة وهي سياقة إلى اللسان لا تنقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان، والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب..." (١)

وقد ذكر الغزالي آفات اللسان وعددها في عشرون آفة و منها (٢) :

١- آفة الكذب :

معنى الكذب :

قال الراغب : " الصدق والكذب أصلهما في القول ماضياً كان أو مستقبلاً وعداً كان أو غيره من أصناف الكلام ...

والصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً ومتى أنخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً بل إما أن لا يوصف بالصدق ، وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب ، على نظيرين مختلفين كقول كافر إذا قال من غير اعتقاد محمد رسول الله ، فإن هذا يصح أن يقال صدق لكون المخبر عنه كذلك ، ويصح أن يقال كذب لمخالفة قوله ضميره ...

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص (١١١)

(٢) المرجع السابق ، (١١٢-١٦٣).

وقد يستعمل الصدق والكذب في كل ما يحق ويحصل في الاعتقاد نحو صدق ظني وكذب ، ويستعملان في أفعال الجوارح ، فيقال صدق في القتال إذا وقى حقه وفعل ما يجب وكما يجب ، وكذب في القتال إذا كان بخلاف ذلك " (١)

والكذب كما يقع في القول يقع في الفعل ، وهو أن يوهم الآخرين بحدوث شيء لم يحدث ، وقد يكون أشد خطر من القول ، ومثال ذلك قصة أخوة يوسف فقد وقعوا في الكذب القول والفعل (٢) ، قال تعالى : ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ * قَالُوا يَا أَبَتَانَا إِنَّا ذُهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّاتْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْراً فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ . (٣)

فالكذب من الذنوب العظيمة التي يقترفها للسان ، فهي أساس لكل الأعمال السيئة ، حيث نهبت التربية الإسلامية على مدى ضررها على المسلم في الدنيا والآخرة وحذرت منها وتوعدت الكاذبين بالعقاب الأليم ودعت إلى الابتعاد عن هذه الآفة بالالتزام بالصدق الذي يعتبر أساس كل خير و وعدت صاحبه بالأجر العظيم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّمَا يَقْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ . (٤)

فالكذب إنما هو من خصال شرار الخلق من الكفرة والملحدین المعروفين بالكذب عند الناس... (٥)

فالكذب يمثل الطريق الممهد لدخول النار كما أن الصدق الطريق الممهد لدخول الجنة ، فعن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ

(١) الراغب الأصفهاني : " المفردات في غريب القرآن " ، مرجع سابق ، ص (٢٧٧) .
(٢) الميداني : " الأخلاق الإسلامية و أسسها " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٥٢٩) .
(٣) سورة يوسف : الآية (١٦ - ١٨) .
(٤) سورة النحل : الآية (١٠٤ - ١٠٥) .
(٥) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٥٣٩) .

الصدق يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنِ الْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنِ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا. وَإِنِ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنِ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنِ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(١).

فالحديث حذر من الكذب بأسلوب تربوي فعال ومقنع حيث قابله بالصدق ، فوضح أثر كل من الصدق والكذب من خلال تسلسل منطقي ، فالصدق إنما هو سبب من أسباب الوصول إلى مرتبة البر الذي يشمل كل وجوه الخير - كما سبق - ^(٢) ، وهو الموصل لمرتبة التقوى .

فالإيمان إذا كان خلق الصدق متأسلا في نفسه ، فموقفه حتما من الإعلام عن الحقيقة الصدق ، ومن الحقائق أركان الإيمان ، فإذا سئل عنها أقر بها بعد أن يعلم أنها حق بالأدلة التي تثبت ذلك ، فهو مقر بها يخالف أهواءه مهما كانت جانحة إلى الإعلان الجحود والإنكار .

فالصدق يهدي إلى الإيمان الذي هو قاعدة التقوى الأساسية ، وقد آل إليه خلق الصدق ، فهو طريق ممد للجنة . ^(٣)

لذا امتدح الله عباده الصادقين في آيات كثيرة وربط فضيلة الصدق عندهم بالفضائل الصالحة الأخرى ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ... ﴾ . ^(٤)

وقد فرق الله تعالى بين الصديقين والشهداء فل ذلك على أنهما صنفان ولا شك أن الصديق أعلى مقاما من الشهيد . ^(٥)

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى : ﴿ لَيَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفُسًا أَلْتُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ { ... ، رقم الحديث (٦٠٩٤) ، ص (٧٢٩٠) .

(٢) سبق ، ص (٦٠) .

(٣) الميداني : " الأخلاق الإسلامية و أسسها " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٥٣٥ - ٥٣٦)

(٤) سورة الحديد : الآية (١٩) .

(٥) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٢٨٠) .

قال تعالى : ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. (١)

وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾ وما ذلك إلا لتمسكهم بالصدق. (٢)

قال تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾. (٣)

فالصدق أصل أعمال البر والدافع إليها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ ، أي هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم، لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال، فهؤلاء هم الذين صدقوا. (٤)

فالصدق صفة ملازمة لأهل الإيمان لحديث ، عن أبي أمامة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب». (٥)

والصدق من صفات الأنبياء التي امتدحهم بها في آيات كثيرة فألسنتهم لا تقول إلا صدقا قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقْوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾. (١)

(١) سورة الأحزاب : الآية (٢٣ - ٢٤)
(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٤٤٤).
(٣) سورة البقرة : الآية (١٧٧).
(٤) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (١٨٢).
(٥) احمد بن حنبل : " مسند احمد " ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص (٢٥٢).
(٦) سورة الحاقة : الآية (٤٤-٤٦).

"يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ﴾ أي محمد صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة،...» (١)

ودل الحديث السابق كذلك على أن الكذب يهدي إلى الفجور ، فالفجور في الأصل يعني الميل والانحراف عن الحق ، وفيه معنى الإقبال الشديد بتدفق إلى ارتكاب القبائح والمعاصي والآثام ، فمن كان الكذب خلقاً أصيلاً فيه هان عليه أن ينكر الحق ويدعي خلافه ، فإذا عرف أن أركان الإيمان حق بعد أن أُقيمت الأدلة البينة ، لم يجد حرجاً في نفسه أن ينكرها ، استجابة لأهواء نفسه ، وتلبية لشهواته ، ولم يجد حرجاً في نفسه أيضاً أن يعلن أن معتقداته الباطلة التي يظهر له بطلانها هي معتقدات صحيحة مطابقة للحقيقة والواقع ، وهو يعلم أنه يكذب على الحقيقة والواقع ، ويحاول إقناع الآخرين بأكاذيبه التي يفترها على الحقيقة والواقع ، كل هذا يفعله استجابة لأهواء نفسه ولشهواته.

ومعلوم أن الكفر بآركان الإيمان أفجر الفجور ، وقد ساعد عليه وهدى إليه خلق الكذب ، ولو أنه صادقاً - أي : كان خلق الصدق أصيلاً في نفسه لم يطاوعه على جحود الحق الذي ظهر له ، لكنه كان كاذباً فوجد في نفسه مفر من وجه الحق بافتراء الكذب .

فالمنافق يستطيع أن يتظاهر بالإسلام زوراً وكذباً ، ليحميه نفاقه من نقمة المسلمين في الدنيا ، أو ليظفر بمطامع مادية يشارك فيها المسلمين الصادقين ، وقد ساعده على ذلك خلق الكذب ، إذ جعله يركب في سلوكه أفجر الفجور وهو النفاق ، ولما كان النفاق أفجر الفجور كان المنافق في الدرك الأسفل من النار . (٢)

(١) ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم" ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٣٧٧).
(٢) الميداني: "الأخلاق الإسلامية وأسسها" ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٥٣٧ ، ٥٣٩).

فدل الحديث على أن الكذب مرتبط بأهل المعاصي و بأهل الكفر والنفاق ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَقْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ ﴾ . (١)

قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أولِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ * لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٢)

" أي لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه،... " (٣)

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ . (٤)

يخبر تعالى عن المنافقين أنهم لكاذبون فيما وعدو المسلمين به إما لأنهم قالوا لهم قولاً، ومن نيتهم أن لا يفوا لهم به، وإما لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه . (٥)

قال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ . (٦)

"يقول تعالى مخبراً عن المنافقين أنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك، ولهذا

(١) سورة النحل : الآية (١٠٥).

(٢) سورة الزمر : الآية (٣-٤).

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٤١) .

(٤) سورة الحشر : الآية (١١)

(٥) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٣٠٦) .

(٦) سورة المنافقون : الآية (١ - ٣) .

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ أي إذا حضروا عندك واجهوك بذلك، وأظهروا لك ذلك، وليس كما يقولون، ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله ، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ ، ثم قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي فيما أخبروا به وإن كان مطابقاً للخارج لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه، ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم.

وقوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفان الآثمة ليصدقوا فيما يقولون، فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالاً، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس، ولهذا قال تعالى: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ولهذا كان الضحاك بن مزاحم يقرأها ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ أي تصديقهم الظاهر جنة أي تقية يتقون به القتل،" (١)

وبذلك يظهر الأثر العظيم للكذب على المجتمع من إضلال أهله عن تمسكهم بالحق وزعزعة الثقة فيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان». (٢)

فاللسان الصادق إنما ينجي صاحبه من الهلاك في الدنيا والآخرة وقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم ذلك ومثاله، قصة كعب التي ضرب لنا من خلالها المثل العظيم في خلق الصدق وعاقبته ، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا

(١) ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم" ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٣٣١).

(٢) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ، كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى: لِيَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ رقم الحديث (٦٠٩٥) ، ص (٧٢٩١).

إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» (١).

فتخلف الصحابي كعب رضي الله عنه إنما كان إهمالاً ولم يكن معذور في تخلفه ، فأعترف بذنبه وخطأه للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه تمسك بفضيلة الصدق وعلم أن لا نجاة إلا بها ، فكان عاقبة صدقه أن غفر الله له، وهذا ما ورد في الحديث الطويل الذي أخرجه ابن كثير في تفسيره في طرف منه يقول: "وقلت يارسول الله: إنما نجاني الله بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، قال: فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاي الله تعالى، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله عز وجل فيما بقي." (٢).

" قال علي رضي الله عنه: أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة. وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: ما كذبت كذبة منذ شددت عليّ إزارى." (٣).

الأسباب الدافعة للكذب (٤):

- ١- دفع ضرر أو جلب منفعة .
- ٢- التشفي من عدو له .
- ٣- أن يكون عادة له .
- ٤- أن يقصد استعذاب حديثه واستظرافه من قبل الآخرين .

(١) سورة التوبة : الآية (١١٨-١١٩) .
(٢) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك ، رقم الحديث (٤٤١٨) ، ص (٥٠١٥) .
(٣) الماوردي : "مكارم الأخلاق" ، مرجع سابق ، ص (٣٢) .
(٤) الماوردي : "أدب الدين والدنيا" ، مرجع سابق ، ص (٢٥٥-٢٥٦) .

٥- حب التروؤس وذلك أن الكاذب يرى له فضلا على المخبر بما اعلمه به.

حكمه:

لا يخفى كما سبق بيانه أثار الكذب العظيمة على المجتمع المسلم لذا فالكذب محرم ، لما فيه من الزجر الشديد في نصوص الشريعة لما يترتب عليه من ضرر عظيم على الفرد والمجتمع . (١)

لكن لواقعية التربية الإسلامية لم تحرم الكذب على الإطلاق لأن المسلم قد يضطر إلى الكذب في بعض المواضع ولا يكون في ذلك ضرر بل مصلحة وهذه المواضع أقرتها الشريعة الإسلامية وحددتها يقول الغزالي : " اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر ... " (٢)

ويقول : " الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا، فالكذب فيه حرام، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحا، وواجب إن كان المقصود واجبا... " (٣)

وهذه الحالات تتضح من خلال الحديث الذي أخرجه مسلم : عن أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيرا ويئمي خيرا». (٤)

قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها. (٥)

(١) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٣٧).

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الكذب، وبيان المباح منه ، ص (١٥٧) .

(٥) المرجع السابق .

وقد يضطر الإنسان إلى الكذب في غير هذه المواضع الثلاث المرخص بها لذلك
أجاز العلماء بأن يستعمل المعارض :

قال الجوهرى: " هو خلاف التصريح، وهو التورية بالشيء عن الشيء،... " (١)

وقال الراغب: "التعريض كلام له وجهان في صدق وكذب، أو باطن
وظاهر،... " (٢)

قال ابن حجر : " والأولى أن يقال: كلام له وجهان يطلق أحدهما والمراد
لازمه،... " (٣)

ومثاله قصة أم سليم كما في الحديث ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:
«اشتكى ابن أبي طلحة، قال فمات وأبو طلحة خارج. فلما رأت امرأته أنه قد مات
هيأت شيئاً ونحنته في جانب البيت. فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد
هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح. وظن أبو طلحة أنها صادقة. قال فمات.
فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبي صلى
الله عليه وسلم، ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهما، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما». قال سفيان: فقال رجل
من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولادٍ كلهم قد قرأ القرآن. (٤)

و أورد البخاري طرف من هذا الحديث تحت باب المعارض مندوحة من
الكذب - أي والمعنى أن في المعارض من الاتساع ما يغني عن الكذب - كشاهد
لترجمة ، قال ابن حجر : " وشاهد الترجمة منه قول أم سليم " هداً نفسه ؛ وأرجو أن

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب
المعارض مندوحة عن الكذب ، ص (٧٣٩٦)
(٢) الراغب الأصفهاني: "المفردات في غريب القرآن" ، مرجع سابق ، ص (٣٣١).
(٣) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ،
باب المعارض مندوحة عن الكذب ، ص (٧٣٩٦).
(٤) المرجع السابق ، ج ٣ ، كتاب الجنائز ، باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة ، رقم الحديث
(١٣٠١) ، ص (١٧٤٧).

قد استراح " فإن أبا طلحة فهم من ذلك أن الصبي المريض تعافى، لأن قولها " هداً " مهموز بوزن سكن ، والنفس بفتح الفاء مشعر بالنوم، والعليل إذا نام أشعر بزوال مرضه أو خفته، وأرادت هي أنه انقطع بالكلية بالموت، وذلك قولها " وأرجو أنه استراح " فهم منه أنه استراح من المرض بالعافية، ومرادها أنه استراح من نكد الدنيا وألم المرض، فهي صادقة باعتبار مرادها، وخبرها بذلك غير مطابق للأمر الذي فهمه أبو طلحة، فمن ثم قال الراوي " وظن أنها صادقة " أي باعتبار ما فهم هو. (١)

وعد ابن حجر الحديث أصل على جواز استعمال المعارض ومحل الجواز فيما يخلص من الظلم أو يحصل الحق، وأما استعمالها في عكس ذلك من إبطال الحق أو تحصيل الباطل فلا يجوز. (٢)

أنواع الكذب :

الكذب يتخذ أشكال عدة ، وبعضها خطير يسبب أضرار وخيمة على الفرد والمجتمع المسلم ، لذا نجد النصوص الشرعية خصته بالذكر وحذرت منه وهذه الأنواع كما يلي :

١- الكذب على الله تعالى :

من أعظم أنواع الكذب هو الكذب على الله تعالى ، فالله تعالى هو المشرع والمسير لهذا الكون على الوجه الأكمل بما تقضيه مصلحته ، فهو الخالق وحده سبحانه ، لذا فالكذب عليه سبحانه يعد أعظم الذنوب وأقبحها ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ . (٣) فمن الكذب عليه سبحانه تكذيب وعده وآياته فالله تعالى في هذه الآيات يخبر عن الكفار وتكذيبهم وعدم إقرارهم بوحدانيته سبحانه والإشراك به. (٤)

(١) المرجع السابق، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب المَعَارِضُ مَدْرُوحَةٌ عَنِ الْكُذْبِ ، ص (٧٣٩٦) .

(٢) المرجع السابق ، ص (٧٣٩٧) .

(٣) سورة الصف : الآية (٧) .

(٤) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٣٢٥) .

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمْ كَذِبًا هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (١)

فمن الكذب على الله سبحانه وتعالى الابتداع في الدين ، قال ابن كثير :

"ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي، أو حلل شيئاً مما حرم الله، أو حرم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه... " (٢)

قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾. (٣)

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. (٤)

فمن الكذب على الله تعالى تحريف كتبه كما فعل فريق من اليهود ، حيث أضافوا وشرعوا في كتبهم ونسبوه إلى الله تعالى ، فأنزل الله تعالى الآيات التي تبين شنيع فعلهم وتنوعدهم في الآخرة بالعذاب الأليم . (٥)

قال أهل العلم على أن الكذب على الله تعالى إنما هو مخرج عن الملة حيث سوي بينه وبين الكافر في نصوص متعددة في القرآن والسنة ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَهُمْ قَالُوا هَذَا بَشَرٌ أَمْثَلُ بَشَرِكُمْ فَاسْتَعْجَلُوا بِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾. (٦)

(١) سورة النحل : الآية (١١٦) .

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٥٤٢) .

(٣) سورة النور : الآية (١٥) .

(٤) سورة آل عمران : الآية (٧٨) .

(٥) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣٣٠) .

(٦) سورة الأعراف : الآية (٣٧) .

٢ - الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم :

حذرت النصوص الشرعية من الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، فالسنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع لهذا الدين الحنيف الذي هو منهج حياة المسلم ، فالكذب على النبي صلى الله عليه وسلم ليس كالكذب على غيره ، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو المخبر عن ربه لذا كان الكذب عليه كالكذب على الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ . (١)

" ففعله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا ، ولهذا قال ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن ، فيسلمون لذلك تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة ، ... " (٢)

فالانقياد لأمره صلى الله عليه وسلم يقتضي عدم التجري في الكذب عليه .

قال تعالى : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «سَمَّوْا بِاسْمِي ، وَلَا تَكْتَبُوا بِكُنْيَتِي . وَمَنْ رَأَىٰ فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَىٰ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمْتَلُّ فِي

(١) سورة النساء : الآية (٦٤ - ٦٥) .

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٤٦١) .

(٣) سورة الأنعام : الآية (١٤٤) .

صُورَتِي. وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (١).

٣- شهادة الزور :

معنى شهادة الزور : الزور أي الكذب ، وشهادة الزور عند الفقهاء هي :
الشهادة بالباطل عمداً . (٢)

" إن الأصل في الشهادة أن تكون سنداً لجانب الحق ، ومعينة للقضاء على إقامة العدل ، والحكم على الجناة الذين تتحرف بهم أهواءهم وشهواتهم فيظلمون أو ييغون ، أو يأكلون أموال الناس بالباطل ، فإذا تحولت الشهادة عن وظيفتها ، كانت سنداً للباطل ، ومضلة للقضاء ، حتى يحكم بغير الحق ، استناداً إلى ما تضمنه من إثبات." (٣)

فلاضرار شهادة الزور على الفرد والمجتمع شددت نصوص الكتاب والسنة في التحذير منها، قال تعالى : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحْلَتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ . (٤) فانه تعالى حذر من الرجس و جعل منه شهادة الزور (٥) ، وقرن شهادة الزور بأعظم الذنوب على الإطلاق وهو الشرك بالله تعالى .

وأثنى الله تعالى على عباده الذين يشهدون بالحق حفاظاً على مصلحة المجتمع، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنَ وَاجْعَلْنَا لِمَنْتَقِينَ إِمَامًا﴾ (١)

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث (١١٠) ، ص (٢٦٧) .

(٢) أبو جيب ، سعدي : القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً ، ط ١ ، دار الفكر ، سوريا ، دمشق ، ١٤١٩ هـ ، ص (١٦١)

(٣) الميداني : " الأخلاق الإسلامية و أسسها " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٥٤٦)

(٤) سورة الحج : الآية (٣٠) .

(٥) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٠٧) .

(٦) سورة الفرقان : الآية (٧٢-٧٤) .

"والذين لا يشهدون شيئاً من الباطل، لا شركاء، ولا غناء، ولا كذباً ولا غيره، وكلّ ما لزمه اسم الزور، لأن الله عمّ في وصفه إياهم، أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يُخصّ من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر أو عقل." (١)

ولعظم خطر شهادة الزور على أفراد المجتمع فيما يتعلق بهضم حقوقهم وظلمهم عدت من الكبائر واقتترنت بالشرك، فعن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أنبّكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال ثلاثاً: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدِينَ. وكان متّكئاً فجلس فقال: ألا وقولُ الزُّورِ. وشهادةُ الزورِ. ألا وقولُ الزورِ. وشهادةُ الزورِ. فما زال يقولها حتى قلتُ لا يسكتُ». (٢)

٤- القذف بالباطل :

والإسلام حريص على الشخصية المسلمة من أن تمس ولو في سمعتها ، لذا حذر من نوع آخر من الكذب وهو القذف بالباطل ، وهو يعني اتهام الناس في أعراضهم ، مما يعرضهم لتلطيح السمعة بالإضافة إلى إثارة الفاحشة فكثرة ذكرها تهونها في نفوس الناس فيصبح الإقدام عليها سهلاً ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ . (٣)

" فهذا تأديب ... لمن سمع شيئاً من الكلام السيئ، فقام بذهنه شيء منه وتكلم به فلا يكثر منه ولا يشيعه ويذيعه، فقد ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي بالحد، وفي الآخرة بالعذاب ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

(١) الطبري: "جامع البيان على تأويل القرآن"، مرجع سابق، ج ١١، ص (٤٩).

(٢) سبق تخريجه، ص (٧٠).

(٣) سورة النور: الآية (١٩).

تَعْلَمُونَ﴾ أي فردوا الأمور إليه تترشدوا. (١)

فالإسلام يريد مجتمعا نظيفا خاليا من الفاحشة حتى من نكرها ، فحذرت نصوص الشريعة من الإقدام على هذا النوع من الكذب وتوعدت صاحبه بالعذاب في الدنيا وذلك بإقامة الحد قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢)

وفي الآخرة توعدته بالطرد من رحمة الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٣).

٥- اليمين الغموس :

اليمين الحلف ، قال الراغب : " اليمين في الحلف مستعارة من اليد باعتبار بما يفعله المعاهد والمخالف وغيره ، قال تعالى : ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ (٤) ... " (٥)

وسبب تسميتها بالغموس لأن الناس في الجاهلية كانوا إذا أرادوا أن يتعاهدوا غمسوا أيديهم في جفنه فيها طين أو رماد تأكيدا لليمين ، فسميت تلك اليمين إذا غدر صاحبها غموسا لكونه بالغ في نقض العهد وكأنها على هذا مأخوذة من اليد المغموسة. (٦)

(١) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٥٩) .

(٢) سورة النور : الآية (٤ - ٥) .

(٣) سورة النور : الآية (٢٣ - ٢٥) .

(٤) سورة القلم : الآية (٣٩) .

(٥) الراغب الأصفهاني : " المفردات في غريب القرآن " ، مرجع سابق ، ص (٥٥٣) .

(٦) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الأيمان ، باب اليمين الغموس ، ص (٨٠٩٥) .

وقال ابن التين: اليمين الغموس التي ينغمس صاحبها في الإثم ... (١)

وهي من أعظم الذنوب التي حذر منها الإسلام قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». (٢)

فيتوعد الله تعالى في الآية بالعذاب الأليم للذين يتخذون أيمان كاذبة فاجرة مقابل عروض دنيوية زاهدة فانية .. (٣)

ولعظم ضررها على المجتمع المسلم فهي من الكبائر حيث اقترنت بالشرك بالله تعالى ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الكبائر الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس». (٤)

٦- الوعد الكاذب :

ما أسرع ما يزل اللسان بوعده لا يقدر أو قد يتساهل بالوفاء به ، ولا يتأتى الحرص على خلاف ذلك إلا من الصادقين في الوعود ، فقد أثنى الله تعالى على عباده الموفون بالعهود ، قال تعالى: «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ». (٥)

فجعل الله تعالى الوفاء بالعهد من ضمن أعمال البر التي امتن بها على عباده المؤمنين .

(١) المرجع السابق ، ص (٨٠٩٥).

(٢) سورة آل عمران : الآية (٧٧).

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣٢٩) .

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الإيمان

والنذور ، باب اليمين الغموس ، رقم الحديث (٦٦٧٥) ، ص (٨٠٩٥) .

(٥) سورة البقرة : الآية (١٧٧) .

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ (١).

فامتدح الله تعالى رسوله إسماعيل عليه السلام وذلك بسبب اتصافه بخصلة الصدق والوفاء بالعهد فهما صفتان متلازمتان وهما من صفات الأنبياء عليهم السلام (٢).

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٣).

قال ابن كثير في تفسير الآية: "إن في الآية إنكار على من يعد وعداً أو يقول قولاً لا يفي به، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً." (٤)

فالوعد الصادق علامة من علامات الإيمان ، والوعد الكاذب إنما هو علامة من علامات النفاق ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» (٥)

وكان ابن مسعود لا يعد وعداً إلا أن يقول إن شاء الله من شدة ورعه رضي الله عنه. (٦)

فعلى المسلم إن لا يعد إلا أن يكون قادراً وعازماً على الوفاء بوعده .

آثار آفة الكذب :

آفة الكذب إنما هي آفة خطيرة يترتب عليها أضرار وخيمة على الفرد والمجتمع المسلم منها :

- (١) سورة مريم : الآية (٥٤) .
- (٢) الطبري : " جامع البيان على تأويل القرآن " ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص (٩٤) .
- (٣) سورة الصف : الآية (٢-٣)
- (٤) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٣٢٢) .
- (٥) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، علامة المنافق ، رقم الحديث (٣٣) ، ص (١٢١) .
- (٦) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٣٣) .

- سبب لتعرض لسخط الله وخسران الآخرة.
- " انعدام الثقة في المعاملات داخل المجتمع مما يجر إلى التشاحن والتشاجر .
- يترتب على الكذب مآسى كثيرة من هدم للبيوت وقتل النفوس البريئة وتوسيع شقة الخلاف بين الأهل والأقارب والأصدقاء واشتعال نار الحرب التي لا هوادة فيها ولا تقف عند حد ". (١)
- دلالة على سوء الخلق ، فصاحبه بعيد عن المروءة ، شرف النفس لخداعه الآخرين .
- الكاذب منبوذ في المجتمع .

٢- آفة الغيبة :

معنى الغيبة :

الغيبة كما قال العلماء هي : ذكر المرء بما يكره في غيبته ، و للغزالي: ذكر المرء بما يكرهه، سواء كان ذلك في بدن الشخص أو دينه أو دنياه أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته باللفظ أو بالإشارة والرمز،... (٢)

والنبي صلى الله عليه وسلم وضحاها بقوله : «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قالوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اِغْتَبَبْتَهُ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَقَدْ بَهْتَهُ». (٣)

(١) العبادي ، عبد الله عبد الرحمن : من الآداب والأخلاق الإسلامية ، المكتبة العصرية ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، ص (٢٣٥) ،
 (٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الغيبة ، ص (٧٢٤٤) .
 (٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الغيبة ، ص (١٤٢) .

وقد فرق الحسن بن علي رضي الله عنهما بينها وبين الأفك و البهتان ، فقال: " ذكر الغير ثلاثة : الغيبة ، والبهتان ، الأفك ، وكل في كتاب الله عز وجل ، فالغيبة أن تقول ما فيه ، والبهتان أن تقول ما ليس فيه ، والأفك أن تقول ما بلغك " .^(١)

وحكمها :

محرم بإجماع المسلمين وهو كبيرة من الكبائر لورود عذاب القبر فيها .^(٢)

" وقد تباح الغيبة في كل غرض صحيح شرعا حيث يتعين طريقا إلى الوصول إليه بها: كالظلم، والاستعانة على تغيير المنكر، والاستفتاء، والمحاكمة، والتحذير من الشر، ويدخل فيه تجريح الرواة والشهود، وإعلام من له ولاية عامة بسيرة من هو تحت يده، وجواب الاستشارة في نكاح أو عقد من العقود، وكذا من رأى متفقا يتردد إلى مبتدع أو فاسق ويخاف عليه الاقتداء به، وممن تجوز غيبتهم من يتجاهر بالفسق أو الظلم أو البدعة... " .^(٣)

ومما يدل على ذلك أن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذن رجلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ائذنوا له، بنس أخو العشيرة أو ابن العشيرة. فلما دخل الآن له الكلام. قلت يا رسول الله قلت الذي قلت ثم أنت له الكلام. قال: أي عائشة، إن شر الناس من تركه الناس - أو ودعه الناس - اتقاء فحشه» .^(٤)

آثارها :

إن الغيبة المحرمة آفة عظيمة تؤدي إلى عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة لما فيها من هتك أعراض الناس وتشويه سمعتهم وإشاعة الفاحشة والكراهة والبغضاء بين أفراد المجتمع ، والتعرض لمقت الله تعالى وسخطه في الدنيا

(١) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٤٤) .

(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الغيبة ، ص (٧٢٤٥) .

(٣) المرجع السابق ، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب ، ص (٧٢٤٧) .

(٤) المرجع السابق ، رقم الحديث (٦٠٥٤) ، ص (٧٢٤٧) .

والآخرة ، لذا حذرت نصوص الكتاب والسنة منها وتوعدت مرتكبها بالعذاب الأليم في الآخرة قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾. (١)

" وقد ورد فيها الزجر الأكيد، ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت كما قال عز وجل: ﴿ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ أي كما تكرهون هذا طبعاً فاكروهه ذلك شرعاً، فإن عقوبته أشد من هذا، وهذا لتنفير والتحذير منها. " (٢)

فهذا تشبيهه تشمئز و تنفر منه الطبيعة الإنسانية السوية، كذلك فصلت النصوص في بيان عاقبة مرتكبها في الآخرة ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعدبان في قبورهما، فقال: يعدبان، وما يعدبان في كبيرة، وإنه لكبير: كان أحدهما لا يستتر من البول، وكان الآخر يمشي بالنميمة، ثم دعا بجريدة فكسرها بكسرتين - أو ثنتين - فجعل كسرة في قبر هذا وكسرة في قبر هذا، فقال: لعلة يخفف عنهما ما لم يببسا». (٣)

و عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَمَّا عَرَجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَخْمِشُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَفَلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا حَبِيبُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ». (٤)

(١) سورة الحجرات : الآية (١٢).

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (١٩٢) .

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الغيبة ، رقم الحديث (٦٠٥٢) ، ص (٧٢٤٧) .

(٤) أبادي : " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الأدب ، باب الغيبة ، ص (١٨٣) .

فهذه الآفة الخطير يعجل الله عقوبتها في البرزخ بالإضافة إلى العذاب في الآخرة .

أسبابها :

هناك أسباب تبعث على ارتكاب هذه الآفة لابد من معرفتها لعلاجها وهي باختصار: (١)

- الاستشفاء بذكر مساوئ الآخرين ، فغضب الشخص يوقعه بالتشفي في الآخرين عن طريق الغيبة.

- مجاملة الأقران في الكلام .

- تبرئة النفس مما نسب إليها بأنه مشاركة مع الغير على سبيل الاقتداء .

- حسد من يمدحه الناس ويثنون عليه بذكر عيوبه .

- الاستهزاء والسخرية من الآخرين .

- الغضب لله تعالى بإنكار مرتكب المنكر والتعجب منه بذكر فعله واسمه .

- تركية النفس بانتقاص الآخرين .

علاجها :

١- تقوى الله تعالى ، فليعلم المؤمن أن رضا الله تعالى مقدم على رضا المخلوقين وانه لو سخط المخلوقين ورضي الله تعالى لم يضره شيئاً ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال: «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُ كَلِمَاتٍ: إِحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، إِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تَجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْتَفْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَعَتِ الصُّحُفُ» . (٢)

(١) الغزالي: "إحياء علوم الدين"، مرجع سابق، ج ٣، ص (١٤٦ - ١٥٠).

(٢) سبق تخريجه، ص (١٣١).

٢- استحضار عاقبتها في الدنيا والآخرة ، فلا يضمن المغتاب أن يغتابه الآخرون ويهتكون ستره ، إلى جانب العذاب الأليم في الآخرة .

٣- التجمل بفضيلة الحلم التي تعينه على كظم غيظه والصبر على أذى الآخرين ، فالغضب معين له على انفلات لسانه وعدم امتلاكه، قال تعالى : «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» (١).

٤- تطهير القلب من الحسد والحقد والكبرياء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، أَوْ قَالَ الْعُشْبَ» (٢).

٥- أن يتبع المسلم المنهج الإسلامي الصحيح في الغضب للحق وأن لا يخلط بينه وبين الغيبة ، فيراعي في إنكاره للمنكر عدم ستر أخيه فلا يغتابه ، و لا يأمن هو من أن يأتي من يهتك ستره .

٦- على المسلم إنكار هذه الآفة الخطيرة في المجالس التي تقع فيها ، حتى لا يشترك في الإثم ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

كفارتها :

وللغيبة كفارة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» (٤).

(١) سورة آل عمران : الآية (١٣٤).

(٢) أبادي : " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الأدب ، باب في الحسد ، ص (٢٠١).

(٣) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الذب عن المسلم ، ص (٣٧) ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن.

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتاب المظالم ، باب مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ عِنْدَ الرَّجُلِ فَحَلَّلَهَا لَهُ هَلْ يُبَيِّنُ مَظْلَمَتَهُ ، رقم الحديث (٢٤٤٩) ، ص (٣٠٧٠) .

قال الغزالي : " فإذن لا بد من الاستحلال إن قدر عليه، فإن كان غائباً أو ميتاً فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات." (١)، و ذكر ابن القيم إن كفارتها التوبة إلى الله تعالى وذكر من اغتابه الشخص بصد ما اغتیب به ومدحه والثناء عليه . (٢)

٣- آفة النميمة :

معنى النميمة :

النميمة في الأصل نقل القول إلى المقول فيه ولا اختصاص لها بذلك بل ضابطها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو غيرهما سواء كان المنقول قولاً أو فعلاً وسواء كان عيباً أم لا ، وتشمل كذلك ما نقل بالقول أو الكتابة أو الرمز أو بالإيماء . (٣)

حكمها :

والنميمة آفة محرمة ومن الكبائر لورود الوعيد الشديد فيها . (٤)

قال النووي : " ويخرج منه إذا كان في النقل مصلحة شرعية كمن اطلع على شخص انه يؤدي شخصاً ظلماً فأخبره . " (٥)

والتربية الإسلامية تضمنت الكثير من النصوص التي حذرت وذمت النميمة لما لها من أضرار اجتماعية على الفرد والمجتمع ، فهي تشيع الحقد والحسد والكرهية ، تحدث الشقاق والتفرقة وفقدان الثقة بين أفراد المجتمع المسلم ، مما يؤدي الى ضعفه

(١) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٥٤).

(٢) ابن القيم الجوزية : " مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣١٦).

(٣) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٥٦) .

العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب ما يكره من النميمة ، ص (٧٢٤٩).

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الغيبة ، ص (٧٢٤٥).

(٥) المرجع السابق ، باب ما يكره من النميمة ، ص (٧٢٤٩).

، بالإضافة إلى التعرض لغضب الله تعالى في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: ﴿فَلَا تُطْعِ الْمُكْذِبِينَ * وَدُوا لَوْ تَذَهِنُ فَيُذْهِبُونَ * وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ * مَنَاعٌ لِلخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَسَمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾. (١) وقال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * ...﴾ . (٢) قال ابن كثير : " الهماز بالقول واللام بالفعل يعني يزدري الناس وينتقص بهم، " (٣)

قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يدخل الجنة قتات. » (٤)

" قوله: (قتات) بقاف ومثناة ثقيلة وبعد الألف مثناة أخرى هو النمام، ووقع بلفظ " نمام " في رواية أخرى عند مسلم، و الفرق بين القتات والنام أن النمام الذي يحضر فينقلها والقتات الذي يتسمع من حيث لا يعلم به ثم ينقل ما سمعه،... " (٥) .

والنميمة من الكبائر وسبب لعذاب القبر فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعدبان في قبورهما، فقال: يعدبان، وما يعدبان في كبيرة، وإنه لكبير: كان أحدهما لا يستتر من البول، وكان الآخر يمشي بالنميمة، ثم دعا بجريدة فكسرها بكسرتين - أو ثنتين - فجعل كسرة في قبر هذا وكسرة في قبر هذا، فقال: لعله يخفف عنهما ما لم يببسا». (٦)

أسبابها : (٧)

- "إرادة السوء للمحكي عنه .

(١) سورة القلم : الآية (٨ - ١٦)

(٢) سورة الهمزة : الآية (١)

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٤٩٩) .

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب ما يكره من النميمة ، رقم الحديث (٦٠٥٦) ، ص (٧٢٤٨) .

(٥) المرجع السابق ، ص (٧٢٤٨) .

(٦) سبق تخريجه ، ص (٣٢٣) .

(٧) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٢٥٦) .

- إظهار المحبة للمحكي له .

- التفرج بالحديث والخوض في فضول الكلام . "

علاجها :

التربية الإسلامية وجهت المسلم للواجب عليه تجاه هذه الآفة لاجتنائها من المجتمع المسلم فرسمت لأفراده طريق القضاء عليها، قال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (١) فعلى المسلم جملة من الأمور التي من خلالها يمكن إنكار هذه الآفة والقضاء عليها وعدم حصول الضرر منها فمن حَمَلت إليه النميمة عليه ما يلي (٢) :

- أن لا يصدق من نم له كما في الآية يقول ابن كثير : "يأمر تعالى بالنتبث في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله، فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه،..." (٣)

- أن لا يظن بمن نم عنه ما نقل عنه .

- أن لا يبحث عن تحقيق ما ذكر له .

- أن ينهى من نم إليه ويقبح فعله .

- أن يبغضه إن لم ينزجر .

- أن لا يرضى لنفسه ما نهى المنام عنه فينم هو على المنام فيصير ناماً .

" قال رجل لعبد الله بن عامر - وكان أميراً - بلغني أن فلانا أعلم الأمير أنني ذكرته بسوء، قال: قد كان ذلك، قال: فأخبرني بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك؟

(١) سورة الحجرات : الآية (٦).

(٢) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب ما يكره من النميمة ، ص (٧٢٤٨).

(٣) ابن كثير : "تفسير القرآن العظيم" ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (١٧٨) .

قال: ما أحب أن أشتم نفسي بلساني وحسبي إني لم أصدقه فيما قال ولا أقطع عنك الوصال." (١)

٤- آفة اللعن :

معنى اللعن :

قال الراغب : " اللعن الطرد والإبعاد على سبيل السخط وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه ومن الإنسان دعاء على غيره." (٢)

حكمه:

وهو غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعده عن الله تعالى ، والصفات المقتضية لللعن كما عدها العلماء بحسب النصوص الواردة في الكتاب والسنة هي (٣):
الكفر ، البدعة ، الفسق .

واللعن في كل واحدة على ثلاث مراتب:

١- اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والفسقه.

٢- اللعن بأوصاف اخص كقولك لعنة الله على اليهود و النصارى .

والأول والثاني جائز .

٣- اللعن لشخص معين كقولك لعنة الله على زيد وهذا لا يجوز إلا في حق شخص لعنه الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم بعينه كفرعون .

والأولى للمؤمن أن يتجنب اللعن ، فالإيمان منتفي عن صاحب هذه الآفة ، عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن

(١) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٥٧) .

(٢) الراغب الأصفهاني : " المفردات في غريب القرآن " ، مرجع سابق ، ص (٤٥١) .

(٣) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٢٤- ١٢٥) .

ليس باللعان ولا الطعان ، ولا الفاحش ولا البذي . (١) .

عن أبا الدرداء رضي الله عنه ، قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: « إنَّ العَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صُنِعَتْ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُعَلَّقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُعَلَّقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لَعَنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا» . (٢)

قال مكي بن إبراهيم: " كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا: يا ابن عون إنما نذكره لما ارتكب منك، فقال: إنما هما كلمتان تخرجان من صحتي يوم القيامة: لا إله إلا الله ولعن الله فلاناً... " (٣)

٥- الفحش والسياب وبذاءة اللسان :

معناها :

هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة " . (٤)

والقول الفاحش ينحصر في كل ما يمكن الكناية عن التصريح به حياء من ذكره كألفاظ الوقاع ، وقضاء الحاجة ، وذكر العيوب التي يستحي منها ، و القرآن تنزهت ألفاظه عن هذه الألفاظ فنكرها كناية كألفاظ الوقاع كناها بالمس والدخول ... ، و التصريح بهذه الأمور إنما يقع من أصحاب البذاءة والفحش في القول (٥)

وكذا من مظاهر فحش اللسان السباب ، قال الراغب : " السب الشتم الوجيع

... " (٦)

(١) احمد بن حنبل : " مسند احمد " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٤١٦) .

(٢) آبادي : " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الأدب ، باب في اللعن ، ص (٢٠٥-٢٠٦) .

(٣) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٢٦)

(٤) المرجع السابق ، ص (١٢٢) .

(٥) المرجع السابق .

(٦) الراغب الأصفهاني : " المفردات في غريب القرآن " ، مرجع سابق ، ص (٢٢٠) .

فالفحش و بذاعة اللسان إنما هي دلالة على سوء الأخلاق لذا هي من سمات الكفار ، فشبّه الله تعالى كلامهم بالشجرة الخبيثة، قال تعالى : ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ . (١)

فالكلمة الخبيثة تشمل كل كلمات الشر وشبهها الله تعالى بالشجرة الخبيثة التي ليس لها أصل راسخ وعروق متمكنة من الأرض ولا تنتج إلا كل خبيث ، كما أن الكافر وكلمته لا حجة له ولا ثبات فيه ولا خير يأتي منه أصلاً، ولا يصعد له قول طيب ولا عمل طيب. (٢)

قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً * إِنْ تُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ . (٣)

والمؤمن الحق ينزه لسانه عن الفحش والبذاءة والسباب لأنه متسم بالأخلاق العالية التي تبعده عن كل رذيلة، فالفحش وبذاءة اللسان ليس من سماته وإنما شبه الله تعالى كلامه بالشجرة الطيبة التي لا تنتج إلا كل ما هو طيب ، قال تعالى : ﴿الْمُتَرَّ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أكلهَا كُلَّ حِينٍ بِيَدِنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ . (٤)

فالتربية الإسلامية حين رسمت الشخصية الإسلامية التي يتحقق فيها الإيمان سمت بألفاظها فنفت عنها فحش اللسان وبذاءته ، فعن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن ليس باللعان ولا الطعان ، ولا الفاحش ولا البذي » . (٥)

والنبي صلى الله عليه وسلم هو القدوة لأُمَّته ، فهو جسد الشخصية الإسلامية المؤمنة ، فلسانه منزّه عن كل قبيح وتحري أرقى الألفاظ وأبعدها عن الفحش والبذاءة

(١) سورة إبراهيم : الآية (٢٦).

(٢) الشوكاني : " فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٠٦) .

(٣) سورة النساء : الآية (١٤٨-١٤٩).

(٤) سورة إبراهيم : الآية (٢٤-٢٥).

(٥) سبق تخريجه ، ص (٣٣٠) .

، فعن أنس رضي الله عنه قال: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا
لغاعاً ولا سبباً، كان يقول عند المعثبة: ماله ترب جبينه». (١)

وقد ربي أمته على ذلك كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «أن رجلاً
استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: بئس أخو العشييرة وبئس ابن
العشييرة. فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه. فلما
انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم
تطلعت في وجهه وانبسطت إليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة
متى عهدتني فاحشاً؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء
شره». (٢)

والسبب سبب في تضييع الحسنات فوق ما يبوء به صاحبه من الإثم ، فعن أبي
هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أندرون ما
المفليس؟» قالوا: المفليس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفليس من
أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا،
وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته وهذا
من حسناته. فإن قنيت حسناته، قبل أن يقضى ما عليه. أخذ من خطاياهم فطرحت
عليه. ثم طرح في النار». (٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
«المستبأن ما قالاً فعلى الباديء منهنما ما لم يعتد المظلوم» (٤)

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب،
باب ما يُنهى عن السباب واللعن، رقم الحديث (٦٠٤٦)، ص (٧٢٣٨).
(٢) المرجع السابق، باب لم يكن النبي فاحشاً ولا متفاحشاً، رقم الحديث (٦٠٣٢)، ص
(٧٢٢٤).
(٣) النووي: "صحيح مسلم بشرح النووي"، مرجع سابق، ج ١٦، كتاب البر والصلة، باب
تحريم الظلم، ص (١٣٥).
(٤) المباركفوري: "تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي"، مرجع سابق، ج ٦، كتاب البر
والصلة، باب الشتم، ص (٨٦)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

٦- آفة الاستهزاء والسخرية :

ومعناه :

"الاستهانة والتحقير والتبويه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء ... " (١)

وإذا كان الاستهزاء بحضرة المستهزئ به لم يسمى غيبة أما إذا لم يكن بحضرتة فهو غيبة وهذا الفرق بينها وبين الغيبة . (٢)

حكمها :

محرمة لورود النهي والوعيد الشديد فيها ونم وقبح فاعلها (٣) .

قال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ . (٤) أما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح بان يستهزئ به فهذا من جملة المزاح وليس من الاستهزاء والسخرية المحرمة ، فما يحرم من السخرية الاستهزاء إنما يكون مما يتأذى به . (٥)

إن التربية الإسلامية حذرت من الاستهزاء والسخرية من خلال نصوص الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْألقَابِ يَنسُ الاسمُ الفسوقُ بعدَ الإيمانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ . (٦)

قيل في معنى الآية : " إن الله عمّ بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية، فلا يحلّ لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك... لأن المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين

(١) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٣١) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (٣٦٤) .

(٤) سورة الهمزة : الآية (١)

(٥) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٣١) .

(٦) سورة الحجرات : الآية (١١) .

أمره، وطلب صلاحه، ومحبته الخير. (١)

قال ابن كثير : " وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي لا تلمزوا الناس. والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون كما قال تعالى: ﴿ وَيَلَّ لَكُلِّ هُمْزَةً لُْمَزَةً ﴾ والهمز بالفعل واللمز بالقول... (٢)

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَبَاعَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا يَبِغْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ . وَكُونُوا ، عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا . الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ . لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ . التَّقْوَى هُنَا . » وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : « بِحَسَبِ أَمْرِي مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ . كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ . دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ . » (٣)

قال سيد قطب رحمه الله : " إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدي القرآن مجتمع له أدب رفيع ، ولكل فرد كرامته التي لا تمس ، وهي من كرامة المجموع ، ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس ، لأن الجماعة كلها واحدة ، كرامتها واحدة .. وفي التعبير إحياء خفي بأن القيم الظاهرة التي يراها الرجال في أنفسهم ويرaha النساء في أنفسهن ليست هي القيم الحقيقية ، والتي يوزن بها الناس ، فهناك قيم أخرى ، وقد تكون خافية عليهم ، يعلمها الله ، ويزن بها العباد ... " (٤)

وقد نهى عن أحقر ما يستهزئ به تنبيهه على عظم هذه الآفة ومن ذلك حديث عن عبد الله بن زمعة قال: «نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يضحك الرجل مما يَخْرُجُ مِنَ الْأَنْفِ ، ... » (٥)

(١) الطبري : " جامع البيان على تأويل القرآن " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص (١٣١) .
(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص (١٩٠) .
(٣) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واختقاره ودمه وعرضه وماله ، ص (١٢٠ - ١٢١) .
(٤) سيد قطب : " في ظلال القرآن " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص (٣٣٤٤) .
(٥) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِنْ قَوْمٍ مِّنْ قَوْمٍ ... ﴾ ، رقم الحديث (٦٠٤٢) ، ص (٧٢٣٧) .

وشبه النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآفة بأمر عظيم لتفجير النفوس السوية منها وذلك عندما بين لعائشة رضي الله عنها عظم الذنب الذي اقترفته جراء استهزاءها بصفية رضي الله عنهما ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت «قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا، تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مَزَجَ بِهَا الْبَحْرُ لَمَزَجَتْهُ، قَالَ وَحَكَيْتُ لَهُ إِسَانًا، فَقَالَ: مَا أَحَبُّ أُنِّي حَكَيْتُ إِسَانًا وَإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا». (١)

فالسخرية والاستهزاء تورث العداة والحقد والضغينة بين المسلمين فالمستهزئ به تتأذى مشاعره ممن يُستهزئ به ، أو يكن العداة لمن استهزئ به ، وفعل المستهزئ دليل على ضعف الإيمان لتجرئه على أذية لمشاعر أخيه المسلم وعدم امتثال أمر الله تعالى ، بالإضافة إلى سوء الخلق ، فالمسلم ذو الخلق القويم يحترم مشاعر الآخرين ولا يتعمد إيذائهم أيا كان الأذى .

والسخرية و الاستهزاء إنما هي من صفات الكفار والفجار قال تعالى : ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . (٢)

" وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ إن الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن، والكبيرة القهقهة بذلك." (٣)

علاجها :

١- تقوى الله تعالى فهي جماع كل الخير ، فمخافة الله تعالى تردع المسلم عن السخرية والاستهزاء.

(١) أبادي : " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الأدب ، باب الغيبة ، ص (١٨٢) ، قال المنذري: وأخرجه الترمذي وقال حسن صحيح.

(٢) سورة البقرة : الآية (٢١٢).

(٣) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٣١).

٢- أن يستحضر المرء العذاب المعد للمستهزأ في الآخرة وإن لا يأمن أن يبتليه الله بما استهزئ به من الآخرين في الدنيا .

٣- أن يعلم المسلم إنما الناس عند الله متساوون وإن أفضلهم اتقاهم ، فالله تعالى لا ينظر إلى صورهم ولكن إلى قلوبهم ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ» وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ. (١)

٤- أن يتجمل المسلم بالأخلاق الفاضلة التي تحضه على احترام الآخرين وتبعده عن أيدائهم .

٧- آفة المدح :

معنى المدح :

"مدح : المدح : نقيض الهجاء وهو حُسْنُ الثناء... " (٢).

حكمه :

إن المدح جائز إذا ضبط بالضوابط الشرعية التي حددتها التربية الإسلامية من خلال النصوص الشرعية، فإذا تجاوزها المادح وقع في آفة المدح التي تلحق بأضرار وخيمة على المادح والممدوح فيصبح المدح مذموم ، فعلى المادح أن يلتزم بالمنهج النبوي الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث ، فعن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه «أن رجلاً ذكّر عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتى عليه رجلاً خيراً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ويحك، قطعت عنق صاحبك - يقوله مراراً - إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل: أحسبُ كذا وكذا، إن كان يرى أنه كذلك،

(١) النووي: "صحيح مسلم بشرح النووي"، مرجع سابق، ج ١٦، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ص (١٢٠-١٢١).
(٢) ابن منظور: "لسان العرب"، مرجع سابق، ج ٣، ص (٤٢٦).

والله حَسِيْبُهُ، وَلَا يُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا». قَالَ وَهَيْبٌ عَنْ خَالِدٍ «وَيْلَكَ» (١).

وقال الطيبي: " والمعنى فليقل أحسب أن فلانا كذا إن كان يحسب ذلك منه والله

يعلم سره لأنه هو الذي يجازيه، ولا يقل أتيقن ولا أتحقق جازما بذلك،... " (٢)

آثاره :

ذكر الغزالي ست آثار للمدح المذموم أربع في المادح واثنيتين في الممدوح (٣):

في المادح :

١- قد يفرط المادح في المدح فيجره ذلك للكذب .

٢- انه بالمدح قد يدخل الرياء فهو يظهر الحب وربما ليس بكذلك .

٣- انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل للاطلاع عليه لذا النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل: أحسبُ كذا وكذا، إن كان يرى أنه كذلك، والله حَسِيْبُهُ، وَلَا يُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا». (٤)

٤- أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق فيشجعه على ذلك .

و أما الممدوح فيضر من وجهين :

١- انه يدخله العجب والكبر وهما مهلكان .

٢- انه إذا أتى عليه بالخير فرح به وفتّر عن العمل ، وإنما ينشط بالعمل من يحس بنفسه التقصير ، قال عمر رضي الله عنه: " المدح هو الذبح. وذلك لأن المذبح هو الذي يفتّر عن العمل والمدح يوجب الفتور، أو لأن المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح؛ لذلك شبهه به. فإن سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب، باب ما يُكره من التماذح، رقم الحديث (٦٠٦١)، ص (٧٢٥٢).

(٢) المرجع السابق، ص (٧٢٥٤).

(٣) الغزالي: "إحياء علوم الدين"، مرجع سابق، ج ٣، ص (١٥٩ - ١٦٠).

(٤) سبق تخريجه، ص (٣٣٧).

والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوباً إليه. (١).

عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يُتني على رجل ويُطريه في المدحة، فقال: أهلكم أو: قطعتم ظهر الرجل». (٢).

والمدح المذموم أهلك الأمم السابقة ، قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ بْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَقْوَاهِمَ يُضَاهَهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَإِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ . (٣)

فهو أيضا قد يكون سبب في خلل العقيدة ، إذا كان في حق الأنبياء والصالحين ، عن عمر رضي الله عنه قال على المنبر: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تُظروني كما أظرت النصارى ابن مريم، فإنا أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله». (٤)

علاجه :

وعلى الممدوح أن لا يغتر بهذا المدح بل يعلم انه منقصة له لما بينا سابقا من الأضرار الناجمة عنه للممدوح ، فيوقن أن مادحه يستحق التراب كما في الحديث عن أبي معمر ، قال: قام رجلٌ يُتني على أمير من الأمراء. فجعل المقداد يحثي عليه التراب، وقال: أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن نحثي في وجوه المدّاحين

(١) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٦٠) .

(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب ما يُكره من التماذح ، رقم الحديث (٦٠٦٠) ، ص (٧٢٥٢) .

(٣) التوبة : الآية (٣٠ - ٣١) .

(٤) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله : واذكر في الكتاب مريم... ، رقم الحديث (٣٤٤٥) ، ص (٤٠٣٣) .

الثراب. (١)

" وقال بعض السلف: إذا مدح الرجل في وجهه فليقل: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرا مما يظنون، ... " (٢)

٨- الشعر:

معنى الشعر:

"الشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم ليت شعري وصار في التعارف اسما للموزون المقفى من الكلام." (٣)

حكمه:

يقول ابن حجر في حكم الشعر:

"والذي يتحصل من كلام العلماء في حد الشعر الجائز أنه إذا لم يكثر منه في المسجد، وخلا عن هجاء، وعن الإغراق في المدح والكذب المحض، والتغزل بمعين لا يحل، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على جوازه إذا كان كذلك... " (٤)

وقد السيدة عائشة رضي الله عنها أقرت الشعر، فقالت: " الشعر منه حسن ومنه قبيح، خذ الحسن ودع القبيح ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعارا منها القصيدة فيها أربعون بيتا، وسنده حسن... " (٥)

لذا كان فيما عدا ذلك لا يحل ويعتبر من آفات اللسان، فينبغي علي المسلم أن يهذب لسانه بالآداب الإسلامية التي تحث على حفظ اللسان حتى عن الإكثار من

(١) النووي: " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، كتاب الزهد والرقائق ، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخيف منه فتنة على الممدوح ، ص (١٢٧) .

(٢) العسقلاني: " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب ما يكره من التماذج ، ص (٧٢٥٥) .

(٣) الراغب الأصفهاني: " المفردات في غريب القرآن " ، مرجع سابق ، ص (٢٦٢) .

(٤) العسقلاني: " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ، ص (٧٣٣٠) .

(٥) المرجع السابق .

الشعر قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (١)

قال ابن كثير في معنى الآية : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أكثر قولهم يكذبون فيه. وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنه هو الواقع في نفس الأمر. فإن الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم، فيتكثرون بما ليس لهم، ...» (٢)

ولحديث ، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لأن يمتلىء جوف أحدكم قبحاً خيراً له من أن يمتلىء شعراً. (٣)

فهو هنا لا يعني تحريم الشعر وإنما إذا كان هو الغالب على الإنسان حتى يصده عن ذكر الله تعالى . (٤)

وهذا إنما ينبع من خصائص التربية الإسلامية التي تميزت بالوسطية في كل شي .

أسباب اكتساب مبدأ حفظ اللسان :

ولحفظ اللسان أسباب ، لا بد على المسلم أن يسلكها ليضمن لنفسه البعد عن مزلق لسانه وآفاته ، ومنها :

- (١) سورة الشعراء : الآية (٢٢٤ - ٢٢٧) .
- (٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٣٣٢) .
- (٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب ما يُكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله ... ، رقم الحديث (٦١٥٤) ، ص (٧٣٤٠) .
- (٤) المرجع السابق ، ص (٧٣٤٣) .

١ - التزام فضيلة الصمت إلا من ذكر الله تعالى :

فالصمت المرغوب فيه ترك الكلام الباطل وكذا المباح إن جر إليه دون ترك الحق. (١)

فمن أعظم أسباب حفظ اللسان التزام الإنسان بفضيلة الصمت إلا من ذكر الله تعالى ، فالإنسان مجبول على الكلام لا الصمت المطلق ، لذا فالمسلم إذا التزم الصمت المقرون بذكر الله تعالى حقق فضيلة الصمت ، بفضيلة الصمت يملك الإنسان لسانه وتحصل له سعادة الدارين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ صَمَتَ نَجَا» . (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : " ...ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمتْ» . (٣) .. فإذا لم يقل المسلم خيراً فمن الخير له أن يلتزم فضيلة الصمت فهو حكمه ، عن انس أن لقمان قال : " إن من الحكمة الصمت ، وقليل فاعله " (٤) .

وأكثر أسباب شقاوة الإنسان هو فلتات لسانه ، فإنه إذا أخرج الكلمة لم يملكها قال أبو حاتم : " الواجب على العاقل أن ينصف أذنيه من فيه ، ويعلم أنه إنما جعلت له أذنان وفم واحد وليسمع أكثر مما يقول ، لأنه إذا قال ربما ندم ، وإن لم يقل لم يندم ، وهو على رد ما لم يقل أقدر من على رد ما قال ، والكلمة إذا تكلم بها ملكته ، وإن لم يتكلم بها ملكها ... " (٥)

وسبب الفضل الكبير لصمت ، ما ينتج عن الكلام من الآفات الكثيرة للسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء ، والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فإن ذلك من غوامض العلم ففي الخوض خطر

(١) سبق ، ص (٣٠٠) .

(٢) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب صفة القيامة ، باب ... ، ص (٢١٥) ، قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

(٣) سبق تخريجه ، ص (١١٧) .

(٤) ابن حبان البستي : " روضة العقلاء ونزهة الفضلاء " ، ص ٤١ .

(٥) المرجع السابق ، ص (٤٥) .

وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته، هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار
والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في
الآخرة ، فقد ، قال الله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ . (١)

ففي الصمت النجاة من سائر أفات اللسان ، ففيه بعد عن الخوض في الباطل ،
فيما لا فائدة فيه ، والقول بغير علم ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ
السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ . (١)

وكثرة الكلام تقسي القلب ، الذي هو باعث على كل رذيلة ، والصمت يلين
القلب ويعينه على كل فضيلة ، فعن الفضيل بن عياض قال : " شيطان يقسيان القلب :
كثرة الكلام ، وكثرة الأكل " (٣)

فالصمت إلا من ذكر الله تعالى منجاة لصاحبه فذكر الله تعالى والمداومة عليه ،
فيه توطين النفس على الكلام الطيب وسكونها وطمأنينتها ، وزيادة الإيمان والأجر
العظيم من الله تعالى ، فهو من أسهل العبادات وأعظمها اجر ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ
إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ . (٤)

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا يُبَدَّلُ ﴾ . (٥)

(١) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١١١) .

(٢) سورة الإسراء : الآية (٣٦) .

(٣) ابن حبان البستي : " روضة العقلاء ونزهة الفضلاء " ، مرجع سابق ، ص (٤٣) .

(٤) سورة البقرة : الآية (١٥٦ - ١٥٧) .

(٥) سورة الرعد : الآية (٢٨ - ٢٩) .

عَنْ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ . لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ... » . (١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله العظيم ، سبحان الله وبحمده » . (٢)

٢- تجنب كثرة المزاح :

و من أسباب حفظ اللسان تجنب كثرة المزاح ففية يكثر الكلام مما يجر إلى الوقوع في أفات اللسان من كذب واستهزاء وسخرية وغير ذلك ، عن بهز بن حكيم ، حدثني أبي عن جدي قال ، : « سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ » . (٣)

فعلى المسلم أن يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم في مزاحه ، عن جابر بن سمرّة قال : « كَانَ فِي سَاقِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمُوشَةٌ وَكَانَ لَا يَضْحَكُ إِلَّا تَبَسُّمًا وَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قُلْتُ أَحَلَّ الْعَيْنَيْنِ وَلَيْسَ بِأَحَلَّ » . (٤)

وفي مزاحه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول إلا حقا ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَدَاعِبُنَا؟ قَالَ : إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » . (٥)

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، كتاب الأدب ، باب كراهة التسمية بأسماء ، ص (١١٧) .

(٢) سبق تخريجه ، ص (٣٠٠) .

(٣) المباركفوري : " تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج ٧ ، كتاب الزهد ، باب ماجا من تكلم بالكلمة ليضحك الناس ، ص (١٦) ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

(٤) المرجع السابق ، ج ١٠ ، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب في بشاشة النبي صلى الله عليه وسلم ، ص (٩٧) ، قال أبو عيسى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

(٥) أحمد بن حنبل : " مسند احمد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٣٦٠) .

فمن خالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم خرج عن المشروع ، لأنه يفضي إلى محاذير كثيرة منها اشتغال القلب باللهو وكثرة الضحك التي تميت القلب وقلة المهابة والوقار التي تتميز بها الشخصية الإسلامية.

وقد يفضي المزاح الكثير إلى إيذاء مشاعر الآخرين أو الوقوع في الغيبة التي تجر اللسان إلى الوقوع في النار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح، والمرء وإن كان صادقاً». (١)

و عن عبد الله بن السائب بن يزيد عن أبيه عن جدّه ، أنّه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لأعيا جاداً. وقال سليمان لعباً ولا جاداً، ومن أخذ عصاً إخيه فليردّها - لم يقل ابن بشار ابن يزيد - وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٢)

٣- الكلام الطيب :

وعندما يكون الصمت فضيلة فالكلام فيما هو خير فضيلة ، فمن أسباب حفظ اللسان أن يرقى المسلم بلسانه فلا يتلفظ إلا بالكلام الطيب ، والذي يتضمن كل ما فيه ذكر الله تعالى ، من كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم ، وما فيه دلالة على الخير والمعروف ، ونحوه .

فالكلام الطيب لا يأتي إلا بما هو طيب ، فقد شبهه الله تعالى بالشجرة الطيبة ، قال تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس

(١) المرجع السابق ، ص (٣٦٤).

(٢) أبادي : " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الأدب ، باب من يأخذ الشيء من مزاح ، ص (٢٨١) ، قال المنذري: وأخرجه الترمذي وقال حسن غريب .

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ . (١)

فالكلام الطيب فأل لصاحبه ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: كلمة طيبة». (٢)

والكلمة الطيبة من أسهل ما يتقي به المرء النار، عن عدي بن حاتم قال: «ذكر النبي صلى الله عليه وسلم النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه، ثم ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه. قال شعبة: أما مرتين فلا أشك، ثم قال: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم يكن فبكلمة طيبة». (٣)

والكلمة الطيبة صدقة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ سَلَامٍ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ يَعْينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ يُحَامِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، وَكُلَّ خَطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَدَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». (٤)

وبها ترفع درجات صاحبها ، قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ . (٥)

والكلمة الطيبة أسلوب تربوي ناجح ، حيث تتضمن الموعظة الحسنة ، فيها نجحت دعوة الأنبياء يقول تعالى مخاطبا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويرشده إلى

(١) سورة إبراهيم : الآية (٢٤ - ٢٦).

(٢) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الطب ، باب لا عدوى ، رقم الحديث (٥٧٧٢) ، ص (٦٩٦٣).

(٣) المرجع السابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب طيب الكلام ، رقم الحديث (٦٠٢٣) ، ص (٧٢١٩).

(٤) المرجع السابق ، ج ٦ ، كتاب الجهاد ، باب فضل من حمل متاع صاحبه ، رقم الحديث (٢٨٩١) ، ص (٣٥٤٩).

(٥) سورة فاطر : الآية (١٠).

الأسلوب الأمثل لدعوة إلى الله قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ . (١)

قال تعالى : ﴿ آدَهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * آدَهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ
إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ . (٢)

قال ابن كثير : " هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو
والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون
إلا بالملاطفة واللين،... " (٣)

والكلمة الطيبة سبب لقبول العمل ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ
حَلِيمٌ ﴾ . (٤)

وامتدح النبي صلى الله عليه وسلم قارئ القرآن ، فهو كلام طيب لا يخرج إلا
من طيب ، عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
«مَثَلُ الْمُؤْمَنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأْتْرَجَةِ طَعْمُهَا طِيبٌ وَرِيحُهَا طِيبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ
كَالْتَمْرَةِ طَعْمُهَا طِيبٌ لِارِيحِ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا
طِيبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَارِيحِ
لَهَا» . (٥)

(١) سورة النحل : الآية (١٢٥) .

(٢) سورة طه : الآية (٤٢-٤٤) .

(٣) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (١٤٦) .

(٤) سورة البقرة : الآية (٢٦٢-٢٦٣) .

(٥) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، كتاب التوحيد ، باب
قراءة الفاجر ، رقم الحديث (٧٥٦٠) ، ص (٩٣٨٥) .

فإذا تكلم المرء عليه أن يحرص على أن لا يتكلم إلا بالكلام الطيب الذي يزيد من درجاته عند الله ثم عند الناس .

٣- التزام المنهج الإسلامي الصحيح في الألفاظ :

ومن تمام حفظ اللسان أن وضعت التربية الإسلامية للمسلم منهج سليما ينتقي على أساسه ألفاظه لترقى بمستواه اللفظي اللائق ، فالنبي صلى الله عليه وسلم ربي أمته على تجنب الألفاظ التي قد تفدح في العقيدة أو تسف بالشخصية الإسلامية من الناحية الأخلاقية ، وذلك من خلال إقراره أو استخدامه لألفاظ معينة دلالة على مشروعيتها ، وحذر من ألفاظ غير مشروعة ، وأنكرها أن ذكرت في حضوره .

ومن أمثلة ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يفر فرأى صفة على باب خباتها كنيبة حزينة لأنها حاضت، فقال: عقرى، حلقي. لغة قريش. إنك لحابستنا. ثم قال: أكنت أفضت يوم النحر؟ يعني الطواف. قالت: نعم. قال: فاتفري إذا». (١)

فاستخدام النبي صلى الله عليه وسلم هذه الألفاظ دلالة على مشروعيتها ، فهي ليست بمعنى الدعاء وإنما التحريض على الفعل المذكور ومثلها قول: تربت يمينك. (٢)
عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل لقسيت نفسي». (٣)

قال ابن حجر : " قال الراغب: الخبث يطلق على الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبیح في الفعال، قلت: وعلى الحرام والصفات المذمومة القولية والفعلية." (٤)

(١) المرجع السابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «تربت يمينك» و«عقرى، حلقي» ، رقم الحديث (٦١٥٧) ، ص (٧٣٤٣).
(٢) المرجع السابق ، ص (٧٣٤٦).
(٣) المرجع السابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب لا يقل «خبثت نفسي» ، رقم الحديث (٦١٧٩) ، ص (٧٣٥٩) .
(٤) المرجع السابق ، ص (٧٣٥٩).

ويقول أيضا: " ويؤخذ من الحديث استحباب مجانية الألفاظ القبيحة والأسماء، والعدول إلى ما لا قبح فيه.... وفيه أن المرء يطلب الخير حتى بالفأل الحسن، ويضيف الخير إلى نفسه ولو بنسبة ما، ويدفع الشر عن نفسه مهما أمكن، ويقطع الوصلة بينه وبين أهل الشر حتى في الألفاظ المشتركة، قال: ويلتحق بهذا أن الضعيف إذا سئل عن حاله لا يقول لست بطيب بل يقول ضعيف، ولا يخرج نفسه من الطيبين فيلحقها بالخبيثين، ... " (١)

وكذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الألفاظ التي قد تؤثر على عقيدة المسلم مثل: "ما شاء الله وشئت" عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: « ما شاء الله وشئت، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: « أجعلتني والله عدلاً؟ بل ما شاء الله وحده » (٢).

وكذا سب الدهر، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله: يسبُّ بنو آدم الدهرَ، وأنا الدهرُ، بيدي الليل والنهار» (٣).

والتربية الإسلامية رقت باللسان حتى في كلامه أثناء تعجبه، لذا عندما يتعجب المسلم يلتزم بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «سُبْحَانَ اللَّهِ، ماذا أنزل من الخزائن وماذا أنزل من الفتن، من يوقظ صواحب الحجر - يريد به أزواجه - حتى يصلين. ربَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة».

وقال ابن أبي ثور عن ابن عباس عن عمر قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ قال: لا. قلت: الله أكبر» (٤).

(١) المرجع السابق، ص (٧٣٦٠).

(٢) أحمد بن حنبل: "مسند أحمد"، مرجع سابق، ج ١، ص (٢١٤).

(٣) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١٢، كتاب الأدب، باب لا تُسبوا الدهر، رقم الحديث (٦١٨١)، ص (٧٣٦٠).

(٤) المرجع السابق، باب التكبير والتسييح عند التعجب، رقم الحديث (٦٢١٨)، ص (٧٤٠٠).

٤ - التمسك بفضيلة الصدق :

وقد سبق بيان آفات الكذب وما فيها من هلاك ولنجاة منه على المرء أن يلتزم بالصدق ، فهو منجاة لصاحبه في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

وامتدح الله عباده الصادقين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢) .

٥ - تجنب الغضب :

الغضب إنما هو سبب لكل خلق سيء ، ومبعد عن التمسك بالخلق القويم لذا كان مربى هذه الأمة صلى الله عليه وسلم أبعد الناس عنه ، فإذا غضب الإنسان فعليه بالأخذ بالأسباب المسكنة للغضب والتي سبق ذكرها ، فالشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في ساعة غضبه ، لذا فهو غالباً في هذه الحالة لا يتورع عن حفظ لسانه من اللعن والسب وقد يخرج عن الملة بكلمة قالها ساعة غضب ، لذا على المسلم توطئ نفسه وترويضها على إمساك زمام لسانه ساعة غضبه لينجو من مزالق اللسان .

٦ - الالتزام بشروط و آداب الكلام (٣) :

فمن تمام حفظ اللسان التزام المسلم بشروط الكلام ، فلا يتكلم إلا إذا تحققت حتى ينجو المسلم من زلاته وهي كالآتي :

(١) سورة المائدة : الآية (١١٩) .

(٢) سورة الأحزاب : الآية (٣٥) .

(٣) ابن أبي الدنيا ، " أدب الدين والدنيا " ، مرجع سابق ، ص (٢٦٦ - ٢٧٥) .

١- أن يكون الكلام لداعي يدعو له لنفع ، أو دفع ضرر ، ما عدا ذلك فهو من الكلام المذموم .

٢- أن يأتي به في موضعه حتى تحصل الفائدة منه .

٣- أن يقتصر منه على قدر الحاجة .

٤- أن يكون كلامه واضحا ، وبين يفهمه المخاطب .

فإذا تحققت هذه الشروط وتكلم عليه الالتزام بجملة آداب معينة وهي :

١- أن لا يتجاوز في مدح ولا يسرف في ذم .

٢- إذا قال قولا حققه بفعله ، فلأن يعمل ما لا يقول خير من أن يقول ما لا يعمل .

٣- أن يراعي الصوت المناسب والأسلوب المناسب في الكلام فإن كان يعظ تكلم بليين ، وإن كان ترهيبا خلطه بخشونة وعنف .

٤- أن يبعد لسانه عن ما استقبح من القول وإن استخدم الكناية .

٥- أن يتجنب أمثال الغوغاء ، بل يرقى إلى أمثال العلماء .

آثار مبدأ حفظ اللسان :

١- الفوز في الدار الآخرة بالدرجات العلى من الجنة والنجاة من النار .

٢- سبب لكمال الإيمان ، فذكر الله تعالى وتلاوة القرآن والأمر بالمعروف ، وغيرها من أعمال البر المتحققة باللسان تزيد إيمان المسلم .

٣- سبب لمحبة الله تعالى لامثال أوامره وتجنب معاصيه ، وسبب لمحبة الناس وكسب تقّتهم ، فمن خلال حفظ المسلم للسانه يجني السمعة الطيبة والخلق الكريم مع الآخرين .

٤- حفظ اللسان سبب لشيوع روح الألفة ، والمحبة ، و الثقة ، والأمن ، والطمأنينة في المجتمع المسلم مما يزيد من تماسكه وقوته .

- ٥- حفظ اللسان سبب في اكتساب الأخلاق العالية ، والترفع عن الخلق السيئ .
- ٦- حفظ اللسان سبب لقوة الشخصية و تميزها ، فهو يكسب صاحبه مهابة ، وسكينة ، ووقار ، وحكمة ورجحان عقل ، ويبعده عن سفاسف الأمور .
- ٧- حفظ اللسان سبب لطمأنينة القلب وراحته ، إذا كان اللسان رطبا بذكر الله تعالى .
- ٨- سبب لحسن الخاتمة ، فمن عود لسان على القول الحسن في حياته لا يعجزه ذكره عند مماته.
- ٩- حفظ اللسان سبب لصلاح القلب ، فهو من دواعي المروءة والحياء الذي يحي القلب .

وبإنتهاء الفصل الثالث بحمد الله تعالى تمت الإجابة على السؤال الثاني من البحث وهو :

ما المبادئ التربوية المستنبطة من أحاديث كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري رحمه الله ؟

حيث حاولت الباحثة استنباط بعض المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى ، ولم يتسنى لها بسبب المدة المحدودة لانجاز البحث استنباط جميع المبادئ المتضمنة في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى .

الفصل الرابع

دور الأسرة في تطبيق المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب
(الأحبة) من صحيح الإمام البخاري رحمه الله

مخطط الفصل :

المبحث الأول: مفهوم الأسرة .

المبحث الثاني : أسس تكوين الأسرة .

المبحث الثالث : وظائف الأسرة .

المبحث الرابع : أساليب الأسرة التربوية في غرس المبادئ

المتضمنة في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري رحمه الله

الفصل الرابع

دور الأسرة في تطبيق المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري

تضمن الفصل الثالث المبادئ التربوية التي تنظم علاقة الفرد المسلم بغيره بالشكل الذي يضمن سيرها وفق الهدف الأساسي من التربية وهو تحقيق العبودية لله تعالى ، حيث نُظمت هذه العلاقات في إطار الهدف الأساسي ، فالتربية الإسلامية تتداخل جوانب الإنسان فيها ، فالناحية الروحية والخلقية والاجتماعية كلها متداخلة وأي وسيلة في احدها تخدم الناحية الأخرى . (١)

ولتطبيق هذه المبادئ وتحقيقها على ارض الواقع لابد من غرسها في نفس الفرد المسلم منذ وقت مبكر ، يقول قطب : البيت والمدرسة والشارع هي ركائز التربية الأساسية ، لكن البيت هو المؤثر الأول وهو أقوى هذه الركائز جميعا لأنه يتسلم الطفل من بداية مراحلها فيبذر فيه بذوره ، ولأن الزمن الذي يقضيه الطفل في البيت أكثر مما يقضيه الطفل في أي مكان آخر ، ولأن الوالدين أكثر الناس تأثيرا في الطفل . (٢)

فالأسرة من أهم المؤسسات التربوية فهي المحضن الأول للفرد والتي يُعتمد عليها في تشكيل شخصيته التي يبقى أثرها في مراحل حياته الأخرى ، ثم تأتي بعدها المؤسسات التربوية الأخرى من حيث الأهمية ، وفي هذا الفصل نحاول أن نقلي بعض الضوء على دور الأسرة في تربية المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري رحمه الله ، في ضوء المباحث التالية :

(١) الشنتوت ، خالد أحمد : دور البيت في تربية الطفل المسلم ، ط ٤ ، مكتبة المطبوعات الحديثة ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، ١٩٩٠م ، ص (٦٦) .
(٢) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، ط ٥ ، دار الشروق ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ، ج ٢ ، ص (٩٠-٣٩) .

المبحث الأول

مفهوم الأسرة

مدخل :

الأسرة في مفهوم التربية الإسلامية نظام اجتماعي أساسي من نظم هذا الكون ،
وسنة من سننه الكونية التي ينشأ الإنسان في كنفها النشأة الطبيعية ، التي تحافظ على
بقاءه واستمراره عن طريق إشباع رغباته وحاجاته الأساسية والمحافظة عليه ، ليحقق
الخلافة في الأرض ويقوم بالهدف الأساسي من وجوده .

والقرآن الكريم بين لنا بداية نشأة وتطور هذا النظام الاجتماعي ، قال تعالى :
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ
مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ
قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي
قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا
فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ
ذَلِكَ لَمِيثُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ .. (٢)

فكانت بداية تكوين الأسرة من تراب الذي هو منشأ آدم عليه السلام ، وخلقته
من ضلعه حواء ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا
لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا
لَئِن آتَيْنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا

(١) سورة السجدة : الآية (٧-٩).

(٢) سورة المؤمنون : الآية (١٢-١٦).

آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (١).

قال ابن كثير: "ينبه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام. وأنه خلق منه زوجه حواء ثم انتشر الناس منهما..." (٢)

فآدم وحواء هما أول أسرة تكونت على وجه الأرض واستمرت منها البشرية على نفس النظام، حيث قامت هذه الأسرة على أساس الرباط الشرعي وهو الزواج، والذي حدد الإسلام ضوابطه وشروطه، وحرّم كل أشكال العلاقات التي تقوم خارج هذا الإطار للحفاظ على هذا النظام الاجتماعي الذي يعد أساس المجتمع واللبنة الأولى لبنائه، قال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣).
فالزواج هو:

"هو عقد يفيد حل العشرة بين الرجل والمرأة بما يحقق ما يتقاضاه الطبع الإنساني وتعاونهما مدى الحياة ويحدد ما لكليهما من حقوق وما عليه من واجبات" (٤).
مفهوم الأسرة :

لم يرد لفظ الأسرة في القرآن الكريم والسنة إلا أن لها دلالة واضحة على أصلها وأهميتها وأحكامها في نصوص القرآن الكريم .

وهذه الدلالة وردة في بعض الأحيان بلفظ "الأهل" فهو من الأنسب الألفاظ لدلالة على مفهوم الأسرة في نصوص الكتاب والسنة، وتعني كلمة أهل حرفياً سكان بيت أو مسكن أو بلدة أو قرية أو قطر، كما تعني أسرة الرجل الساكنين مع الرجل

(١) سورة الأعراف: الآية (١٨٩-١٩٠).

(٢) ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، مرجع سابق، ج ٢، ص (٢٥٢).

(٣) سورة النور: الآية (١).

(٤) مرسي، أكرم ضياء: الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الدوحة، ١٤٢١هـ، ص (٢٦).

في مسكن أو مكان واحد. (١)

فالمعنى اللغوي للأسرة يختلف عن معنى الأهل اختلاف كبير، حيث يتضمن
المعنى اللغوي للأسرة معنى القيد ، أما الأهل ، فيعني أهل الرجل وعشيرته ونوي
قرباه (٢)، وفيما يلي بيان معنى الأسرة :

الأسرة لغة :

أصل الكلمة أسر و الأسرة : الدَّرْعُ الحَصِينَةُ، والإِسَارُ : القَيْدُ ويكون حَبْلٌ
الكَتَافِ، ومنه سمي الأسير ؛ وكانوا يشْتَوْنَهُ بِالْقَدِّ ، قال مجاهد: الأسير المسجون،
والجمع أسراء . (٣)

اصطلاحاً :

أختلف تعريفها اصطلاحاً بين المؤلفين كلا بحسب خلفياتهم الثقافية وأهدافهم ،
ومن هذه التعريفات ما يلي :

- "هي الوحدة الأولى للمجتمع ، وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في
الغالب مباشرة ، ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعياً ، ويكتسب منها الكثير من معارفه
ومهاراته وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة ، ويجد فيها أمنه وسكنه." (٤)

- "الأسرة جماعة اجتماعية أساسية ودائمة ، ونظام اجتماعي رئيسي وهي
ليست أساس وجود المجتمع فحسب بل هي مصدر الأخلاق ، والعامّة الأولى لضبط
السلوك ، والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية ." (٥)

(١) عقله ، محمد : نظام الأسرة في الإسلام ، ط ١ ، مكتبة الرسالة ، الأردن ، عمان ، ١٩٨٣ م ،
ج ١ ، ص (٨).

(٢) ابن منظور : "لسان العرب" ، مرجع سابق ، ج ٥ ، مادة "أسر" ، ص ٧٦-٧٧ ، ج ١٣ ، مادة
"أهل" ، ص (٢٨-٢٩).

(٣) المرجع السابق ، ج ٥ ، مادة "أسر" ، ج ١٣ ، ص (٧٦-٧٧).

(٤) محمد عقله : "نظام الأسرة في الإسلام" ، مرجع سابق ، ص (٨) .

(٥) الخولي ، سناء : الأسرة والحياة العائلية ، دار النهضة ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ،
ص (٣٧).

وفي بحثنا نركز على التربية الإسلامية التي تقوم مبادئها على نصوص الشريعة الإسلامية الصحيحة ، وهذا ما نعتمد عليه في بناء مفهوم الأسرة ، فمفهوم الأسرة في التربية الإسلامية من خلال دلالات القرآن والسنة يقوم على دعامين الزوج والزوجة وهما المعنيان بتربية الأبناء وهو الشق الثالث للأسرة الذي هو محور التربية .

فالأسرة في التربية الإسلامية تعنى بالمعنى الضيق لها المعنى الذي يضم الزوج والزوجة والأولاد. (١)

فالأسرة بناء على ما سبق هي :

البيئة التربوية الأولى التي ينشأ فيها الفرد النشأة الأساسية والتي من خلالها يشبع حاجاته الأساسية وتحافظ على بقاءه ، وهي التي يتشرب من خلالها المبادئ المختلفة المرتبطة بجميع نواحي حياته المختلفة .

(١) حسين عبدالمعطي : الأسرة ومشكلات الأبناء ، ط ١ ، دار السحاب ، مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م ، ص (١٣) .

المبحث الثاني

أسس تكوين الأسرة :

مدخل :

تقوم الأسرة في التصور الإسلامي الصحيح على ركنين أساسيين هما الزوج والزوجة ، ويتم إقامة هذين الركنين على أساس الميثاق الغليظ وهو الزواج ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُبُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا * وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَقْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۝ (١) ۝

فالزواج مبدأً شرعياً ثابتاً تقوم عليه الأسرة فيحافظ على استمرارها ونجاحها. ولضمان البناء الأسري المتين يتم اختيار ركنائه على أسس ثابتة حددتها التربية الإسلامية ودعت إلى التمسك بها وهذه الأسس تنطلق من مبدأ الاهتمام بالبيئة والوراثة التي تضمن لنا تطبيق الأسرة لمبادئ التربية الإسلامية فنتنتج جيلاً مؤمناً صحيحاً من الناحية العقلية والجسدية والخلقية وغيرها .
وفيما يلي بيان هذه الأسس :

الأساس الديني :

فهذا الأساس هو الذي يوجد لنا بيئة خصبة وصحية عقدياً وأخلاقياً لبناء الجيل المؤمن ، فالمقصود بالأساس الديني : هو مدى التزام كل من الخاطب والمخطوبة في

(١) سورة النساء : الآية (١٩-٢٢).

تطبيق منهاج الإسلام والتحلي بأدابه وسلوكياته في جميع أمور الحياة العامة والخاصة. (١)

فالإسلام رغب في الشريك صاحب الدين وبين انه خير من غيره ، قال تعالى :
﴿وَلَا تَتَّخِذُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَا أُمَّةَ مُؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُنْكَحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أُعْجَبُكُمْ أَوْلَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِآيَاتِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ . (٢)

فالزوج أو الزوجة الصالحين ملتزمان بمبادئ الدين الإسلامي الصحيحة و في ذلك ضمان لصحة عقيدة الناشئة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء». (٣)

والتزام الزوجين بالدين ينعكس أثره على سلوكهما فيتحليان بالمبادئ الأخلاقية الإسلامية الصحيحة فيكونان قدوة صالحة لأبنائهما ، ويتقي الزوجان ربهما في الحقوق والواجبات لكليهما وتجاه أطفالهما في المستقبل ، قال تعالى : ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ . (٤)

(١) عطار ، ليلي عبد الرشيد : الجانب التطبيقي في التربية ، ط ٢ ، دار المجتمع ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، ١٤١٩هـ ، ص (١٤٧) .
(٢) سورة البقرة : الآية (٢٢٩-٢٣٠) .
(٣) سبق تخريجه ، ص (١٢٦) .
(٤) سورة البقرة : الآية (٢٢٩) .

فيتحقق بذلك السكن النفسي والتوافق الروحي والفكري والاجتماعي الذي يوجد بيئة خصبة لتنشئة الأبناء وفق المنهج الإسلامي الصحيح ، وتتوفر القدوة الصالحة .

لذا أرشد الإسلام كلا الزوجين إلى اختيار الآخر على أساس الدين ، فالزوج إذا أراد أن يختار أما لأبنائه لابد أن يختارها على أساس الدين ، قال تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾. (١)

قال ابن كثير : " وقوله تعالى ، { فَالصَّالِحَاتُ } أي من النساء { قَانِتَاتٌ } قال ابن عباس وغير واحد: يعني مطيعات لأزواجهن { حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ } وقال السدي وغيره: أي تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله. " (٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَنكِحُ المرأةَ لأربع: لمالها، ولِحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك». (٣)

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عُودُوا الْمَرِيضَ، وَاتَّبِعُوا الْجَنَازَةَ، وَلَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَأْتُوا الْعُرْسَ، وَلَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَنكِحُوا الْمَرْأَةَ مِنْ أَجْلِ حُسْنِهَا فَعَلَّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بِخَيْرٍ، وَلَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَنكِحُوا الْمَرْأَةَ لِكَثْرَةِ مَالِهَا، وَعَلَّ مَالُهَا أَنْ لَا يَأْتِيَ بِخَيْرٍ، وَلَكِنْ بِذَاتِ الدِّينِ وَالْإِمَانَةِ فَايْتَعُوهُنَّ». (٤)

يقول الغزالي " أما الخصال المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده ثمانية: الدين، والخلق، والحسن، وخفة المهر، والولادة ،

(١) سورة النساء : الآية (٣٤)

(٢) ابن كثير ، " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٤٣٥).

(٣) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، كتاب النكاح ، باب الاكفاء في الدين ، رقم الحديث (٥٠٩٠) ، ص (٥٩٩٥) .

(٤) نور الدين الهيثمي : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب النكاح ، باب عليك بذات الدين ، ص (٢٥٤) .

والبكاره، والنسب، وأن لا تكون قرابة قريبة".^(١)

فالأم لها تأثير كبير في سلوك الطفل وخاصة في السنوات الأولى من عمره لارتباطه الوثيق بها بحكم احتياجه الكبير لها في هذه الفترة، يقول الغزالي في رياضة الصبيان: " بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضانتها وإرضاعه إلا

امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي أنعجت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث".^(٢)

وصلاح الرجل كذلك أمر أساسي لتسيير دفة الأسرة إلى الوجهة التي ارتضاها الله تعالى والمرجو منها لتحقيق الهدف المنشود، فالرجل يملك القوامة، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْكَافِرَاتُ قَانِئَاتٌ بِحَافِظَاتٍ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾.^(٣)

قال ابن كثير: " أي الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت... " ^(٤)

" فلاب في الشريعة الإسلامية مكانة عظيمة وجليلة، فهو القائم على الأسرة بما فيها من أفراد كالأم والأطفال، والخدم، وهو مسئول عنهم، وعن استقامتهم على منهج الله عز وجل، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج ٢، ص (٢٧).

(٢) المرجع السابق، ج ٣، ص (٧٢).

(٣) سورة النساء: الآية (٣٤).

(٤) ابن كثير: " تفسير القرآن العظيم"، مرجع سابق، ج ١، ص (٤٣٥).

رعيته»^(١) أي انه سوف يسأل عن ما استرعاه من شؤونهم .

وبناءً على هذه المسؤولية يتكفل الأب بتبعات تكوين المحضن الإسلامي الصالح

لنمو الذرية نموا سويا صالحا .^(٢)

- أساس الأصل (الوراثة):

اهتمت التربية الإسلامية بهذا الأساس وسبقت العلم الحديث بمئات السنين في إقرار وراثة الطفل لصفات الوراثية للأب والأم ، فعامل الوراثة له تأثير كبير في نشأة الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية .

فأرشد الإسلام كلا الزوجين عند اختيار شريكهما أن يكون من سلالات الأسر الصحية عقليا وجسما وأخلاقيا .

"فالوراثة مع البيئة هما العاملان الأساسيان في تكوين الأخلاق " ^(٣)

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ فَانكحُوا الأَكْفَاءَ وَانكحُوا إِلَيْهِمْ» .^(٤)

وحرص الأسر الكريمة على انتخاب الأزواج من سلالة عريقة في الفضل والمجد يدل على أدرك الناس الأثر الكبير للميراث الخُلقي الذي ينحدر من الآباء والأجداد إلى الأحفاد ، والأبناء جيل بعد جيل .^(٥)

" فالوراثة والبيئة مرتبطة كل منها بالآخر تمام الارتباط ، فالوراثة تمدنا بالميزات والبنور ، والبيئة هي التربة التي تنمو فيها هذه البنور ، وعلى قدر صلاحية التربة للبنور تكون درجة نجاح النبات وقوته ، فالبيئة إذن هي التي تحدد إلى أي حد

(١) سبق تخريجه ، ص (١٣٨).

(٢) باخارث ، عدنان حسن : مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة ، ط ٩ ، دار المجتمع ، المملكة العربية السعودية ، جده ، ١٤٢٣هـ ، ص (٣١).

(٣) المرجع السابق ، ص (٣٥) ، نقلا عن : نصار ، محمد عبد السلام ، " الوراثة والبيئة وأثرهما في تكوين الخلق " ، مجلة التربية ، العدد ، (١٩) ، ص (٦٦) .

(٤) الحاكم : " المستدرک علی الصحیحین " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب النكاح ، باب تخيروا لنطفكم ، ص (١٦٣) .

(٥) صالح عبد العزيز : التربية وطرق التدريس ، ط ١٠ ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ،

د . ت) ، ج ٢ ، ص (١٦٩) .

يمكن أن تظهر ، المميزات المورثة ، هي الوسط الذي يسمح بمميزات الوراثة أن تظهر ، فإن كان الوسط مشجعا ظهرت وإلا قبرت " (١)

والمرأة الصالحة إنما تكون كالأرض الخصبة يقول يالجن : "ذلك أن الطفل كالنبته فإذا أردنا أن ننبت نباتا حسنا فلا بد من معرفة اختيار بذرة صالحة ولا بد مع ذلك من معرفة اختيار أرض صالحة لهذه البذور وزرعها فيها ذلك أنه مهما كانت البذرة صالحة فإذا كانت الأرض غير صالحة فلا ينفع الزرع ويقدر صلاحها يكون صلاح الزرع ، ولهذا انبت الله مريم نباتا حسنا لتنتج ثمرة طيبة وكانت تلك الثمرة هي عيسى عليه السلام " (٢) قال تعالى : ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا...﴾ (٣)

ويدخل في هذا الأساس الاختيار من خارج الأقارب بهدف تحسين النسل والوقاية من الأمراض ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : "لا تتكحوا القرابة فإن الولد يولد ضاويا" (٤)

" فقد أثبت علم الوراثة أن الزواج بالقرابة يجعل النسل ضعيفا من ناحية الجسم ، ومن ناحية الذكاء ، ويورث الأولاد صفات خلقية زئمة ، وعادات اجتماعية مستهجنة ... " (٥)

فالزواج من خارج الأقارب له فوائد جمة بالإضافة إلى تحسين النسل فإنه يوسع دائرة الترابط الاجتماعي .

(١) صالح عبد العزيز : التربية الحديثة مادتها - مبادئها - تطبيقاتها العلمية (التربية وطرق التدريس) ، ط ٧ ، ج ٣ ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، (د . ت) ص (١٥٥)
(٢) يالجن ، مقداد يالجن : التربية الأخلاقية الإسلامية ، ط ٢ ، دار عالم الكتب ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤١٧ هـ ، ص (٤٥٠) .
(٣) سورة آل عمران : الآية (٣٧) .
(٤) علوان : " تربية الأولاد في الإسلام " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣٤) .
(٥) المرجع السابق .

أساس الإنجاب :

وهذا الأساس هو الذي يضمن لنا اكتمال الركن الثالث من بناء الأسرة وهو الأولاد ، وهذا الركن هو أحد أهم الأهداف من إقامة الأسرة في ضوء التربية الإسلامية .

لذا تضافرت النصوص في بيان أهمية أن يكون اختيار ركني الأسرة الزوج والزوجة على هذا الأساس ، قال تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ... ﴾ (١)

عن معقل بن يسار ، قال : «جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال : إني أصبْتُ امرأةَ ذاتِ جمالٍ وحسبٍ وأنها لا تلدُ أفأتزوّجها؟ قال : لا، ثمَّ أتاه الثانيةَ فنّها، ثمَّ أتاه الثالثةَ فقال : تزوّجوا الودود الودودَ فإنّي مكثرتُ بكم الأمم» . (٢)

فالإسلام رغب في اختيار الزوجة على أساس طلب الولد ، ففي ذلك تكثير لعدد أفراد الأمة و زيادة قوتها ، وهذا لا يلغي أهمية الكيف ، فإلى جانب كثرة العدد لابد أن تخرج الأسرة جيلا مؤمنا بالله تعالى يقيم الإسلام على المنهج الصحيح ، ولا يتم ذلك إلا من خلال التربية الإسلامية الصحيحة ، قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب * يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ (٣)

﴿والَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ . (٤)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول : «اللَّهُمَّ هُوَلاءِ أَهْلِ بَيْتِي

(١) سورة آل عمران : الآية (٣٨).

(٢) أبادي : " عون المعبود شرح سنن أبي داود " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، كتب النكاح ، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء ، ص (٣٧) ، قال المنذري : وأخرجه النسائي .

(٣) سورة الرعد : الآية (٣٨-٣٩).

(٤) سورة الفرقان : الآية (٧٢-٧٤).

وَخَاصَّتِي، فَأَذْهَبَ عَنْهُمُ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً» (١).

فالذرية غير الصالحة تكون فتنة وبالا على والديها وعلى الأمة ، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدَوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ...﴾ (٢)

فالولد إذا كان صالحا نفع أبويه في الدنيا والآخرة ، فعلى العبد المسلم أن يتوجه إلى الله عزوجل ويكثر من الدعاء في طلب الولد الصالح ، فإن رزقه الله الولد فليدع له بالهداية والصلاح ، كما هو حال أهل الصلاح قال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدُوقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (٣).

والمرأة الولود تعرف بشيئين :

- ١- سلامة جسمها من الأمراض التي تمنع الحمل ، ويستعان لمعرفة ذلك بالمختصين .
- ٢- النظر إلى حال أمها ، وحال أخواتها المتزوجات ، فإن كن من الصنف الولود ، فعلى الغالب هي تكون كذلك . (٤)

(١) أحمد بن حنبل : " مسند أحمد " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص (٢٩٢).

(٢) سورة التغابن : الآية (١٤).

(٣) سورة الأحقاف : الآية (١٥- ١٦).

(٤) علوان : " تربية الأولاد في الإسلام " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٣٦).

المبحث الثالث

وظائف الأسرة :

مدخل :

وبعد بيان مفهوم الأسرة وأسس تكوينها ننتقل إلى بيان وظائفها ، فبناء الأسرة وفق المنهج الإسلامي الصحيح يضمن تحقيقها الهدف الأساسي ، الذي يمثل الوظيفة الأساسية للأسرة وهو تحقيق العبودية لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) ، وفيما يلي بيان وظائفها :

١- إقامة حدود الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ دِينِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .

فكل مظهر من مظاهر الحياة في هذا الكون إنما هو يسير وفق هذا المبدأ وهو عبادة الله تعالى فهو الهدف من الوجود الإنساني ، وفي ضوء هذا المبدأ تتمثل أهم وظيفة للأسرة ، والتي تعتبر الأداة الأساسية التي من خلالها يتحقق هذا الهدف .

فعلى الأسرة تحقيق مرضاة الله وشرعه في كل شأن من شؤونها ، فإنما إقامتها تتوقف على ذلك ، قال تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ (٣) .

فينشأ الطفل و يتزعرع في بيت أقيم على تقوى من الله تعالى ورغبة في إقامة حدود الله ، وتحكيم شريعته ، فيتعلم ، بل يقتدي ، بذلك من غير كبير جهد أو عناء ،

(١) سورة الذاريات : الآية (٥٦) .

(٢) سورة الأنعام : الآية (١٦١-١٦٣) .

(٣) سورة البقرة : الآية (٢٢٩) .

إذ يمتص عادات أبويه بالتقليد ، ويقتنع بعقيديهما الإسلامية حين يصبح واعياً^(١).

«ما من مولودٍ إلا يُولدُ على الفِطْرَةِ، ...»^(٢).

فالأسرة المسلمة من خلال هذه الوظيفة تحافظ على فطرة الناشئ وتصونها وتوجهها الوجه الصحيحة التي تتوافق مع مبادئ الإسلام .

٢- التكاثر :

قال تعالى : ﴿إِيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٣).

عن معقل بن يسار ، قال : «جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: إنِّي أصبْتُ امرأةً ذاتَ جمالٍ وحسبٍ وأنَّها لا تلدُ أفأتزوجها؟ قال: لا، ثمَّ أتاه الثانيةَ فتهاه، ثمَّ أتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودودَ الولودَ فإنِّي مكاتِرُ بكم الأمم»^(٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولودٍ إلا يُولدُ على الفِطْرَةِ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاءً، هل تحسونَ فيها من جدعاء»^(٥).

فالثروة البشرية هي الثروة الحقيقية للمجتمعات في ضوء التربية الإسلامية وهذا ما تمثله الوظيفة الثانية للأسرة ، وهذا التكاثر كما سبق لا يُعنى بالكم بقدر ما يُعنى بالكيف الذي يتضح من خلال اهتمام التربية الإسلامية بالأسس التي وضع على أساسها الزواج ، ليضمن لنا إخراج جيل مؤمن بالله تعالى يحقق هدف الوجود وهو عبادة الله من خلال الخلافة في الأرض، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي

(١) النحلوي : " أصول التربية الإسلامية " ، مرجع سابق ، ص (١٣٦).

(٢) سبق تخريجه ، ص (١٢٦) .

(٣) سورة النساء : الآية (١).

(٤) سبق تخريجه ، ص (٣٦٤) .

(٥) سبق تخريجه ، ص (١٢٦) .

جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (١).

فالهدف من وجود البشرية العمارة لا للخراب وهنا تبرز أهمية الكيف .

يقول النحلوي : "أن البيت المسلم يجب عليه أن يربي أبنائه تحقيق هدف الإسلام وأركان الإيمان في نفوسهم وسلوكهم ، لأن المباهاة إنما تكون بكثرة النسل الصالح" (٢).

"وتكمن القيمة التربوية من المحافظة على النوع الإنساني، في العمل على الارتقاء بالتفكير الإنساني للاهتمام لمختلف الطرق والوسائل والأساليب التربوية ، والتي تساعد على تربية الإنسان خلقياً وعقلياً ، وجسماً وروحياً من أجل المحافظة على النوع البشري لتحقيق مهمة الخلافة كما أرادها الله . " (٣)

فالتربية الإسلامية من خلال مبادئها التربوية الفريدة ، هي الوحيدة على الإطلاق التي تكفل تحقق هذه التربية وتوفير وسائلها وأساليبها .

٣- المحافظة على الأنساب :

الإنسان مخلوق مكرم كرمه الله تعالى ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ . (٤)

ويتضح هذا التكريم في الطريقة التي وجد بها ، فقد جعل وجوده وفق أساس يضمن له هذه الكرامة ، وذلك عن طريق الأسرة التي تقام على الميثاق الغليظ وهو الزواج ، بذلك يحفظ له أصله ونسبه .

(١) سورة البقرة : الآية (٣٠)

(٢) النحلوي : " أصول التربية الإسلامية " ، مرجع سابق ، ص (١٣٦)

(٣) عطار : " الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية " ، مرجع سابق ، ص (١٤٣).

(٤) سورة الإسراء : الآية (٧٠).

" فالزواج الذي شرعه الله تعالى يفخر الأبناء بأنسابهم إلى آبائهم ... ولا يخفى ما في هذا الانتساب من اعتبارهم الذاتي واستقرارهم النفسي وكرامتهم الإنسانية ... ولو لم يكن ذلك الزواج الذي شرعه الله ، لعج المجتمع بأولاد لا كرامة لهم ولا أنساب ، وفي ذلك طعنة نجلاء للأخلاق الفاضلة ، وانتشار مريع للفساد والإباحية ..."(١)

فالمحافظة على الأنساب يضمن لطفل توفير المحضن الأسري الذي يغذي جميع حاجاته التربوية التي تساعد في نموه النمو السليم من جميع نواحيه الجسمية والعقلية والأخلاقية و غيرها .

٤- سلامة المجتمع من الانحلال ومن الأمراض :

قد يقع المجتمع جراء ما جُبلَ عليه الإنسان وفطر عليه من غرائز جنسية ضرورية يحاول إشباعها في الانحلال الخُلقي إذا لم توجه فطرته التوجيه السليم ، والتربية الإسلامية منعت وقوع ذلك عن طريق تكوين الأسرة على أساس الزواج الذي يعد الضابط لهذه الغريزة و الموجهة لها إلى الوجهة الصحيحة وفق آداب إسلامية مقننة وواضحة ، تجعل المجتمع المسلم يسلم من الانحلال الخُلقي، قال تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ...﴾ (٢)

عن عبد الرحمن بن يزيد قال: «دخلت مع علقمة والأسود على عبد الله، فقال عبد الله: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شباباً لاجدُ شيئاً، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: يامعشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» (٣)

(١) علوان: "تربية الأولاد في الإسلام"، مرجع سابق، ج ١، ص (٢٧).

(٢) سورة النور: الآية (٣٠-٣١).

(٣) سبق تخريجه، ص (١٥٠).

أن ضابط الزواج الذي تقام على أساسه الأسرة يجعل من وظائفها المحافظة على المجتمع المسلم من الأمراض التي قد تحدث نتيجة للعلاقات الجنسية المحرمة الغير مبنية على الزواج الشرعي .

"ومتى ابتعد أفراد الجنس البشري عن العلاقات الجنسية غير المشروعة ، ساروا في طريق الله .. الذي اهتم بتهديب الرغبات .. والإعلاء من شأنها ، نتجت مجتمعات فاضلة .. وأجيال قوية ... " (١)

فالتهديب لهذه الغريزة إنما هو أساس لإقامة المبادئ التربوية الإسلامية التي تحفظ للمجتمع المسلم قوة روابط أفرادها من خلال إقامة العلاقات الصحيحة بينهم ، والتي لا تتصادم مع الفطرة السوية وتسير في إطارها ، فإذا قامت العلاقات الإنسانية وفق مبادئها سلمت المجتمعات الإسلامية من كثير من الأمراض الأخلاقية الفتاكة التي تشيع في مجتمعات ابتعدت عن مبادئها ، وتتجلى مظاهرها في التفكك الأسري وانحراف الأولاد ، وظهور العقوق بمختلف مستوياته ، وقطيعة الرحم وعدم أمان الجار لجاره ، فأصبح المرء في هذه المجتمعات لا يأمن أخيه الإنسان على أقل ضروريات حفظ النفس.

٥- إشباع الحاجات الفطرية (العاطفة الجنسية والوالدية):

قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْهُ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً

(١) عطار: "الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية" ، مرجع سابق ، ص (١٤٥)
(٢) سورة الأعراف : الآية (١٨٩ - ١٩٠) .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (١) .

فمن وظائف الأسرة إشباع الغريزة العاطفية التي فطر عليها الإنسان وهي غريزة عاطفية تتمثل في الميل نحو الجنس الآخر ، وأخرى تتمثل في حب الولد ، فعن طريق الأسرة التي تقام على أساس الزواج والذي يمثل سكن روحي ومودة ورحمة لكلا الزوجين نحو الآخر فتشبع عاطفتها مما يحقق لهما توازن نفسي .

وبالتالي تنهياً للبيئة الصحية نفسياً للأولاد فتشبع حاجاتهم العاطفية من ثقة واطمئنان ورحمة ومودة .

كذلك تشبع الأسرة عن طريق الإنجاب الحاجة الوالدية لدى الوالدين التي فطرهما الله عليهما، قال تعالى : ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ...﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَمْأَلُ وَالْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْأَلًا ﴾ . (٣)

فمن خلال إشباع هذه الحاجة العاطفية الفطرية يتحقق التوازن النفسي للأباء ويضطلعان بمسؤوليتهما التربوية تجاه أولادهما وإشباع حاجاتهم المختلفة .

٦- تعاون الزوجين في تربية الأولاد :

يتم من خلال هذه الوظيفة تربية الأولاد من نواحي مختلفة وفق مبادئ التربية الإسلامية وهي تمثل مبدأ حقوق الأولاد في التربية الإسلامية ، وقد بدأ المجتمع يتقاسم بعض أجزائها بسبب التغيير الاجتماعي الذي طرأ نتيجة تغيير نمط الحياة وتعقيدها ، و هذه الوظيفة تبين لنا أهمية دور الأسرة بالنسبة للأولاد ورعايتهم ، و توضح دورهما في غرس المبادئ التربوية في نفوس الأولاد من خلال تربية الأولاد من مختلف النواحي الجسمية والعقلية والإيمانية والأخلاقية وغيرها .

(١) سورة الروم : الآية (٣٠-٣٢) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٤) .

(٣) سورة الكهف : الآية (٤٦) .

فالمقصود بالتربية هو :

"إعداد الطفل جسمياً وعقلياً وروحياً ووجدانياً واجتماعياً لكي يكون عضواً نافعاً لنفسه وأمته". (١)

فالزوجان يتعاونان في تربية الأولاد من جوانب مختلفة .

والتربية الإسلامية تضمنت المبادئ التربوية التي تتعلق بتربية الأولاد من جميع النواحي، وفي مختلف مراحل الحياة ، لينهج الوالدين المنهج التربوي الصحيح في تربية أولادهما ، ويمكن إجمالها فيما يلي :

(أ) الجانب الإيماني والأخلاقي :

النفس الإنسانية مفطورة على الدين الإسلامي الصحيح ، ففيها فطرة ملحمة تنتظر أن تتحرك وتوقظ من مكانها ، ومهمة الأسرة المسلمة هي إيقاظ هذه الفطرة وتوجيهها وفق منهج التربية الإسلامية الصحيحة ، قال تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ . (٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء». (٣)

فالإيمان بالله تعالى هو المبدأ الأساسي التي تتركز عليه فطرة النفس الإنسانية ، وهو الأساس التربوي لبناء الشخصية المسلمة من خلال وصلها بالله تعالى في جميع جوانبها الشخصية ، وتحقيق هذا المبدأ في نفس الأولاد يعد الركيزة لشخصية السوية

(١) محمد عقله : " نظام الأسرة في الإسلام " ، مرجع سابق ، ص (٢٩) .

(٢) سورة الروم : الآية (٣٠) .

(٣) سبق تخريجه ، ص (١٢٦) .

والحصن الحصين لها في مراحل حياتها المستقبلية ، فتظل عقيدتها وأخلاقها ثابتة وسليمة من الانحرافات رغم ما تمر به من متغيرات ومؤثرات خارجية مضادة للتربية الإسلامية الصحيحة .

والتربية الإيمانية التي تتفرد بها التربية الإسلامية الصحيحة تعد صورة من صور الكمال التي تميزها عن غيرها من التربيات ، ومن أبرز خصائصها ، وما سبق من مبادئ تربوية في الفصل الثالث كما لاحظنا إنما هو مرتكز على الجانب الإيماني بالدرجة الأولى ، فلا تتحقق هذه المبادئ إلا بتأصيل هذا الجانب في نفوس الأولاد .

لذا على المربي تعريف المتربي بالله تعالى وعبادته بالمعنى الواسع ، فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة والبراءة مما ينافي ذلك ويضاده . (١)

قال تعالى : ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ يَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ...﴾ . (٢)

فغرس العقيد الصحيحة في نفس الناشئة إنما هو تربية أخلاقية بحد ذاتها فالإيمان إنما ينبع ويترتب ويرتبط ارتباطا وثيقا بالأخلاق الفاضلة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن» . (٣)

ومن مظاهر التربية الإيمانية والأخلاقية ما يلي :

(١) الجلال ، عائشة عبد الرحمن سعيد : المؤثرات السلبية في تربية الطفل وطرق علاجها ، دار المجتمع ، جده ، ١٤١٢هـ ، ص (١٠٠) ، نقلًا عن : الشيخ حافظ حكيم ، ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية ، دار الإصلاح ، (د . ت) ، ص (٦) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٨٥) .

(٣) سبق تخريجه ، ص (٢١٦) .

١- تعريف الناشئة بالله تعالى وعظمته وقدرته :

ويتم ذلك من خلال تزويد الناشئة بالبراهين الدالة على وجود الله تعالى ، قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِجَاجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُضٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. (١)

وكذا التأمل والتفكر في مخلوقات الله تعالى ، قال تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾. (٢)

فيتأصل في نفس الناشئة الإيمان بوجود الله تعالى وقدرته فلا يخضع إلا لله تعالى ويعلم أنه وحده سبحانه المستحق للعبادة ، والشكر والمحبة ، فعن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: إِحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، إِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجِئَتِ الصُّحُفُ» (٣)، وكذا ترغيبه بما عند الله تعالى وما أعدده للعباد الطائعين له ، وترهيبه مما أعدده للعاصين الجاحدين له ، وعندما يزود الناشئة بالمعرفة الصحيحة عن الله تعالى ينشأ على مراقبته في السر والعلن لإيقانه بعلم الله تعالى وإحاطته به ، فيكون ضميره حيا متيقظا على الدوام ،

(١) سورة الرعد : الآية (٣-٤).

(٢) سورة ق : الآية (٦-١١).

(٣) سبق تخريجه ص (١٣١) .

فالضمير الحي يربي الناشئة على الصدق والإخلاص والرحمة والتواضع ، فيخضع ويخشع لله تعالى ، ويستقيم سلوكه ، فيصل لمرتبة التقوى ، قال تعالى : ﴿يَبْنِيْ اِنَّهَا اِنْ تَكُ مِنْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمَاوَاتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَاتِ بِهَا اَللّٰهُ اِنَّ اَللّٰهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ...﴾ (١) و قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَتَحَنُّ اَقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِ...﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْاَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ اَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيْرٌ...﴾ (٣).

٢- تزويد الناشئة بالعلم الضروري المتضمن لمبادئ الإسلام وأحكامه :

فعلى الوالدين أن يحرصا على تزويد أولادهم بالعلم الضروري الذي يتضمن أحكام الإسلام ومبادئه ، التي تتعلق بتنظيم منهج حياته في علاقته بربه وبنفسه وبالآخرين من حوله بل مع الكون كله ، وأثارها في الدنيا والآخرة ، فتبصيره بذلك يجعله يقيم منهج حياته عن وعي وإدراك صحيح يضمن سيره بقوة وثبات وفق الخط السليم الذي رسمته له التربية الإسلامية .

٣- التوجيه الديني للناشئة :

على الوالدين توجيه الناشئة منذ نعومة إظفاره الوجه الدينية وربطه بالدين في كل شأن من شؤون حياته ، فأول ما يقرع في أذنيه شهادة التوحيد ، عن عبْدِ اللهِ بنِ أبي رافع عن أبيه ، قال: رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَذَّنَ فِي اُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِيْنَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلَاةِ . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في

(١) سورة لقمان : الآية (١٦).

(٢) سورة ق : الآية (١٦).

(٣) سورة الحديد : الآية (٤).

العقيقة من غير وجه: عن الغلام شاتان مكافئتان. وعن الجارية شاة. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً: أنه عقَّ عن الحسن ابن علي بشاة^(١).

ففي ذلك حمايته من الشيطان عند خروجه إلى هذه الدنيا ، وكذا يربي على ذكر الله تعالى ، فيعود على المداومة على أذكار اليوم والليلة التي تكون له حرز من الشيطان طوال يومه ، عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول: اللهم باسمك أموت وأحيا. وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور»^(٢).

٤- تعويده على ممارسة الشعائر الدينية منذ الصغر :

فعلى الوالدين المسلمين تعويد الطفل منذ الصغر على ممارسة العبادات التي فرضها الإسلام ، مع بيان آثارها عليه في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(٣)

فتعويد الناشئة على ممارسة العبادات منذ وقت مبكر يساعد على تربيته على المبادئ الخلقية الفاضلة ، فيعوده الأولاد على أداء الصلاة ، و اصطحابهم للمسجد إن كانوا ذكورا ، قال تعالى : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَاتًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سِنِينَ وَاصْرَبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ

(١) سبق تخريجه ، (١٣٠) .

(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الدعوات ، باب وضع اليد اليمنى تحت الخد ، رقم الحديث (٦٣١٤) ، ص (٧٥٥٢) .

(٣) سورة الحج : الآية (٣٢-٣٣) .

(٤) سورة البقرة : الآية (٢٣٨-٢٣٩) .

عَشْرًا، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» (١).

، فحين يتعود الطفل على أدائها تظهر آثارها عليه ، فتدوم وتتجدد صلته بالله تعالى و تنهذب أخلاقه ، قال تعالى : ﴿ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢).

وكذلك في محافظته على أوقاته وتنظيمها ، حيث يتعلم المحافظة على وقته وتنظيمه ، قال تعالى : ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾ (٣).

وتلعب القدوة بالنسبة لأداء العبادات دور مهم ، فعلى الوالدان أن يكونان قدوة صالحة لأولادهما.

٥- تربيته على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته وتلاوة القرآن :

فحب القرآن وتلاوته ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته عندما تغرس في نفس الناشئة تتأصل مبادئ التربية الإسلامية في نفس الناشئة فينعكس أثر ذلك على سلوكه ، والسلف الصالح أدركوا مدى التأثير العظيم لذلك على سلوك الناشئة ، فكانوا من أول ما يعلمون أولادهم تلاوة القرآن وسنة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الخلفاء حريصين على أن يكون أول ما يتعلمه أبنائهم من العلوم ، وقد أشار العلماء إلى أهميته حيث بين ابن خلدون انه شعار من شعائر الدين وهو المعمول به في الأمصار الإسلامية ، وتعلمه في الصغر يكون أكثر رسوخا وأعمق في زيادة الإيمان ، وهو أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل للمتعلم فيما بعد من ملكات . (٤)

(١) سبق تخريجه ، ص (١٣٨) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٤٥) .

(٣) سورة الماعون : الآية (٤ - ٦) .

(٤) ابن خلدون : " المقدمة " ، مرجع سابق ، ص (٥٠٥) .

(ب) الجانب الجسدي :

إن الروح والجسد جزء لا يتجزأ في التربية الإسلامية لذا فإن الروح لا تقوم ما لم يكن الجسد صحيحا سليما يهيئها لذلك .

قال الغزالي في رياضة الصبيان : " بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضائته وإرضاعه إلا امرأة سالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث. " (١)

فالجانب الجسدي مرتبط أشد الارتباط بالجانب الخُلقي ، لذا عُنيت مبادئ التربية الإسلامية بالاهتمام بالجسد وقد بينت للوالدين المبادئ الأساسية للاهتمام به وتربيته التربية الإسلامية الصحيحة ، فمن خلاله يقوم الإنسان بمهمته في عمارة الأرض التي هي الوسيلة الأساسية لتحقيق الهدف الأساسي وهو تحقيق العبودية لله تعالى ، ومن مظاهر العناية بالجسد ما يلي :

١ - العناية بالأم وصحتها :

إن صحة الولد إنما تتوقف على صحة الأم منذ البداية وحتى قبل أن يخرج إلى الدنيا ، لذا نجد الإسلام ركز على هذا الجانب ، فقد أوصى بالعناية بالأم قبل الحمل وبعده ، قال تعالى : ﴿ ... وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يَوْلَدُهُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ . (٢)

فالأهمية الناحية الجسمية يوصي الله تعالى الآباء بالنفقة على الأم لأنها المرضعة

(١) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٧٢) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٣٣) .

والحاضنة للوليد وعليها تتوقف رعايته الجسمية ويحذرهم من التهاون في هذا الحق. (١)

فتتوقف صحة الطفل منذ الحمل والوضع والرضاعة والحضانة ، وكذا مراحل النمو الأخرى على صحة الأم .

٢ - العناية بتغذيته وصحته :

من مظاهر عناية التربية الإسلامية بتغذية تشمل :

- العناية بتغذيته في جميع مراحل حياته بما يتناسب مع كل مرحلة، فنموه وقيامه بمختلف أنواع النشاط الجسمي والعقلي يتوقف على صحته الجسمية المرتبطة بغذائه ارتباطا وثيقا قال تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِيَ الرِّضَاعَةَ﴾ (٢) ، فالزم الإسلام الوالدان بإرضاع الطفل وحدد مدته.

- تحريم الأطعمة الضارة على الجسم والعقل ، فقد اقر الإسلام بأن العقل السليم في الجسم السليم ، قال تعالى : ﴿وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ﴾ (٣) ، وحرّم الإسلام الخمر لضرره على العقل، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ...﴾ (٤)

- ضرورة الاعتدال في المأكّل والمشرب ، قال تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٥).

- تربية الناشئة على النظافة ، عن الزهريّ قال طاووسٌ : «قلتُ لابن عباس: ذكروا أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: اغتسلوا يومَ الجمعةِ واغسلوا رؤوسكم

(١) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (٢٤٨) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٣٣) .

(٣) سورة الأعراف : الآية (١٥٧) .

(٤) سورة المائدة : الآية (٩٠) .

(٥) سورة الأعراف : الآية (٣١) .

وإن لم تكونوا جُنُباً وأصيبوا من الطيب. قال ابن عباس: أما الغسلُ فنعم، وأما الطيبُ فلا أدري». (١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه «الفِطْرَةُ خمسٌ - أو خمس من الفِطْرَةِ - الختانُ والاستحدادُ وبتفُّ الإبطِ وتقليمُ الأظفار وقصُّ الشارب». (٢)

وعن أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشقَّ على أمّتي لأمرتهم بالسواك عند كلِّ وضوء». (٣)

- وقاية الأولاد من الأمراض ، فعلى الوالدين تقع مسؤولية كبيرة في حماية أولادهم من الأمراض ، و الإسلام اقر سبل الوقاية من الأمراض ، قال تعالى : ﴿ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ لَكُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ (٤)

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الطاعون رجسٌ أرسل على طائفة من بني إسرائيل - أو على من كان قبلكم - فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه». (٥)

عَنْ جَايِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «عَطُوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، وَأَعْلِفُوا الْبَابَ، وَأَطْفِنُوا السَّرَاجَ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً. فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدَكُمْ إِلَّا أَنْ يَغْرُضَ عَلَى

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ٣، كتاب الجمعة، باب الدهن للجمعة، رقم الحديث (٨٨٤)، ص (١٢٥١).

(٢) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١١، كتاب اللباس، باب قص الشارب، رقم الحديث (٥٨٨٩)، ص (٧٠٧٦).

(٣) المرجع السابق، ج ٥، كتاب الصوم، باب السواك الرطب واليابس، ص (٢٥٢٤).

(٤) سورة النحل: الآية (٨١).

(٥) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، مرجع سابق، ج ١، كتاب الأنبياء، باب...، رقم الحديث (٣٤٧٣)، ص (٤٠٧٧).

إِنَائِهِ عُوْدًا، وَيَذَكِّرَ اسْمَ اللَّهِ، فَلْيَفْعَلْ. فَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ» (١).

- أقرت التربية الإسلامية مبدأ التداوي وطلب الدواء ، فإذا أصيب الإنسان

بالمرض فقد ارشد الإسلام إلى طرق العلاج ، فجعل التداوي مبدأ مهم ، عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ. فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». (٢)

- تعويد الأولاد على ممارسة الرياضة .

إن مبادئ الإسلام إنما هي متضمنة لهذا الجانب ومن ذلك الجانب التعبدي فالصلاة مثلا من معانيها التربوية أنها رياضة للبدن في صفة تأديتها ، بالإضافة إلى ذلك رغب الإسلام في ممارسة الرياضة خارج هذا الإطار ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسابق عائشة رضي الله عنها ، فعنها ، قالت: خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدين، فقال للناس: «تَقَدَّمُوا» فتقدموا، ثم قال لي: «تَعَالِي حَتَّى أُسَابِقَكَ» فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تَقَدَّمُوا» فتقدموا، ثم قال: «تَعَالِي حَتَّى أُسَابِقَكَ» فسابقته، فسبقتني فجعل يضحك، وهو يقول: «هَذِهِ بَيْتُكَ». (٣)

، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ، فالإسلام بيّن الفوائد العظيمة التي يجنيها المسلم من الرياضة ، فهي تعود عليه بالفائدة في الصحة الجسمية والنفسية والخلقية .

٣- مراعاة القواعد والآداب الخاصة بالطعام والشراب والنوم والمظهر :

إن مبادئ التربية الإسلامية عُنيّت بالناشئة من جميع النواحي حتى ما يخص

(١) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، كتاب الأشربة ، باب استحباب تغطية الإناء وإيكاء ، ص (١٨٢) .

(٢) المرجع السابق ، ج ١٤ ، كتاب السلام ، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ، ص (١٩١) .

(٣) أحمد بن حنبل : " مسند أحمد " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص (٢٦٤) .

طريقة أكله وشربه ونومه ، فقد هذبتها وأعلتها عن مستوى البهيمية ، وهذا إنما ينطلق من مبدأ تكريم الإنسان ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ...﴾ . (١)

فحفتها بجملة آداب على الوالدين غرسها في نفوس أولادهم ، ومنها :

- آداب الطعام ، عن عمر بن أبي سلمة قال: كنتُ غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيشُ في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: يا غلامُ، سَمَّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك. فما زالت تلك طعمتي بعدُ. (٢)

شكر الله تعالى على نعمه ، و عن أبي أمامة رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رَفَعَ مائدته قال: الحمدُ لله كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مكفي ولا مُودَع ولا مُستَغْنَى عنه ربنا». (٣)

فيتربى الناشئة على شكر الله تعالى على نعمه ، فهو الواهب دون سواه .

قال الغزالي : " وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه، مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه، وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وأن لا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل، وأن لا يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغ، وأن لا يوالي بين اللقم ؛ ... ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهايم، وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل، وأن يحبب إليه الإيثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان" (٤)

- آداب النوم والاستيقاظ ، وضحت التربية الإسلامية ما يتعلق بالنوم من الآداب مثل النوم على الجانب الأيمن وقراءة أذكار النوم والاستيقاظ ، فيرتبط الناشئة

(١) سورة الإسراء : الآية (٧٠).

(٢) سبق تخريجه ، ص (١٣٩).

(٣) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه ، رقم الحديث (٥٤٥٨) ، ص (٦٥٥٢) .

(٤) الغزالي : "إحياء علوم الدين" ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٧٢) .

بأنه تعالى في جميع أحواله ، عن البراء بن عازب ، قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه نام على شِقِّهِ الأيمن، ثم قال: «اللَّهُمَّ أسَلِّمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، ووجَّهْتُ وجهي إِلَيْكَ، وفوضتُ أمري إِلَيْكَ، والجاتُ ظهري إِلَيْكَ، رغبة ورهبة إِلَيْكَ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إِلَيْكَ، أمنتُ بكتابِكَ الَّذِي أنزلتَ، ونبيِّكَ الَّذِي أرسلتَ». وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «من قالهنَّ ثم مات تحت ليلته مات على الفِطْرَةِ» (١)

- العناية بالمظهر الجميل ، فالمظهر الجميل له تأثير على شخصية المسلم وتميزه ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال: «كَانَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَكَّةٌ يَتَطَيَّبُ مِنْهَا». (٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ». (٣)

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، قال: «أَتَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى رَجُلًا شَعْنًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَا يُسْكَنُ بِهِ شَعْرَهُ، وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَا يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ». (٤)

(ج) الجانب العقلي :

إن العقل من أول شروط تحقق الإسلام ، فبالعقل يدرك الإنسان الإسلام ومبادئه ويستطيع تطبيقها ، لذا اعتبرته التربية الإسلامية من الضروريات التي ينبغي المحافظة عليها ، وهي داخلة ضمن مسؤولية الوالدين ، ويتحقق محافظتهما عليه من خلال ما يلي :

- (١) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الدعوات ، باب النوم على الشق الأيمن ، رقم الحديث (٦٣١٥) ، ص (٧٥٥٣) .
- (٢) أبادي : "عون المعبود شرح سنن أبي داود" ، مرجع سابق ، ج ١١ ، كتاب الترجل ، باب في استحباب الطيب ، ص (١٧١) .
- (٣) المرجع السابق ، باب في إصلاح الشعر ، ص (١٧٢) .
- (٤) المرجع السابق ، كتاب اللباس ، باب في الخلقان وفي غسل ، ص (٨٨) .

١- تنوير العقل بالمعارف :

تزويد الناشئة بالعلوم الضرورية التي من خلالها يتمكن من تطبيق مبادئ الإسلام الأساسية على الوجه الصحيح ، بالإضافة إلى تزويده بالمعارف والعلوم التي تعينه على عمارة هذه الأرض على الوجه الذي ابتغاه الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . (١)

٣- تنمية المهارات العقلية لدى الناشئة :

ويتم ذلك من خلال تدريبه على التفكير والتحليل من خلال التأمل في الكون ، فيتحرر عقله من كل القيود ، فلا يخضع إلا لما يوافق العقل والفطرة السليمة ، قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ . (٢)

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . (٣)

٤- حماية العقل من الأضرار :

فعلى الوالدين حماية عقل الناشئة من كل ما يؤدي به إلى الضرر من أضرار معنوية كالبدع والخرافات ، قال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَخُذُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْتَبِعُوا آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ . (٤)

(١) سورة العلق : الآية (١-٥) .

(٢) سورة الروم : الآية (٨) .

(٣) سورة البقرة : الآية (١٧٠-١٧١) .

(٤) سورة البقرة : الآية (١٠٢) .

وكذا عليهما حمايته من الأضرار الحسية كالخمر والمخدرات والتدخين ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ...﴾. (١)

(د) الجانب الاجتماعي :

ويتضمن هذا الجانب تربية الناشئة في علاقته مع الآخرين ، فإن الإنسان اجتماعي بفطرته التي فطره الله عليها ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٢) ، فالإنسان محتاج إلى غيره في طرق تحصيل ضروريات حياته وضمان بقاءه واستمراره ، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع ، فهذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني، ليتحقق استخلافهم في الأرض. (٣)

وتمشياً مع هذه الفطرة الإنسانية نظم الإسلام علاقة البشر مع بعضها البعض وفق ضوابط وأداب فصلتها نصوص الكتاب والسنة ، حيث نظمتها بشكلها الواسع الذي يشمل المجتمع المسلم وغير المسلم مما يهدف إلى تقوية روابط أفراد المجتمع ، ونظمتها بما يضمن تحقيق مبدأ الخلافة بشكل سليم ، فعلى الوالدين تربية أبنائهم بما يضمن لهم التفاعل الصحيح في مجتمعهم وفق المنهج الإسلامي .

- فالتربية الإسلامية نظمت علاقات الفرد مع من حوله من الوالدين والأقارب وغيرهم ، قال تعالى : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾. (٤)

(١) سورة المائدة : الآية (٩٠).

(٢) سورة الحجرات : الآية (١٣).

(٣) ابن خلدون : " المقدمة " ، مرجع سابق ، ص (٩٣) .

(٤) سورة النساء : الآية (٣٦).

فالآية دلت على حلقات اجتماعية مهمة لا بد أن يراعيها الإنسان وقد سبق تفصيلها، وضع الإسلام الآداب والمبادئ التي تقوم عليها هذه الحلقات ، فهي قائمة على أساس رابطة الدين الإسلامي .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون * وَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ إِلِيَّا رَاجِعُونَ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾ (١) .

عن أبيه أبي موسى رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً. ثم شبك بين أصابعه» . (٢)

وكذا قامت هذه العلاقات على جملة من المبادئ الأخلاقية مثل المحبة والصدق ، والتعاون ، قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٣)

والوفاء بالعهود ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ... ﴾ (٤)

عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٥) ، و عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى أن يُقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه

(١) سورة الأنبياء : الآية (٩٢-٩٤).

(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب تعاون المؤمنين ، رقم الحديث (٦٠٢٦) ، ص (٧٢٢٠) .

(٣) سورة المائدة : الآية (٢) .

(٤) سورة المائدة : الآية (١) .

(٥) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، رقم الحديث (١٣) ، ص (٧٩) .

الله، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما». (١) ، و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعبادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العطس». (٢)

وتقوم علاقة المسلم مع المسلمين على حفظه لسانه ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ . (٣)

- تنظيم العلاقات الاجتماعية مع غير المسلمين وجعلها في ضوء مبادئ محددة ومعينة ، قال تعالى ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تُوَلُّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ . (٤)

قال تعالى : ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَن آعَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَآعَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آعَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥) .

و حذر الإسلام من مولاة الكفار وطاعتهم في معصية الله ، قال تعالى : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ

(١) المرجع السابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الحب في الله ، رقم الحديث (٦٠٤١) ، ص (٧٢٣٦) .

(٢) سبق تخريجه ، ص (١٢٢) .

(٣) سورة الحجرات : الآية (١٢) .

(٤) سورة الممتحنة : الآية (٧-٩) .

(٥) سورة البقرة : الآية (١٩٤) .

إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» . (١)

وكذا عدم التشبه بهم بل للمسلم شخصية مستقلة لا تذوب في باقي الهويات ،
عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُعِثْتُ بَيْنَ
يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسِّيفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رَمْحِي،
وَجُعِلَ الدَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» . (٢)

والمسلم مكرم على غيره ، قال تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» . (٣)

وبهذه المبادئ المختلفة في الجانب الاجتماعي ضمنّت التربية الإسلامية للوالدين
تربية الأبناء على أساس سليم ، وناجح على الإطلاق .

(١) سورة آل عمران : الآية (٢٦).

(٢) أحمد بن حنبل : "مسند أحمد" ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٥٠) .

(٣) سورة المائدة : الآية (٥١) .

المبحث الرابع

أساليب الأسرة التربوية في غرس المبادئ المتضمنة في كتاب الأدب من

صحيح الإمام البخاري :

ويمثل هذا الجزء من الدراسة الناحية التطبيقية التي على الوالدان أن يسلكانها من خلال تطبيق أساليب^(١) تربوية تساعدهما على تربية الأولاد على المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري ، حيث أنهما الشخصيتان الأساسيتان التي يبدأ تأثيرها ويدوم في شخصية الأولاد داخل الأسرة ، و فيما يلي ما يخص أساليب الأسرة في غرس المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري رحمه الله :

١- تأسيس الأسرة على أساس صالح :

ليكون الوالدان قدوة صالحة للأبناء ، ينبغي أن يكون بداية تكوين هذه الأسرة على أساس اختيار الشريك الصالح - كما سبق - ، و الصلاح كما سبق هو تطبيق مبادئ الإسلام ...^(٢)

فالوالدان هما اللذان يحددان نوع السلوك الذي يسلكه الأبناء ، لأن الأبناء يتشربان من والديهم جميع أنواع السلوك دون تمييز وخاصة في السنوات الأولى ، قال صلى الله عليه وسلم : «ما من مولود إلا يُولدُ على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء».^(٣)

فالنفس البشرية مفضرة على افتقاد القدوة والبحث عنها لتجسد لها منهج الحياة الذي تسير عليه ، لذا تتجلى حكمة الله تعالى في إرسال الرسل مع كتبهم التي ترسم

(١) راجع : قطب ، محمد : "منهج التربية الإسلامية" ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (١٨٠-٢١٥) ، النحلوي : "أصول التربية الإسلامية" ، مرجع سابق ، ص (٢٠٥-٢٩٠) ، وعلوان : "تربية الأولاد في الإسلام" ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٤٧٦-٥٧٥) .

(٢) عطار : "الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية" ، مرجع سابق ، ص (١٤٧) .

(٣) سبق تخريجه ، ص (١٢٦) .

للأمم هذه منهج الحياة السليمة ويجسد أنبيائهم هذه المبادئ على ارض الواقع، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم كان الأسوة للبشرية جمعاء ، فجسد على ارض الواقع جميع مبادئ الإسلام .

قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾ (١).

عن قتادة رضي الله عنه قال : قلت : يا أم المؤمنين -عائشة رضي الله عنها - ، أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت :ألست تقرأ القرآن ؟ قلت بلى ، قالت : فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن (٢)

فالشواهد في النصوص السابقة على تطبيقه صلى الله عليه وسلم لهذه المبادئ كثير كما مر في الفصل السابق ، فكان يمثل الترجمة العملية لهذه المبادئ المنزلة في القرآن الكريم ، فغرس صلى الله عليه وسلم هذه المبادئ التربوية في عقول وقلوب صحابته عن طريق اقتدائهم به فكانوا قرآن يمشي على الأرض ، فعلى الوالدان أن يجسدان مبادئ الإسلام في سلوكهما لتكون واقع ملموساً للأولاد يسيرون عليه ، وليكن قدوتهم الأولى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد روي أن عقبة بن أبي سفيان قال لمؤدب ولده : " ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينيك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ... " (٣)

٢- بناء العلاقة بين الوالدين على أساس المودة والرحمة والاحترام :

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤).

فهذا الأساس هو الذي تقوم عليه العلاقة الزوجية التي تهيب الأباء ليكونا قدوة صالحة لأولادهم، فالأولاد إنما يتأثرون بوالديهم لأنهم يعتقدون أن ما يصدر عنهم من

(١) سورة الأحزاب : الآية (٢١).

(٢) احمد بن حنبل : " مسند احمد " ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص (٥٤).

(٣) علوان : " تربية الأولاد في الإسلام " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٤٩٩).

(٤) سورة الروم : الآية (٢١).

سلوك إنما هو الصحيح على الإطلاق^(١)، ومخالفة الوالدين لذلك ، بإظهار الخلافات أمام الأولاد يؤدي إلى زعزعة هذه القدوة فتضعف أو تلغي من أذهانهم .

٣- الاستمرارية والثبات في تطبيق المبادئ التربوية:

على الوالدين الالتزام بالاستمرارية والثبات في تطبيق المبادئ التربوية السابقة لضمان استمرارهم كقدوة صالحة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾^(٢) ، فموافقة القول للفعل بالنسبة للقدوة أمر مهم والاستمرار عليه أمر أهم ، لذا فالنبي صلى الله عليه وسلم عندما دعا إلى الرفق واللين طبق ذلك في سلوكه ، فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهَّمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ». ^(٣) فالنبي صلى الله عليه وسلم نبه عائشة رضي الله عنها إلى تطبيق مبدأ الحلم ، والتزامه أيضا أمام الصحابة من خلال موقفه مع الإعرابي عندما عامله بقسوة وغلظة ، فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالتبسم بل وأمر له بالعطاء ، فانغرس هذا المبدأ وثبت في نفوس الصحابة حيث شاهدوا الموقف وشاهدوا حلم النبي صلى الله عليه وسلم فوافق قوله فعله ، واكبر دلالة على موافقة قوله صلى الله عليه وسلم فعله انه كان ترجمة عملية لما ورد في القرآن الكريم من مبادئ .

٤- ربط الأولاد بقدوات صالحة :

على الوالدين ربط الأولاد بالقدوات الصالحة التي أولها مربى البشرية النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد مثل لنا من خلال مواقف التربوية المتعددة المبادئ

(١) باحارث : "مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة" ، مرجع سابق ، ص (٦٥).

(٢) سورة الصف : الآية (٢-٣)

(٣) العسقلاني : "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب الرفق في الأمر كله ، رقم الحديث (٦٠٢٤) ، ص (٧٢٢٠).

السابقة بتفاصيلها ، وكذلك ربط الأولاد بقصص الأنبياء الذين ضربوا لنا أروع الأمثلة على هذه المبادئ ، والصحابة الكرام الجيل الذي رباه النبي صلى الله عليه وسلم كان خير جيل ففي سيرتهم خير مثال على هذه المبادئ ، وكذا السلف الصالح من بعدهم سواء في العصور الإسلامية السابقة أو العصر الحاضر ، قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَ ﴾ (١).

٥- بناء العلاقة بين الأولاد والآباء على أساس الأخلاق الفاضلة :

فعلى الوالدين بنا العلاقة بينهم وبين الأولاد على أساس الأخلاق الفاضلة من رحمة وتواضع وحلم ونحو ذلك ، ليكون الآباء قدوة فاعلة في تربية أولادهم على هذه المبادئ وتطبيقها، فالنبي صلى الله عليه وسلم من خلال خلقه الجم كسب قلوب صحابته وقبولهم قال تعالى : ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٢) ، وبلغ من محبة صحابة النبي صلى الله عليه وسلم له تفضيله على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، والتاريخ الإسلامي يسطر الشواهد الكثيرة على ذلك ، منها قصته صلى الله عليه وسلم مع الأنصار عندما قسم العطايا ولم يعطي الأنصار فغضبوا ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم من خلال أسلوبه وموقفه التربوي العظيم استطاع أن يرضي الأنصار وان يخرس فيهم المبادئ الإسلامية العظيمة ، فبدل ذلك على محبة صادقة للأنصار لرسول صلى الله عليه وسلم وعمق الإيمان الذي غرسه في نفوسهم ، فقد اجتمع بهم وحاورهم بأسلوب تربوي يدل على قدرة هذا المربي العظيم في النفاذ إلى عمق النفوس ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جمع النبي صلى الله عليه وسلم ناساً من الأنصار فقال: إن قريشاً حديث عهد بجاهلية ومصيبة، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم. أما ترضون أن يرجع الناس بالدين، وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

(١) سورة الأنعام : الآية (٩٠).

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٥٩).

بيوتكم؟ قالوا: بلى. قال: لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار». (١) وفي رواية لأحمد يقول: «فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، قال: فبكى القوم حتى أخصلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقنا». (٢) ، ومن الأمثلة كذلك حديث عقبة بن عامر فالنبي صلى الله عليه وسلم يبادر بالأخذ بيده ليهمس في أذنه بمبدأ تربوي عظيم برفق ، فما أعظمه من أسلوب رقيق رحيم ، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله فبدرته فأخذت بيده وبدرني فأخذ بيدي، فقال: «يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة، تصل من قطعك، وتُعطي من حرملك، وتغفو عن ظلمك، ألا ومن أراد أن يمده في عمره وييسط في رزقه فليصل ذا رحمه». (٣)

وهذه المحبة جعلتهم يطبقون سلوكه صلى الله عليه وسلم في كل صغيره وكبير في حياتهم فكانوا قرآن يمشي على الأرض ، قال تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ... ﴾ (٤). وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي النَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِجْحِيلِ كَزَّرَعٍ أُخْرَجَ شَطْأُهُ فَازْرَرَهُ فَاسْتَعْظَمَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ يَعْجِبُ الْزُّرَّاعَ لَيَغِيظُ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٥).

(١) العسقلاني: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف في شوال ، رقم الحديث (٤٣٣٤) ، ص (٤٩٤١) .

(٢) احمد بن حنبل: "مسند احمد" ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٧٧) .

(٣) سبق تخريجه ، ص (١١٣) .

(٤) سورة الذاريات : الآية (١٧-١٩) .

(٥) سورة الفتح : الآية (٢٩) .

٦- التركيز على تربية الولد الأكبر :

على الوالدين محاولة التركيز على تربية الولد الأكبر ليكون قدوة لأخوته فيما بعد لأنه الأكثر تأثيراً فيهم بعد الوالدان^(١)، فيغرسان فيه المبادئ التربوية السابقة من بر والدين والأقارب والجار....

٧- استخدام أساليب الإقناع :

إن إقناع الأولاد بالمبادئ التربوية السابقة وما تحويه من فضل واثراً في الدنيا والآخرة ، يسهل على الوالدين غرسها في نفوس أولادهما ومن ثم تطبيقها بسهولة ، فالإقناع لغرس هذه المبادئ في التربية الإسلامية أسلوب تربوي فعال ، فمن خلاله ننفذ إلى شعورهم وعقولهم وبالتالي يظهر أثره على سلوكهم ، ويتم ذلك عن طريق:^(٢)

١- أسلوب الحوار :

الحوار المتبادل بين الآباء والأولاد ، وفق ما جاء في التربية الإسلامية ، قال تعالى : **﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**.^(٣)

وقال تعالى : **﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾**.^(٤)

فهذا أسلوب حوار يعتمد على التأثير على العاطفة واستدراج العقل لبيان جملة مبادئ مما يدفعه للوعي بأهميتها وبالتالي تطبيقها .

وتنوع أسلوب الحوار أمر مهم ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يعمد إلى تنوع أسلوب حوارهِ لتربية صحابته وجذب اهتمامهم ، ومن ذلك استخدامه صلى الله

(١) علوان : " تربية الأولاد في الإسلام " ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص (٤٩٦) .

(٢) النحلاوي : " أصول التربية الإسلامية " ، مرجع سابق ، ص (٢٠٦ - ٢٣٣ ، ٢٧٢ - ٢٩٥) .

(٣) سورة لقمان : (١٣) .

(٤) سورة لقمان : (١٧) .

عليه وسلم لأسلوب التكرار لتبنيه على عظم الأمر الذي يدعو إليه أو يحذر منه ، فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أكبر الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور وشهادة الزور (ثلاثاً) أو قول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت». (١) وكان تارة يستخدم الاستفهام ، فعن حارثة بن وهب الخزاعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر». (٢) ، ونحو ذلك من أساليب الحوار التي ينفذ المرابي من خلالها الإقناع المترابي بالمبادئ الإسلامية وتطبيقها عن وعي وقناعة ، فحري بالوالدين التنبيه لهذا الأسلوب في غرس المبادئ السابقة وغيرها.

٢- أسلوب الموعظة :

الإقناع عن طريق الموعظة من خلال نصح المترابي ببيان أثار تطبيق هذه المبادئ أو مخالفتها على العبد في الدنيا والآخرة ، و تذكيره بقدرة الله تعالى والموت وباليوم الآخر والحساب كل ذلك يوقظ شعور المترابي لتطبيق مبادئ التربية الإسلامية عن عدي بن حاتم قال: «ذكر النبي صلى الله عليه وسلم النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه، ثم ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه. قال شعبة: أما مرتين فلا أشك، ثم قال: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم يكن فبكلمة طيبة». (٣)

٣- الترغيب والترهيب :

والإقناع عن طريق استغلال فطرة الإنسان من حب للذة ونفور من الألم يساعد على غرس المبادئ التربوية في نفس الناشئة وهذا هو أسلوب الترغيب والترهيب . ويتمثل هذا الأسلوب في الكثير من نصوص الكتاب والسنة ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم

(١) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، كتاب استتابة المرتدين .. ، باب أثم من أشرك بالله وعقوبته ...، رقم الحديث (٦٩١٩) ، ص (٨٥٠١) .

(٢) سبق تخريجه ، ص (٢٢٦) .

(٣) سبق تخريجه ، ص (٣٤٤) .

بَعْضًا أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرَهُنَّموهُ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١).

فإنه تعالى يحذر من الغيبة والتجسس وسوء الظن بأسلوب تنفر منه النفوس السوية فشبهه مقترفه بأكل لحم أخيه ميتا ، مما يدعو النفس الإنسانية إلى الاشمئزاز فتبتعد عن هذا السلوك الذميم .

٤- أسلوب العبرة :

واستغلال القدرة العقلية للإنسان المتعلقة بالقدرة على الملاحظة الدقيقة والتفكير العميق في المواقف وبالتالي أدراك مكامن الصواب والخطأ ، فيصل المترابي إلى قناعة تامة بتطبيق هذا المبدأ ، ويتمثل ذلك في استخدام أسلوب العبرة في التربية الإسلامية ، وقد ورد هذه الأسلوب في الكثير من النصوص القرآن والسنة لتربية النفوس وغرس المبادئ التربوية فيها ومن خلال سرد القصص للأقوام السابقين وبيان عاقبة أفعالهم ، ومن ذلك قصة جريج التي دلت على عاقبة عقوق الوالدين ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة: عيسى. وكان في بني إسرائيل رجلٌ يقال له جريج كان يُصلي، فجاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تُمنه حتى تُريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبي صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين...» (٢) وهذا الأسلوب يساعد الوالدان على غرس المبادئ التربوية في نفوس الأولاد بأسلوب فعال وسهل وشيق .

(١) سورة الحجرات : الآية (١٢) .

(٢) سبق تخريجه ، ص (٧٨) .

٨- توثيق صلة الأولاد بكتاب الله تعالى حفظا وتلاوة :

على الوالدين ربط أولادهم بكتاب الله تعالى تلاوة متدبرة وحفظا ، فالقرآن له دور كبير في تهذيب سلوك الفرد ، ففي تلاوة الأولاد للقران وتدبر آياته يكتسبون الإيمان الذي يدفعهم إلى تطبيق المبادئ التربوية الإسلامية ، قال تعالى: **«ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ»** (١)، فبالقرآن تصلح عقيدتهم وأخلاقهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبه يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن». (٢).

٩- إشباع الحاجات النفسية والمادية للأولاد بتوازن :

على الوالدين إشباع الحاجات النفسية للأولاد مثل الحاجة للحب والتقدير والحرية والضبط وغيرها ، وكذا الحاجات المادية من مأكلا وملبس وغيرها، باتزان وخاصة في سنوات عمرهم الأولى ، حيث لها تأثير كبير على التربية الأخلاقية . يقول قطب : " الإسلام لا يحارب الفطرة ولكنه يهذبها . إنه يريد للناس أن يحبوا و أن يكرهوا .. لأن هذه فطرتهم ولكن الحب على إطلاقه والكره على إطلاقه يدمران النفس ويبددان طاقتها ، ويوزعانها ، ويستعبدانها فلا نملك الخلاص ! وحين ينقلب الحب والكره إلى شهوة لا ضابط لها فإنها لا تصطدم بالآخرين فحسب ، بل تصادم بعضها بعض داخل النفس وتؤدي إلى البوار .

من أجل ذلك يضع الإسلام " ضوابط " لشهوة الحب والكره . ضوابط تتصل بالروح ، وضوابط تتصل بالعقل . وجميعها يتصل بالله . " (٣)

(١) سورة البقرة : الآية (٢).

(٢) سبق تخريجه ، ص (٢١٦).

(٣) قطب : " منهج التربية الإسلامية " ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص (١٤١) .

ويقول الغزالي: " وأن يحجب إليه الإيثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان،...، ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التتعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة ، وعن مخالفة كل من يسمعه ما يرغبه فيه ."

ويقول أيضا: "وينبغي أن يمنع عن النوم نهاراً فإنه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلاً ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التتعم؛ بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم ، ويمنع من أن يفخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه أو بشيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه وأدواته ، بل يعود التواضع والإكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم، ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئاً بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين، بل يعلم أن الرفعة في الإعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لؤم وخسة ودناءة ، وإن كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطمع والأخذ مهانة ونذلة وأن ذلك من دأب الكلب فإنه يبصص في انتظار لقمة والطمع فيها." (١)

فالإفراط أو التفريط في إشباع هذه الحاجات ينتج لنا شخصية يتسم سلوكها بالكرهية والعدوان والحقد والحسد والتكبر والغضب الذي قد يدفعه إلى بذاءة لسان وقلة حياء ، وقسوة قلب ، في علاقته مع الآخرين من والديه وأقربائه وجيرانه ، فلا نتوقع منه تطبيق المبادئ التربوية السابقة ، لكن اتزان إشباع الحاجات النفسية له الأثر الأكبر على شخصية الأبناء فتنشأ شخصية متزنة في مشاعرهما تجاه الآخرين من حب ورحمة وتواضع وحلم وإيثار ومراعاة حقوق الآخرين لأنها من خلال الضبط المتزن عرفت مسؤوليتها تجاههم.

وهذا الاتزان كان واضح في سلوك النبي صلى الله عليه وسلم مع الأطفال فكان يحملهم على عاتقه و يقبلهم ويضمهم فيزرع فيهم الحب ، ويستمع إليهم ولا يتجاهل مشاعرهم أو آرائهم ويؤثرهم فيما عنده من طعام وغيره بتوازن ، فيشبع فيهم الحاجة إلى التقدير والاحترام ويلبي رغباتهم ما لم تكن معصية لله تعالى ، فيشبع

(١) الغزالي: "إحياء علوم الدين"، مرجع سابق، ج ٣، ص (٧٢-٧٣).

حاجتهم إلى الحرية والضبط باتزان^(١) ، فعن أبو قتادة رضي الله عنه قال: «خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها». (٢) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن عليّ وعندَه الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: من لا يرحم لا يرحم». (٣)

فالاتزان في تربية الطفل ولا سيما في مراحل حياته الأولى له تأثير كبير على شخصيته ، فتربية الطفل في هذه المرحلة العمرية مهم جدا من ناحية إشباع حاجاته الأساسية من قبل الوالدين وعدم تركه في أيدي المربيات الأجنبية اللاتي لا يقمن بتعويض الطفل عن أمه بأي شكل من الأشكال .

وعندما تشبع حاجات الطفل النفسية والمادية ، تنمى فيها المبادئ التربوية الإسلامية العليا.

١٠- الاتزان في الثواب والعقاب :

على الوالدين عدم استخدام الثواب والعقاب بشكل مفرط لأن ذلك يجر لعواقب وخيمة على أخلاق الناشئ ، فيعلمه الكذب والحقد والخداع .
وإذا زاد الثواب يزيد من تدليله و إعجابه بنفسه وغروره ومن ثم يقوده إلى التعالي على غيره والتكبر عليهم ، فلا بد من التوازن ، فيثاب على الخلق الكريم ويعاقب على الخلق الذميمة ويتم ذلك بالمقدار المناسب وفي الوقت المناسب .

يقول الغزالي : "ومهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فإنه ينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح ، ويمدح بين أظهر الناس ، فإن خالف ذلك في

(١) قطب ، محمد على : أولادنا في ضوء التربية الإسلامية ، ط ١ ، مكتبة القرآن ، مصر ، القاهرة ، (د . ت) ، ص (٦٢ - ٦٣).

(٢) سبق تخريجه ، ص (١٤٥).

(٣) المرجع السابق ، رقم الحديث (٥٩٩٧) ، ص (٧١٩٢) .

بعض الأحوال مرة واحدة ينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكشفه ... ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه ... وإن عاد ثانية ينبغي أن يعاقب سرا .. ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا ... فتفتضح بين الناس ، ولا تكثر عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملام ، وركوب القبائح ، ويسقط وقع الكلام من قلبه ، وليكن حافظا هيبه الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانا^(١).

١١- غرس محبة الرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس الأولاد :

فغرس محبة الرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس الأولاد ، يسهل تطبيقهم للمبادئ التربوية السابقة ، فإنما هي مستنبطة من حياته صلى الله عليه وسلم ، وقد اخرج الطبراني عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن .."^(٢)

١٢- استغلال المواقف لغرس المبادئ التربوية في نفوس الأولاد :

على الوالدين استغلال المواقف التي تحدث لهم مع الأولاد أو للأولاد مع غيرهم في ترسيخ المبادئ التربوية الإسلامية في نفوسهم ، لأن عقولهم وقلوبهم في هذه المواقف تكون حاضرة ومنتجة ولا سيما في المراحل العمرية الأولى من حياتهم ، ومثال ذلك أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم الذي اتبعه مع صحابته لتحذيرهم من النميمة ، عن ابن عباس قال: «خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسائين يعدبان في قبورهما، فقال: يعدبان، وما يعدبان في كبيرة، وإنه لكبير: كان أحدهما لا يستتر من البول، وكان الآخر يمشي بالنميمة، ثم دعا بجريدة فكسرها بكسرتين - أو ثنتين - فجعل كسرة في قبر هذا وكسرة في قبر هذا، فقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا».^(٣)

(١) الغزالي: "إحياء علوم الدين"، مرجع سابق"، ج ٣، ص (٧٢) .
(٢) علوان: "تربية الأولاد في الإسلام"، مرجع سابق، ج ٢، ص (٥٠٨).
(٣) سبق تخريجه، ص (٣٢٣) .

١٣- تجنب الأهل الغضب :

على الوالدان تجنب أبنائهم الغضب فهو سبب لكل سلوك سيئ ، وقد أكد علماء النفس على أن الغضب قد يكتسب من الوالدين عن طريق التقليد أو ردة فعل للجو الأسرى السائد كأن يكون مشحون بمشاجرات الوالدين ، الاعتداء على الممتلكات الخاصة بالطفل ، ويوصي علماء النفس لتجنب الطفل أسباب الغضب أن لا يكثروا التدخل في أعمال الطفل وتحديد حركتهم وإرغامهم على الطاعة المجردة ، وكذلك البعد عن الاستهزاء بالطفل ، الابتعاد عن إظهار الغضب أمام الطفل ، وغيرها من الوصايا التي تساعد الطفل على تجنب الغضب . (١)

فالسلك الناتج عن الغضب يحول بين الأهل وتطبيق المبادئ التربوية السابقة من رحمة وتواضع وحلم وحياء وحفظ لسان مما يؤثر على علاقته بالآخرين من الوالدين وأقارب وجيران وضييف .

لذا لابد من إشاعة روح المحبة والتآلف والرفق والعطف بين أفراد الأسرة حتى يكون الجو الأسرى متهيئ لتنشئة الخلفية السليمة ، بالإضافة إلى إتباع وسائل علاج الغضب الواردة في التربية الإسلامية .

١٤- الدعاء بصالح الأهل :

أن يحرص الآباء على الدعاء لأهلهم وتجنب الدعاء عليهم ، فدعاء الأب لولده أو عليه من الدعوات المستجابة ، فعن جابر رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم» . (٢)

(١) محمد ، محمد محمود: علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام ، ط ٣ ، دار الشروق ، جدة ، (١٤١٦هـ) ، ص (١٨١ ، ١٨٢) .

(٢) النووي : " صحيح مسلم بشرح النووي " ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، كتاب الزهد ، باب حديث جابر الطويل ، ص (١٣٩) .

وليكثر الآباء الدعاء بصلاح الذرية ، اقتداء بالأنبياء السابقين ، قال تعالى : ﴿
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ
اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ (١) ، ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ
رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٢) .

فالأولاد إنما هم منحة أو محنة ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ
أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) .

١٥ - تعميق الجانب الإيماني في نفوس الأولاد :

على الوالدين أن يغررسوا في نفوس أولادهم مراقبة الله تعالى وخشيته في السر
والعلن عن طريق العناية بالجانب الإيماني - كما سبق بيانه في المبحث لخاص
بوظائف الأسرة - (٤) فجوانب التربية الإسلامية مرتبطة ببعضها البعض ، ويعتمد
الجانب الخلقى بالدرجة الأولى على الجانب الإيماني ، ومواقف السلف الصالح تدل
على اهتمامهم بذلك ، فهذا محمد بن سوار من خلال موقفه مع ابن أخته استطاع أن
يغرس هذا الجانب ويعمقه في نفسه فكان أثره الواضح على سلوكه ، يقول الغزالي :
قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة
خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت: كيف أذكره؟ قال:
قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك، الله معي الله
ناظر إليَّ الله شاهدي ... فقلته فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي
خالي: أحفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم
أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من

(١) سورة إبراهيم : الآية (٣٩ - ٤٠) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (٣٨) .

(٣) سورة التغاين : الآية (١٤ - ١٥) .

(٤) راجع ، ص (٣٧٢) .

كان الله معه وناظراً إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية...» (١)

فكان لهذه التربية الإيمانية الأثر الكبير على سلوكه حيث حفظ القرآن وتعلم العلم النافع وتحلى بمكارم الأخلاق .

١٦- العدل بين الأولاد :

على الوالدين الحرص على العدل بين الأولاد ، فتنفضيل بعض الأولاد على بعض له أثر كبير في توليد مشاعر الكراهية تجاه بعضهم البعض وكذلك تجاه والديهم ، فيتناقض ذلك مع مبدأ برهم والإحسان إليهم وكذا صلة الرحم ، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَالَ: تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِيَعْضِ مَالِهِ فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُشْهَدَهُ عَلَيَّ صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَالِدِكَ كُلَّهُمْ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ» فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ. (٢)

فينبغي للوالدين توزيع محبتهم واهتمامهم وتشجيعهم وعطائهم بين الأبناء بالتساوي ، وأن لا يُظهرا التمييز في محبة احدهم دون الآخر وأن ظهر عليه تميزه بذكاء أو غير ذلك .

١٧- التدرج في غرس المبادئ التربوية الإسلامية :

التدرج في الأساليب التي يغرس من خلالها المبادئ السابقة من حيث مراعاة سن المتربي وسماته الشخصية .

فعلى الوالدين استخدام أساليب تربوية تتوافق مع كل مرحلة عمرية للولد لتنمية المبادئ التربوية والأخلاقية لديه " فالطفل في مراحل نموه الأولى يتقبل القيم الخلقية من الكبار دون مناقشة أو فحص أو نقد أو تمحيص ، أي يقبلها عن طيب خاطر ، وعندما يتقدم في السن يأخذ في مناقشة هذه القيم ، فلا يتقبل المواعظ والإرشادات

(١) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٧٤) .

(٢) سبق تخريجه ، ص (١٤٢) .

قبولا مطلقا دون تفكير فيها". (١)

فالولد في مرحلة الطفولة المبكرة يعتمد على أسلوب القدوة بالدرجة الأولى ، و في مرحلة الطفولة المتأخرة والمراهقة والشباب يحتاج إلى أسلوب تربوي آخر لتنمية المبادئ التربوية والأخلاقية ، ففي هذه المرحلة يحتاج إلى أسلوب الموعظة الحسنة و الحوار ، فعلى الوالدين استخدام هذا الأسلوب فيعظا الولد وينصحا بلين ولطف وهدوء ، ويقتديا في ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم خير قوة في ذلك ، فقد كان يربي صحابته بالحوار والوعظ والنصح بلين ورفق مراعي أعمارهم واختلاف شخصياتهم ، فعن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال: «أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظننا أننا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمَّن تركنا في أهلنا فأخبرنا، وكان رقيقاً رحيماً، فقال: ارجعوا إلى أهلِكُم فَعَلِمُوهم، ومُرُوهم، وصلُّوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤدِّنْ لكم أحدُكم ، ثم ليؤمِّكم أكبرُكم». (٢)

١٨- ملاحظة الأولاد ومتابعتهم باستمرار :

أن ملاحظة الأولاد ومتابعتهم في تطبيقهم لهذا المبادئ أمر مهم ، لضمان نجاح تطبيقها، فلا يكتفيان بغرسها دون متابعة تطورها إلى الأحسن لدعمها ، أو إنحرفها لتقويمها وتصحيحها ، ويتم ذلك من خلال متابعة الأولاد داخل البيت وتهيئة الجو لتطبيق هذه المبادئ ، من خلال المواقف المختلفة داخل الأسرة مع الوالدين والإخوة ، وكذلك متابعتهم خارج البيت مع الأقارب والجيران ، وينبغي على الآباء عدم إهمال أولادهم من حيث ملاحظة رفقتهم الملازمة لهم فالرفيق له اثر على سلوك صاحبه ، عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكَبِيرِ

(١) شرف ، محمد جلال وعسيري ، عبد الرحمن محمد : سيكولوجية الحياة الروحية في المسيحية والإسلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٢م ، ص(١٥٩ ، ١٦٠) .

(٢) العسقلاني : " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، رقم الحديث (٦٠٠٨) ، ص(٧٢٠٦) .

الحدّاد: لا يَعدَمُكَ من صاحب المسكِ إمّا تَشْتَرِيهِ أو تَجِدُ رِيحَهُ وكَبِيرُ الحدّادِ يَحْرُقُ بدنَكَ أو ثوبَكَ أو تَجِدُ منه رِيحاً خبيثة»^(١) فالصديق الصالح يكسب صاحبه السمعة الطيبة من خلال الأخلاق العالية ، وبالتالي العلاقة الطيبة مع الآخرين ، أما الصديق السيئ فله الأثر السيئ على سمعه صديقه من خلال الأخلاق السيئة والعلاقة السيئة مع الآخرين .

وعلى الوالدين أن لا يغفلان عن متابعة أولادهم في المدرسة والمسجد والشارع كل هذه مؤسسات تربوية تساعد على بناء هذه المبادئ في نفوس الأولاد أو هدمها . فإذا لاحظ الأب أنها تؤثر على أولاده بطريقة سيئة عليه تغييرها وانتقاء البيئة الصالحة فهذه الطريقة تعتبر من وسائل الإصلاح في التربية^(٢)

ويتعلق بملاحظة الأولاد فيما يخص تطبيق المبادئ التربوية المتضمنة في صحيح الإمام البخاري ، بتبصيرهم بالإخطار الخارجية التي قد تؤثر على أخلاقهم ومبادئهم الإسلامية ومعرفة ما يحكيه أعداء الإسلام لنقض مبادئ التربية الإسلامية حتى يكونوا على وعي دائم بها وحذر منها .

١٩- تدريب الأولاد على ممارسة المبادئ التربوية الإسلامية :

أن ممارسة المبادئ السابقة وتطبيقها يساعد على غرسها في نفوس الأولاد و التعود عليها فتصبح جزء من حياتهم ، فإشراك البنات لأهم في أعمال المنزل ، وكذا الذكور لأبيهم في توفير لوازم البيت ، يساعد على توعديهم على طاعة الوالدين وبرهما ، ومشاركة الأولاد في تنظيم زيارة للأقارب والجيران ، وإقامة علاقات اجتماعية مع أولاد الأقارب والجيران ، يساعد على غرس مبدأ صلة الرحم والوصاة بالجار ، وتشجيع الأولاد على مخالطة المساكين والإحسان إليهم ومساعدتهم ، يربي فيهم مبدأ الرحمة والحلم والتواضع ، و تدريب الأولاد وتوعديهم على آداب الكلام وشروطه، بالإضافة إلى تعليمهم الأذكار وتوعيده الحرص على الاستمرار عليها

(١) المرجع السابق، ج ٥، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، رقم الحديث (٢١٠١)، ص (٢٧٣١).

(٢) عنوان: "تربية الأولاد في الإسلام"، مرجع سابق، ج ٢، ص (٤٩٥).

يربيهم على حفظ اللسان ، ولضمان ممارسة الأولاد لهذه المبادئ لابد من تبصيرهم بالحقوق والواجبات الشرعية تجاه الآخرين ليطبقوا هذه المبادئ عن وعي وبالطريقة الصحيحة الواردة في الكتاب والسنة .

٢٠- تجنب الأولاد وسائل الإعلام المنحرفة أخلاقياً:

الحرص على نظافة أسماع الأولاد وأبصارهم مما يعرض الآن في وسائل الإعلام من فضائيات وصحف ومجلات وانترنت ، وغيرها ، من أغاني ، وألفاظ و مناظر ، خليعة تمج بالحياء ، وتدمر الأخلاق ، فتعلم الكذب والخيانة والألفاظ النائية ، وتغرس العقوق والقطيعة واللامبالاة والميوعة ، وغيرها من الانحرافات الخلقية التي تتناقض مع مبادئ التربية الإسلامية .

٢١- تعويد الفتاة على الاحتشام :

على الوالدين تعويد الفتاة على الاحتشام في سلوكها ولباسها لتحافظ على شرفها وأخلاقها وتقوم بوظيفتها التربوية الأساسية في المستقبل فهي صانعة الأجيال التي من خلالها يستعان بتطبيق مبادئ التربية الإسلامية .

٢٢- غرس مبدأ الحياء في نفوس الأولاد :

على الوالدين غرس مبدأ الحياء في نفوس الأولاد لأنه المبدأ الذي تترتب عليه المبادئ التربوية الأخرى فالحياء رأس الإسلام ، وهو لا يأتي إلا بخير ، يقول الغزالي في رياضة الصبيان : " ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته ، وأول ذلك ظهور أوائل الحياء ، فإنه إذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه ، حتى يرى بعض الأشياء قبيحاً ومخالفاً للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء ، وهذه هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ ، فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه... " (١).

(١) الغزالي : " إحياء علوم الدين " ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص (٧٢) .

فتخلق الطفل بخلق الحياء إنما يساعد الوالدين ويسهل عليهما غرس المبادئ التربوية الإسلامية في نفوسهم .

٢٣- توفير مكتبة الأولاد:

أن يحرص الوالدان على توفير مكتبة لأولادهما تحوي الكتب والأشرطة السمعية والمرئية ، التي تعرض الأخلاق بطريقة شيقة وجذابة فتتربى فيهم المبادئ والقيم الأخلاقية الإسلامية .

٢٤- تنمية ثقافة الوالدين :

على الوالدين تنمية تنمية ثقافتهم فيما يتعلق بأساليب غرس وتنمية المبادئ التربوية الإسلامية السابقة وغيرها ، والاطلاع على كل جديد ، يسير في إطار التربية الإسلامية الصحيحة .

٢٥- تربية الأولاد على المحافظة على الصلاة :

على الوالدين تربية أولادهم على المحافظة على الصلاة ، فعلى الأب أن يحرص على اصطحاب أولاده إلى المسجد لأداء الصلاة وحضور الخطب منذ الصغر لما لذلك من دور كبير في تنمية المبادئ الأخلاقية لناشئة ، فينشأ على حب بيوت الله والمحافظة على الصلاة قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ ^(١) ، فالصلاة تهذب سلوك الناشئة .

وهكذا تم بحمد الله إنهاء الفصل الرابع الذي تم من خلاله الإجابة على السؤال الثالث وهو:

ما دور الأسرة باعتبارها من أهم المؤسسات التربوية في تطبيق المبادئ التربوية المستنبطة من أحاديث كتاب الأدب من صحيح البخاري رحمه الله ؟

(١) سورة العنكبوت : الآية (٤٥) .

الفصل الخامس

خاتمة البحث :

أولاً : النتائج

ثانياً : التوصيات

ثالثاً : المقترحات

الفصل الخامس

خاتمة البحث

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات ، نحمده على حسن توفيقه
وكرمه ومنه ، والصلاة والسلام على هادي البشرية محمد صلى الله عليه وسلم وعلى
آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم إلى يوم الدين .

وبعد ...

ومن خلال الفترة الزمنية التي عاشتها الباحثة مع فصول الدراسة ، استطاعت
الباحثة في نهاية المطاف ، أن تخرج بعدد من النتائج والتوصيات والمقترحات ، وفيما
يلي عرضها :

أولاً : النتائج :

١- إن الاستقرار السياسي والاقتصادي في المجتمع الإسلامي في العصر العباسي
عصر الإمام البخاري ، ساعد على التقدم العلمي فبرزت لنا العديد من المؤلفات التي
أثرت الفكر الإسلامي وما تزال إلى الآن تنهل البشرية من نبعها ، ومنها صحيح
الإمام البخاري الذي حفظ لنا المصدر الثاني من مصادر التشريع ، وهو اصح الكتب
بعد كتاب الله تعالى ، والذي يعد ثروة تربوية عظيمة ، فقد تميز بغزارة مبادئه
التربوية الإسلامية .

٢- إن الاختلاط بين الشعوب الإسلامية بمختلف ثقافتها له اثر كبير على التقدم العلمي
وهذا ما اتضح في عصر الإمام البخاري ، حيث ظهر تقدم المسلمين في مختلف
العلوم .

٣- إن تطبيق المسلمين في العصور الإسلامية لمبادئ التربية الإسلامية كان سبب من
أسباب انتشار الإسلام في مختلف الأمصار واتساع رقعته ، فلم ينتشر بحد السيف بل
بتطبيق أهله لمبادئه السمحة .

٤ - إن طلب العلم لابد أن يرتبط بإخلاص النية لله تعالى ، وابتغاء الأجر منه تعالى لما لذلك من اثر في الاستفادة منه وتطبيقه .

٥- إن تعليم القرآن والسنة والعلوم الشرعية الضرورية الأخرى في وقت مبكر له أثر كبير على تربية الفرد من الناحية الخلقية والعقلية واللغوية ، فهو يكسبه الخلق الجم ، وينمي قدراته العقلية ، و للقرآن اثر عظيم على تقويم لسانه .

٦- إن التلقي المباشر من العالم للمتعلم يعتبر وسيلة تعليمية وتربوية فعالة لما له من اثر في ترسيخ العلم وتوفر القدوة لاكتساب الأخلاق الفاضلة ، وهذا ما كان جليا في سيرة البخاري الشخصية والعلمية ، فأعتمد على حضور الحلقات العلمية ولقاء الشيوخ والسماع عنهم مباشر عن طريق رحلاته ، فالرحلة وسيلة تربوية فعالة لاعتمادها على التلقي المباشر من الشيوخ ، وكثرتهم ، بالإضافة إلى تنمية الشخصية وإكسابها فضائل عظيمة مثل الصبر والتواضع ونحو ذلك .

٧- أن سيرة العلماء المسلمين تعد نموذجا يقتدى به بعد سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في طلب العلم والعمل به.

٨- إن ارتباط المبادئ الإسلامية الواردة في البحث من بر الوالدين وصلة الرحم وبر الأولاد والوصاة بالجار وإكرام الضيف ...بالإيمان له اثر كبير في تطبيقها لأن تطبيقها مقترنا بإخلاص النية لله تعالى .

٩- أن التربية الإسلامية من خلال المبادئ التربوية التي تناولتها الدراسة ضمننت تقوية ترابط أفراد المجتمع المسلم وتماسكه.

١٠ - المبادئ التربوية الواردة في الدراسة وسعت المسلم وغير المسلم وذلك دلالة على كمال وشمول التربية الإسلامية .

١١- إن الأثر العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة الذي يخلفه تطبيق هذه المبادئ التربوية له دوره الكبير في حرص المسلم وترغيبه في تطبيقها وضمان استمراره عليها .

١٢ - إن مبدأ بر الوالدين يعد من أولى وأهم الحلقات الاجتماعية التي تقوى روابط المجتمع المسلم ، وذلك من خلال تقوية الروابط داخل الأسرة بوجود علاقة قوية بين الأولاد والآباء ، لذا قرن الله تعالى بر الوالدين بعبادته وقرن عقوقهما بالشرك في أكثر من موضع في نصوص الكتاب والسنة .

١٣- أن التربية الإسلامية بمبادئها التربوية التي تناولتها الدراسة ضمننت للمجتمع المسلم تقوية روابطه الاجتماعية داخل اللبنة الأولى والأساسية للمجتمع وهي الأسرة من خلال مبدأ بر الأولاد .

١٤- إن العدل بين الأولاد أمر مهم لما له من أثر كبير في تطبيق المبادئ التربوية الأخرى .

١٥- إن مبدئي الوصاة بالجار وإكرام الضيف من مكارم الأخلاق التي كانت العرب في الجاهلية وتتفاخر بها ، وعندما أتى الإسلام أقرها ، فإنما هي متمشية مع الفطرة السوية كونها كانت في الجاهلية وأقرها الإسلام .

١٦- إن صلة الرحم الحقيقية هي ليست المكافأة وإنما هي أن تصل من قطعك ، فتتفضل عليه بالصلة .

١٧- إن مبدأ الوصاة بالجار يتحقق بالصبر على أذى الجار وليس فقط معاملة بالإحسان وكف الأذى عنه .

١٨- إن مبدأ بر الأبناء مبدأ ثابت في التربية الإسلامية يعتمد عليه في تحقيق هدفها وهو تربية الفرد المؤمن بالله تعالى .

١٩- إن مبدأ الحياء هو رأس الأخلاق الإسلامية و الحاث على تطبيق مبادئ الدين الإسلامي ، فالحياء لا يأتي إلا بخير .

٢٠- التواضع والحلم والرحمة والحياء من المبادئ الأخلاقية التي يتوقف عليه نجاح المرابي ، فلا بد أن يتصف بها .

٢١ - إن غرس مبدأ الحياء في نفوس البنات له أكبر الأثر في أداء دورهن التربوي في المستقبل فالمرأة هي صانعة الأجيال .

٢٢- أن الحلم الحقيقي هو القدرة على ضبط دوافع النفس والسيطرة عليها عند الغضب ، وهو دلالة على قوة الشخصية ، فليس الشديد بالصرعة .

٢٣- إن التواضع يساعد على إعلاء مكانة الشخصية الإسلامية فهو من سماتها الأساسية فمن تواضع لله رفعه .

٢٤- إن مبدأ الرحمة من المبادئ التربوية الإسلامية التي عمت جميع المخلوقات من بشر وحيوانات .

٢٥- إن مبدأ حفظ اللسان هو مفتاح كل خير ومغلاق كل شر ، وبه يملك المسلم حفظ دينه ، فرب كلمة تهوي بصاحبها سبعين خريفا في النار .

٢٦- إن تربية المبادئ في نفوس الأولاد إنما يعتمد بالدرجة الأولى في التربية الإسلامية على الأسرة باعتبارها البيئة الاجتماعية الأولى للفرد ، حيث يقضي فيها السنوات الأولى من حياته التي يعتمد عليها في تشكيل شخصية الفرد ، كذلك يقضي فيها أكبر جزء من حياته .

٢٧- من أهم وسائل تحقيق مبدأ حفظ اللسان التزام فضيلة الصمت والإكثار من ذكر الله تعالى .

٢٨- إن قيام الأسرة على أساس صلاح الزوجين يضمن تحقيق تربية الأولاد على المبادئ التربوية الإسلامية ، من خلال توفر القدوة الصالحة للأولاد داخل الأسرة ، التي تعد من أقوى الأساليب التربوية في غرس المبادئ التربوية في نفوس الأولاد .

٢٩- أن استقرار العلاقة بين الوالدين له دور كبير في غرس وتربية المبادئ التربوية في نفوس الأولاد.

ثانياً : التوصيات :

- ١- أوصي نفسي وإخوتي المسلمين بإخلاص النية لله تعالى في طلب العلم .
- ٢- أوصي كل مسلم ومسلمة بتطبيق المبادئ التربوية الإسلامية ، وأن يجعلها ظاهرة في سلوكه وسمة مميزة لشخصيته، ليكون منبراً دعويًا لهذا الدين العظيم .
- ٣- على المربي سواء كان معلماً أو أباً أو أما أن يكون قدوة صالحة للمتربي في تطبيق المبادئ التربوية الإسلامية .
- ٤- أن يحرص الآباء على تعليم أولادهم منذ وقت مبكر القرآن الكريم والسنة النبوية وعلوم الشريعة الإسلامية الضرورية لما لها من اثر عظيم على تربيتهم الخلقية والعقلية واللغوية .
- ٥- أن يتحلى المربي بخلق الحلم والتواضع والرحمة والحياء ، لينفذ إلى قلب المتربي ، وينجح في رسالته التربوية .
- ٦- أن يهيئ الوالدين البيئة التربوية الصالحة داخل الأسرة التي تساعد على غرس المبادئ التربوية الإسلامية في نفوس أولادهم ، من خلال ما يلي :
 - أ- أن تُبنى العلاقة بينهما على الرحمة والاحترام والحوار الراجي .
 - ب- البعد عن إظهار الخلاف أمام الأولاد .
 - ج- توفير مكتبة تحوي مواد مقروئة ومسموعة ومصورة تساعد على غرس المبادئ التربوية في نفوس الأولاد.

د - استغلا وقت فراغ الأولاد في أنشطة تساعد على تنمية المبادئ التربوية الإسلامية في نفوسهم كالعامل الجماعي يساعد على تربية مبدأ التواضع أو مساعدة الأم يساعد على بر الوالدين ونحو ذلك .

ثالثاً : المقترحات :

١- أن تكون سيرة العلماء المسلمين نموذجاً يقتدى به بعد سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في طلب العلم والعمل به وتضمن ذلك كله في المناهج المدرسي.

٢- عقد محاضرات في المساجد تساعد على تربية المبادئ الإسلامية وغرسها في النفوس.

٣- أن يتم اختيار أئمة المساجد وفق معايير تضمن أن يكونوا قدوة في تطبيق مبادئ التربية الإسلامية ، فيكونوا على مستوى عالي من الحفظ والتلاوة والعلم الأخلاق والفكر السليم .

٤- إقرار مادة تحوي المبادئ التربوية الإسلامية داخل مناهج الطلاب في جميع المراحل الدراسية ابتداء من المرحلة الابتدائية وحتى الجامعية ، وعرضها بما يتناسب مع كل مرحلة ، وبأسلوب يساعد على تأصيلها في نفوس الطلاب ، والتأثير عليهم لتطبيقها .

٥- أن يتم اختيار المعلم وفق معايير معينة تراعي تطبيقه لمبادئ التربية الإسلامية ليكون قدوة صالحة للتلاميذ.

٦- أن تعمل المدرسة على تهيئة البيئة التربوية التي تساهم في تربية المبادئ التربوية الإسلامية من خلال المنهج المدرسي والمعلم وأعضاء الإدارة المدرسية ، وكل ما يحيط بالطالب داخل البيئة المدرسية ، كأن تخصص من ضمن أنشطتها اللاصفية أنشطة تتعلق بغرس المبادئ التربوية في نفوس الطلاب ، كتخصيص يوم لمبدأ بر الوالدين ويوم لمبدأ الحلم مثلاً وهكذا ، ومحاولة إشراك الطلاب فيها بصورة فعالة وعملية.

٧- على الإعلام أن يعمل وفق خطط إعلامية تهدف إلى تأصيل المبادئ الأخلاقية وتنميتها في نفوس الناشئة من خلال ما يلي :

- أن يعمل على توفير القدوة الحسنة إعلاميا والملتزمة بالمبادئ الإسلامية .
- أن تركز باهتمام بالغ على برامج الأطفال بحيث تقدم لهم المبادئ والقيم الإسلامية في قالب جذاب ومحبيب يعزز القيم والمبادئ الأخلاقية الإسلامية عندهم وينميها .
- أن تركز كذلك على برامج المرأة المسلمة ، لما لها من دور مهم في تربية الأجيال غرس المبادئ والقيم الأخلاقية الإسلامية في نفوسهم .
- إنتاج مواد إعلامية تتناسب مع مختلف المراحل العمرية للفرد المسلم تساعد على غرس المبادئ التربوية الإسلامية فالإعلام في هذا العصر أصبح من الأساليب الفعالة والسريعة الأثر في التربية .

٨- إقامة دورات تدريبية للمقبلين على الزواج لتبصيرهم بأسس الحياة الأسرية وتدريبهم على أساليب ومهارات تربية المبادئ التربوية وغرسها في نفوس الأولاد ، فاستقرار الأسرة وتبصيرها بالطريقة الصحيحة لأداء دورها له دور في نجاح تربية أولادها وفق مبادئ التربية الإسلامية الصحيحة .

٩- على المؤسسات التربوية المختلفة مثل الأسرة و المدرسة والإعلام والمسجد أن تكثف التعاون المشترك فيما بينها للقضاء على الانحرافات الأخلاقية الحاصلة الآن ، وإيجاد الوسائل الفعالة في تأصيل المبادئ التربوية الإسلامية في النفوس .

١٠- تأصيل المبادئ التربوية من خلال الاهتمام بدراسة الكتاب والسنة واستنباط المبادئ التربوية الإسلامية التي تتضمنها وعرضها بأسلوب تربوي جاد يتناسب مع مقتضيات كل عصر ، وتطبيقها على مختلف المؤسسات التربوية الأخرى مثل المدرسة والمسجد والإعلام وغيرها .

١١- الكتابة في مبادئ تربوية أخرى متضمنة في كتاب الأدب من صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى ، وكذا تطبيقها على مؤسسات مهمة أخرى غير الأسرة في أبحاث أخرى .

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة	طرفة الآية
(سورة البقرة)			
١١٢	٨٣	البقرة	﴿أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾
٣٨٣	٢٨٥	البقرة	﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ...﴾
٢٩٧	٤٤	البقرة	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ...﴾
١٠٤-١٠١-٧١-٦٥-٦٣	٨٣	البقرة	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾
٢٢٩	١٦٠	البقرة	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا...﴾
٣٦٦	٢٢٩	البقرة	﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ...﴾
٢٠٩	٢٦	البقرة	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا...﴾
٣٤٥	١٥٧- ١٥٦	البقرة	﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ...﴾
٣٤٥	٢٦٣- ٢٦٢	البقرة	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾
٣٥٩	٢٢٩	البقرة	﴿أَطْلَاقُ مَرَّتَانٍ فإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ...﴾
٣٧٦	٢٣٩- ٢٣٨	البقرة	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ...﴾
٤٩٧	٢	البقرة	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾
٣	١٢٩	البقرة	﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا...﴾
٢٢٩	١٢٨	البقرة	﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ...﴾
٣٣٥	٢١٢	البقرة	﴿رُزِقَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...﴾
١٤١	١٣٨	البقرة	﴿صِغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ...﴾
٢٢٣	٢٧٤- ٢٧٣	البقرة	﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي...﴾
٣١٩-٣٠٦-١٧٤-٥٩	١٧٧	البقرة	﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ...﴾
٦٤	٢٦١	البقرة	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ...﴾
٢٠٥	١٨٦	البقرة	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾
٣٨٤	١٧١- ١٧٠	البقرة	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾

٢٢٩	١٦٣	البقرة	﴿وَالْهُكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾
٣٧٩-٢٤٢-١٣٥	٢٣٣	البقرة	﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ...﴾
٣٧٨-٢٤٢-١٣٥	٢٣٣	البقرة	﴿... وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ...﴾
٣٦٧	٣٠	البقرة	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ...﴾
٢٣٣-٢٢٩	١٤٣	البقرة	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾
٢٥٦	٢٢٥- ٢٢٤	البقرة	﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ...﴾
٣٥٩	٢٣٠- ٢٢٩	البقرة	﴿وَلَا تَتَّخِجُوا الشُّرَكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ...﴾
٢٣٤	١٧٩	البقرة	﴿وَالَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي...﴾
٢٣٧	١٥٧- ١٥٥	البقرة	﴿وَلِنَبَلْوَكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ...﴾
١٥٢	١٣٢	البقرة	﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ...﴾
١٣٧	١٣٣- ١٣٢	البقرة	﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ...﴾
(سورة آل عمران)			
٣١٩	٧٧	آل عمران	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ...﴾
٣٢٥	١٣٤	آل عمران	﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ...﴾
٣٧١-١٢٧	١٤	آل عمران	﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ...﴾
-٢٥١-٢٣٦-٢٢٧-١٤٧ ٣٩٢-٢٧٨-٢٧٣	١٥٩	آل عمران	﴿قِيمًا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ...﴾
٣٦٣	٣٧	آل عمران	﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ...﴾
٣٨٧	٢٦	آل عمران	﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ...﴾
٤٠٧-٣٦٤	٣٨	آل عمران	﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ...﴾
٣١٤-٢٩١	٧٨	آل عمران	﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ...﴾
٢٦٣	١٣٤- ١٣٣	آل عمران	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنَ رَبِّكُمْ...﴾
١٨٥	٣٩-٣٧	آل عمران	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمْ...﴾
٢٩٦	١٦٧	آل عمران	﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا...﴾
٤٠٢	٣٨	آل عمران	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ...﴾

(سورة النساء)			
٢٠٥	١	النساء	﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا...﴾
١٧	٥٨	النساء	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ...﴾
٣٦١	٣٤	النساء	﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ...﴾
٣٣١	١٤٩- ١٤٨	النساء	﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ...﴾
١٤٨	١١-٧	النساء	﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ...﴾
٢	٨٠	النساء	﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾
-١٠١-٨٣-٧١-٦٩-٦٥ -١٥٤-١٥٣-١٥٢-١١١ -٢٥١-١٧٨-١٨٣-١٦٦ ٣٨٦	٣٦	النساء	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾
١٨٥	٣٩-٣٦	النساء	﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ...﴾
١٥٣	١٣١	النساء	﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾
٣١٥	٦٥-٦٤	النساء	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ...﴾
١٤٢	١٣٥	النساء	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ...﴾
٣٥٨-٢٤٨	٢٢-١٩	النساء	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ...﴾
١٥٢-١٢٦	١١	النساء	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ...﴾
٣٦٧-١٠٣	١	النساء	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ...﴾
(سورة المائدة)			
٢٢٩	٩٨	المائدة	﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ...﴾
٧	٣	المائدة	﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾
١٥٣	١٠٦	المائدة	﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ...﴾
٣٤٨	١١٩	المائدة	﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ...﴾
٣٨٦	٢	المائدة	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى...﴾
٣٨٦	١	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾
٣٨٥-٣٧٩	٩٠	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ...﴾
٢٥٧	١٠٢- ١٠١	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ...﴾

١٧٧-١٧٦-٢٧٣	٥٤	المائدة	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ ...﴾
٢٧١	١٣	المائدة	﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ...﴾
٣٨٨	٥١	المائدة	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ ...﴾
(سورة الأنعام)			
٣١٥	١٤٤	الأنعام	﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّائِكُمُ اللَّهُ ...﴾
٣٩٢	٩٠	الأنعام	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ...﴾
٢٣٣	١٥٥- ١٥٤	الأنعام	﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ...﴾
٢٣٠	١٤٧	الأنعام	﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ نُورٌ رَحْمَةٌ ...﴾
١٤٦	١٤٠	الأنعام	﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا ...﴾
١٥٢-١٤٦-٦٥	١٥١	الأنعام	﴿قُلْ نَعَالُوا أَلُّ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ...﴾
٣٦٦	١٦٣- ١٦١	الأنعام	﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي ...﴾
٩٠	٧٤	الأنعام	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ...﴾
٢٨٩	١٠٤	الأنعام	﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ...﴾
(سورة الأعراف)			
٢٦٥-٢٦٢	١٩٩	الأعراف	﴿خُذِ الْعَقْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ...﴾
٢٨١	١٤٦	الأعراف	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ...﴾
٢٠٣	٢٢	الأعراف	﴿فَدَلَاهُمَا يُعْرُونَ ...﴾
٢٣٢	١٥٦	الأعراف	﴿فَسَاكِنُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ...﴾
٣١٤	٣٧	الأعراف	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ ...﴾
٢٨٢	٧٦-٧٥	الأعراف	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ...﴾
٢٥٨	٦٢-٥٩	الأعراف	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ...﴾
٢٢٨	٥٢	الأعراف	﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ...﴾
٣٧٠-٣٥٤	١٩٠- ١٨٩	الأعراف	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ...﴾
٢٥٨	٦٨-٦٥	الأعراف	﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ ...﴾
٢٨١	٣٦	الأعراف	﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ...﴾
٢٢٨	١٨٠	الأعراف	﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ...﴾

٣٧٩	١٥٧	الأعراف	﴿وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ...﴾
٣٧٥-٢٠٠	٣١	الأعراف	﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَشَرِبُوا سَبِيحًا لَقَدْ فَجَّرْنَا بِالنَّاسِ أَنْ يَخْلُقُوا بَدْنًا كَمَا خَلَقُوا بَدَنَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَئِن يَتَّبِعُونَ إِهْوَاءَ النَّاسِ لَيَكُونُنَّ أَهْلًا لَعْنٍ وَالنَّاسُ كَافُونَ عَنَّا﴾
(سورة التوبة)			
٢٣٧	١٢٨	التوبة	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...﴾
٢٥٧-٢٥٣	١١٤- ١١٣	التوبة	﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ مَا فَشَرُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَلِلَّهِ يَتَوَلَّى أَسْمَاءُ الَّذِينَ يَدْعُونَ سَمَاءًا وَمَا يَرْغَبُ بِالنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا سَمَاءٌ مِّمَّنْ يَدْعُونَ لَئِنْ دُعُوا لَتَدْعَنَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
٣٠٩	١١٩- ١١٨	التوبة	﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا ...﴾
٤١	١٢٢	التوبة	﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً ...﴾
(سورة يونس)			
٢٣٦	٥٨-٥٧	يونس	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ ...﴾
(سورة هود)			
٢٠٦	٥	هود	﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُنُورَهُمْ لِيَسْتَنقِطُوا ...﴾
٢٥٨	٧٥-٧٤	هود	﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ...﴾
١٨٨	٧٨	هود	﴿هُؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ...﴾
٩٥	٤٣-٤١	هود	﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ ...﴾
١٩٦	٦٩	هود	﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ...﴾
١٧٨	٧٩-٧٧	هود	﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ ...﴾
٩٧	٤٣-٤٢	هود	﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ...﴾
(سورة الرعد)			
١١٦-١١٤-١١٢	٢٤-١٩	الرعد	﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾
٣٤٥	٢٩-٢٨	الرعد	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ...﴾
٣٦٤	٣٩-٣٨	الرعد	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ ...﴾
٣٧٤	٤-٣	الرعد	﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ ...﴾
١١٧	٢٥	الرعد	﴿وَالَّذِينَ يَنفَعُونَ عَهْدَ اللَّهِ ...﴾
(سورة إبراهيم)			
٣٣١	٢٥-٢٤	إبراهيم	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ ...﴾
٣٤٣	٢٦-٢٤	إبراهيم	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ...﴾

٤٠٢	٤٠-٣٩	إبراهيم	﴿أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكَبِيرِ ...﴾
٦١	٤١	إبراهيم	﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ...﴾
٣٣١	٢٦	إبراهيم	﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ ...﴾
(سورة الحجر)			
١٨٨	٦٨	الحجر	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون ...﴾
٤	٩	الحجر	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ...﴾
٢٧٤-٢٧١	٨٨-٨٧	الحجر	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ...﴾
٢٢٩	٤٩	الحجر	﴿نَبِيٍّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ...﴾
(سورة النحل)			
٣٠٤	١٠٥- ١٠٤	النحل	﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ...﴾
٢٠٥	١٢٨	النحل	﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ...﴾
١٤٢	٩٠	النحل	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ...﴾
٣٠٨	١٠٥	النحل	﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ...﴾
٣٤٥	١٢٥	النحل	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ ...﴾
٣٨٠	٨١	النحل	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ...﴾
٣١٤	١١٦	النحل	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ ...﴾
٢٩٠	١٠٣	النحل	﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ...﴾
٢٥٦-٢٥٣	٦١	النحل	﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ ...﴾
(سورة الإسراء)			
١٧٦	٦٢	الإسراء	﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ ...﴾
٩١	٢٤	الإسراء	﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ...﴾
-٨٤-٨٣-٨٢-٦٩-٦١ -٨٩	٢٣	الإسراء	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ...﴾
١٤٧-١٤١-١٢٦	٣١	الإسراء	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ...﴾
٣٤٢	٣٦	الإسراء	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ...﴾
٢٧٩	٣٧	الإسراء	﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ...﴾
٣٦٨	٧٠	الإسراء	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ...﴾

(سورة الكهف)			
٣٧١-١٢٧	٤٦	الكهف	﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ...﴾
١٢٧	٤٦	الكهف	﴿أَمْالٌ وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾
١٣٠	٨٢	الكهف	﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ ...﴾
(سورة مريم)			
٢٩١	٩٧-٩٦	مريم	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...﴾
٢٩٢-٢٩٠	٩٧	مريم	﴿فَاتِمًا يَسْرِنَاهُ يَلْسَانِكَ .﴾
٣٢٠	٥٤	مريم	﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ ...﴾
٩٠	٤٣-٤١	مريم	﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ...﴾
٩٦-٧٤	٣٣-٣٢	مريم	﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي ...﴾
٩٥-٧٤	١٥-١٤	مريم	﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا...﴾
٢٩١	٥٠	مريم	﴿... وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا...﴾
(سورة طه)			
٢٩٠	٢٧	طه	﴿وَاحْتَلَّ عَقْدَةً مِنْ ...﴾
٢٩١	٢٨-٢٤	طه	﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ...﴾
٣٤٥	٤٤-٤٢	طه	﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ ...﴾
(سورة الأنبياء)			
٢٣٣	١٠٧	الأنبياء	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ ...﴾
٢٣٧	١٠٧-١٠٦	الأنبياء	﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ...﴾
٣٨٦	٩٤-٩٢	الأنبياء	﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ...﴾
(سورة الحج)			
٢٣٥	٦٦-٦٣	الحج	﴿الَّذِينَ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...﴾
٣١٦	٣٠	الحج	﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ ...﴾
٣٧٦	٣٣-٣٢	الحج	﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ...﴾
٢٥٧	٧٨-٧٧	الحج	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾
(سورة المؤمنون)			

١١٣	٩٦	المؤمنون	﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾
١٧٦	١١٦	المؤمنون	﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا...﴾
٣٨٨-٣٨٩-٢٨٨	٣-١	المؤمنون	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ...﴾
٣٥٤-٢٨٦	١٦-١٢	المؤمنون	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ...﴾
(سورة النور)			
٣١٤	١٥	النور	﴿إِذْ تَقُوْنُهُ بِالْأَسْنِيْتِكُمْ وَتَقُولُونَ يَا فَوَآهِكُمْ...﴾
٣١٧	١٩	النور	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ...﴾
٣١٨	٢٥-٢٣	النور	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ...﴾
٣	٦٣	النور	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾
٣٦٩	٣١-٣٠	النور	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...﴾
١٤٩	٣٤-٣٢	النور	﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ...﴾
١٩٣	٢٩-٢٧	النور	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا...﴾
(سورة الفرقان)			
٣٩٦-٣١٦	٧٤-٧٢	الفرقان	﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ...﴾
١٤٧	٦٨	الفرقان	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ...﴾
٢٨٦-٢٧١	٦٣	الفرقان	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ...﴾
(سورة الشعراء)			
٢٩٠	١٩٥	الشعراء	﴿يَلِسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ...﴾
٣٤٠	٢٢٧-٢٢٤	الشعراء	﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ...﴾
(سورة النمل)			
١٧٥	٢٩	النمل	﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ...﴾
(سورة القصص)			
٣٠١	٥٥-٥٢	القصص	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ...﴾
٢١٢	٢٥	القصص	﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ...﴾
١٥٠	٢٧	القصص	﴿... قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ...﴾
(سورة العنكبوت)			

٤٠٧-٣٧٧	٤٥	العنكبوت	﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ...﴾
(سورة الروم)			
٣٨٤	٨	الروم	﴿أولم يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ...﴾
٣٧٢	٣٠	الروم	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ...﴾
٢٩٠	٢٢	الروم	﴿وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ...﴾
٣٧٠	٢١	الروم	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ...﴾
(سورة لقمان)			
٩٤-٦٦	١٤	لقمان	﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ...﴾
٢٤٨-١٥٣-٦٩	١٤	لقمان	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ...﴾
٣٩٤-٢٤٥-١٣٧	١٣	لقمان	﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي...﴾
٨٨-٨٥-٧٥-٦١	١٥	لقمان	﴿... وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي...﴾
٢٨٠	١٩-١٨	لقمان	﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ...﴾
٣٩٤-١٣٧	١٧	لقمان	﴿يَبْنِيَّ أقيم الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ...﴾
٣٧٥	١٦	لقمان	﴿يَبْنِيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ...﴾
١٣٩	١٩-١٦	لقمان	﴿يَبْنِيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ...﴾
(سورة السجدة)			
٣٥٤	٩-٧	السجدة	﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ...﴾
(سورة الأحزاب)			
٢٩٢	١٩	الأحزاب	﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ...﴾
٣٤٩	٣٥	الأحزاب	﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ...﴾
٣٩١-٢	٢١	الأحزاب	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ...﴾
٢٣٤	٧٣	الأحزاب	﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ...﴾
٣٠٦	٢٤-٢٣	الأحزاب	﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا...﴾
١٢٢-١١٣-١٠٧	٦	الأحزاب	﴿... وَأُولُو الْأَرْحَامِ...﴾
٢٣١	٤٣	الأحزاب	﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا...﴾
١٧٥	٣١	الأحزاب	﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾
٢١٠-١٩٥	٥٣	الأحزاب	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ...﴾

٢٣٥-٢٣١	٤٣-٤١	الأحزاب	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّكِرُوا اللَّهَ ذِكْرًا ...﴾
٢١١	٦٩	الأحزاب	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ...﴾
(سورة فاطر)			
٢٥٥	٤١	فاطر	﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ...﴾
٣٤٤	١٠	فاطر	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ...﴾
(سورة الزمر)			
٣٠٨	٤-٣	الزمر	﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا ...﴾
(سورة غافر)			
٢٠٥	١٩	غافر	﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ...﴾
(سورة فصلت)			
١٢٣	٣٦-٣٣	فصلت	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا ...﴾
٢٦٧-٢٦٣	٣٦-٣٤	فصلت	﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ...﴾
٢٦٨	٣٥	فصلت	﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ...﴾
٢١١	٣٧	فصلت	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ ...﴾
(سورة الأحقاق)			
٣٦٥-٥٨-٦٥	١٦-١٥	الأحقاق	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ ...﴾
٩٦	١٧	الأحقاق	﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ ...﴾
(سورة محمد)			
١١٢-١٠٥-١٠١	٢٢	محمد	﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ...﴾
١٨٢	٣٨	محمد	﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا ...﴾
(سورة الفتح)			
٢٣٨	٢٩	الفتح	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ ...﴾
(سورة الحجرات)			
٣٨٧-٣٢٣	١٢	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا ...﴾
٣٢٨	٦	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ ...﴾
٣٣٣	١١	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ ...﴾
٣٨٥	١٣	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ نَكَرٍ ...﴾

٣٩٥-٣٨٧	١٢	الحجرات	﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا ...﴾
(سورة ق)			
٣٠٠	١٨	ق	﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ ...﴾
٣٧٤	١١-٦	ق	﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ...﴾
(سورة الذاريات)			
١٩٨-١٧٧	٣٠-٢٤	الذاريات	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ...﴾
٣٦٦	٥٦	الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ...﴾
(سورة الطور)			
٢٥٣	٣٢	الطور	﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ ...﴾
الرحمن			
٢٧١	١٠	الرحمن	﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا ...﴾
(سورة الحديد)			
١٢٨	٢٠	الحديد	﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ ...﴾
٣٥٧-٢٠٥	٤	الحديد	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ...﴾
٣٠٥	١٩	الحديد	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ...﴾
(سورة الحشر)			
٣٠٨	١١	الحشر	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ ...﴾
(سورة الممتحنة)			
٢٩١	٣-٢	الممتحنة	﴿إِنْ يَتَفَوَّكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ ...﴾
٣٨٧	٩-٧	الممتحنة	﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ ...﴾
٢٥٠-٦٢	٨	الممتحنة	﴿لَا ينهاكم الله عن الذين ...﴾
(سورة الصف)			
٣١٣	٧	الصف	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ اقْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ ...﴾
٣٩١-٣٢٠	٣-٢	الصف	﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ...﴾
(سورة المنافقون)			
٣٠٨	٣-١	المنافقون	﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ...﴾
(سورة التغابن)			

٤٠٢-٣٦٥	١٤	التغابن	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ...﴾
(سورة الطلاق)			
١٣٥	٧-٦	الطلاق	﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ ...﴾
٩٨	٣-٢	الطلاق	﴿وَمَنْ يَبْقِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ...﴾
(سورة التحريم)			
١٣٨-١٢٦	٦	التحريم	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ ...﴾
(سورة القلم)			
٣١٨	٣٩	القلم	﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِاللَّغَةِ ...﴾
٣٢٧	١٦-٨	القلم	﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ...﴾
٢٩٣-٢	٤	القلم	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ...﴾
(سورة الحاقة)			
٣٠٦	٤٦-٤٤	الحاقة	﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ...﴾
(سورة الإنسان)			
١٨٠	١٢-٥	الإنسان	﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ ...﴾
(سورة التكوير)			
١٤٣	٩-٨	التكوير	﴿وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سُئِلَتْ ...﴾
(سورة الانفطار)			
١٧٦	٦	الانفطار	﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ ...﴾
٢٨٩	١٢-١٠	الانفطار	﴿... وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ...﴾
(سورة المطففين)			
١٠٠	٢٨-١٨	المطففين	﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ...﴾
(سورة الفجر)			
٢٤٧	٢٠-١٧	الفجر	﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرَمُونَ الْبَيْتِيمَ ...﴾
(سورة البلد)			
٢٩١	١٠-٨	البلد	﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ...﴾
الضحى			
٢٤٧	١١-١	الضحى	﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ ...﴾

(سورة العلق)			
٢٠٥	١٤	العلق	﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ... ﴾
٣٨٤	٥-١	العلق	﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ... ﴾
(سورة الهمزة)			
٣٢٧	١	الهمزة	﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لُّمَزَةٍ ... ﴾
(سورة الماعون)			
٣٧٧	٦-٤	الماعون	﴿ قَوْلٍ لِّلْمُصَلِّينَ ... ﴾

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	طرفة الحديث	الصفحة
الهزمة		
١.	((أَبْرُ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وَدَّ أَبِيهِ...))	٨٨-٧٦
٢.	((أَبْصَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءً وَصَبِيانًا...))	١٩٢
٣.	((ابْعُونِي فِي ضَعْفَاءِكُمْ فَإِنَّمَا تِرْزُقُونَ...))	٢٧٨
٤.	((أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ...))	١٨٨
٥.	((أَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً...))	٧٥-٦٢
٦.	((أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ...))	٣٢١
٧.	((أَتَدْرُونَ مَا الْمُقْلِسُ...))	٣٣٢
٨.	((أَثْرُونَ هَذِهِ طَارِحَةٌ وَلَدَهَا...))	٢٣٠
٩.	((أَتَدَكَّرُ إِذْ تَلَقَّيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...))	٢٧٤
١٠.	((انْقُوا اللَّهَ وَاعْبُدُوا فِي...))	٤٠٣-١٤٢
١١.	((انْقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ...))	٣٩٥-٣٤٤
١٢.	((أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبِيَّةٌ مِتْقَارِبُونَ...))	٤٠٤
١٣.	((أَجَاهِدُ؟ قَالَ: «لَكَ أَبَوَانُ» قَالَ: نَعَمْ...))	٧١
١٤.	((أَجِيبُوا هَذِهِ الدَّعْوَةَ إِذَا دُعِيتُمْ...))	١٨٩
١٥.	((احْتَلَبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا...))	١٧٩
١٦.	((احْفَظْ وَدَّ أَيْبُكَ لَا تَقْطَعُهُ...))	٨١
١٧.	((أَخْتَى الْأَسْمَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ...))	١٣٣
١٨.	((أَخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ...))	١٩٢-١٨١
١٩.	((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنْ اللَّهُ...))	١٠٠
٢٠.	((إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفَرُ...))	٢٩٩
٢١.	((إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ...))	١٣٦

٢٢.	((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ بَيْتَهُ وَخَلْفَهُ... ١٢٩
٢٣.	((إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ : قَدْ أَحْسَنْتَ... ١٧٢-١٥٨
٢٤.	((إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ... ٢٦٦
٢٥.	((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ... ٩١
٢٦.	((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا... ٧٦
٢٧.	((اسْتَأذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا... ٩٢
٢٨.	((اسْتَأذَنْ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ... ٣٢٢
٢٩.	((اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلَّ حَقُّ الْحَيَاءِ... ٢١٥
٣٠.	((اسْتَكَى ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ فَمَاتَ... ٣١٢
٣١.	((اعْبَثُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى الْبِرِّ... ١٤٣
٣٢.	((اغْتَسِلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ... ٣٧٩
٣٣.	((أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ... ٣٩٥-١١٣
٣٤.	((أَلَا تَسْمَعُونَ، أَلَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ الْبِدَادَةَ ... ٢٧٦
٣٥.	((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلِّ ضَعِيفٍ ... ٣٩٥-٢٨٠-٢٧٩
٣٦.	((أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ ... ٢٩٤-٢٨٨
٣٧.	((أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟... ٢٢١
٣٨.	((أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى!... ٣١٧-٩٤-٨١-٧٠
٣٩.	((أَلَيْكَ مَالٌ غَيْرُهُ؟... ١٦٦
٤٠.	((إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ أَبَا... ١٦٧-١٥٥
٤١.	((أَمَّا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَهَا اللَّهُ... ٢٥١
٤٢.	((أَمَّا كَانَ هَذَا يَحْدُ مَا يُسْكَنُ بِهِ شَعْرَةٌ... ٣٨٣
٤٣.	((أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي أَهْلَهُ... ١٣٠
٤٤.	((أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ ٣٣٨
٤٥.	((أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَتْ: ... ٩٢
٤٦.	((أَنَّ امْرَأَةً وَجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي ... ٢٥٠

٢٥١	((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ...))	٤٧.
٢٠٩	((إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ سَيِّرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ))	٤٨.
١٤٧	((أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلْقَكَ. قُلْتَ: ثُمَّ أَيُّ: قَالَ: أَنْ تَقْتُلَ ...))	٤٩.
٣٣٦	((أَنْ رَجُلًا ذَكَرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَى ...))	٥٠.
٨٨	((أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ...))	٥١.
٢١٦	((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ...))	٥٢.
١٣٣	((أَنَّ زَيْنَبَ كَانَ اسْمُهَا بَرَّةً، فَقِيلَ: تُرْكَى ...))	٥٣.
٣٣٧	((إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَا دَحَا لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا...))	٥٤.
٨٩	((إِنْ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ...))	٥٥.
٢٧٥	((أَنَّ أَبَاهُ ثَوْفِيَّ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...))	٥٦.
١٦٩-١٦٢-١٦١	((إِنْ فَلَانَهُ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ ، وَتَفْعَلُ وَتَصَدُقُ...))	٥٧.
١١٠-١٠٣	((أَنَا الرَّحْمَنُ ، وَأَنَا خَلَقْتُ الرَّحْمَ ،...))	٥٨.
٢٩٤	((أَنَا زَعِيمٌ بَيْتِي فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ...))	٥٩.
٢٣٣	((أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ...))	٦٠.
٢٤٧	((أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا....))	٦١.
٩٣	((أَنَّ امْرَأَةً مِنْ خَنَعَمَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ....))	٦٢.
٩٣	((أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَبِي مَاتَ ...))	٦٣.
١٦٧-١٦٥	((إِنْ أَسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ وَإِنْ أَسْتَعَانَكَ...))	٦٤.
١١٤	((إِنَّ الرَّحْمَ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ...))	٦٥.
٣٠٥	((إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ...))	٦٦.
٣٣٠	((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا...))	٦٧.
٢٩٥	((إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ ...))	٦٨.
١٤٧-٦٧	((إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عَقُوقَ الْأَمْهَاتِ...))	٦٩.
١١١-١٠٤-١٠١	((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ ...))	٧٠.
٢٦٣	((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ...))	٧١.

١٧٠	((إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يُحِبُّ ثَلَاثَةً وَيُبْغِضُ ثَلَاثَةً...))	٧٢.
٣٠١	((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّانَا...))	٧٣.
٢٢٢	((إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ...))	٧٤.
٣٣٦	((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ...))	٧٥.
١١٨-١١٦	((إِنَّ اللَّهَ لَيَعْمُرُ بِالْقَوْمِ ...))	٧٦.
٢١٨-٢٠٨	((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَيَّ الْحَلِيمَ الْمُتَعَفِّفَ...))	٧٧.
٣٣١-٣٣٠-٢٦٤	((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَانَ وَلَا الطَّعَانَ...))	٧٨.
١٢٩	((إِنَّ الْمَرْأَةَ تُنْكِحُ عَلَى دِينِهَا وَمَالِهَا...))	٧٩.
٢٠٠-١٩٠	((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ...))	٨٠.
١٩٩-١٩١	((إِنَّ خِيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَطْعَامٍ...))	٨١.
٨٠	((إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ...))	٨٢.
٢١٠	((إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي...))	٨٣.
٢٢٠-٢١٢	((إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيٌّ. وَإِنِّي...))	٨٤.
٢٦٣-٢٦٢	((إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ...))	٨٥.
٢٨٤-٢٧٥	((إِنَّ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ...))	٨٦.
٢٣٧	((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ...))	٨٧.
٢١٧-٢١٣	((إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ...))	٨٨.
٢١١	((إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا...))	٨٩.
١١٨	((إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلُّ خَمِيسٍ...))	٩٠.
٩٢	((إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَيَرْفَعُ - الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ...))	٩١.
٣٩١	((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي...))	٩٢.
٢٣٧	((إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ،...))	٩٣.
٧١	((إِنِّي لَا ، أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبُ إِلَيَّ...))	٩٤.
١٨٣	((إِنَّ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا...))	٩٥.
٢٨٤-٢٧٤	((إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...))	٩٦.

٢	((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ...))	٩٧.
٣١٠	((إِنَّمَا نَجَانِي اللَّهُ بِالصِّدْقِ ...))	٩٨.
١٠٦	((إِنَّمَا يَلْبِسُ هَذِهِ مِنْ لَا خَلْقَ لَهُ...))	٩٩.
٧٧	((إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً فَأَبَيْتُ أَنْ تَتَكْفَنِي ،...))	١٠٠.
٢٦٦	((إِنِّي لِأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُهُ...))	١٠١.
٣٤٣	((إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا...))	١٠٢.
٢٣٦-٢٢٧	((إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانَا ...))	١٠٣.
٣٢٠	((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، ...))	١٠٤.
٣٢٥	((إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ...))	١٠٥.
٨٥	((أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسع : " ...))	١٠٦.
(الباء)		
٦٢	((الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ...))	١٠٧.
٣٣٢	((بئسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبئسَ ابْنُ))	١٠٨.
٩٩-٩٨	((بِرِّوَا آبَاءَكُمْ تَبِرْكُمُ...))	١٠٩.
٣٨٨	((بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسِّيفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ ...))	١١٠.
٧٧	((بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ...))	١١١.
٢٣٩	((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ أَشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ...))	١١٢.
(التاء)		
٣٦٢	((تَحَيَّرُوا لِئُطْفِقَكُمْ...))	١١٣.
٣٦٧-٣٦٤	((تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوَلُودَ...))	١١٤.
٣١٥	((تَسَمَّوْا بِاسْمِي ...))	١١٥.
١١٦	((تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ))	١١٦.
١٢٤	((تَعَلَّمُوا مِنْ أُنْسَائِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ...))	١١٧.
٣٨١	((تَقَدَّمُوا « فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي...))	١١٨.
٣٦٠	((تَتَكَبَّرُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: ...))	١١٩.

١٦٧-١٢١	((تَهَادُوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ...))	١٢٠
(الناء)		
١٦٨	((ثَلَاثَةٌ مِنَ الْعَوَاقِرِ: ...))	١٢١
٧٩	((ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ...))	١٢٢
(الجيم)		
١٦٢	((الْجَارُ أَحَقُّ بِشُقْعَةٍ جَارِهِ يُنْتَظَرُ بِهَا...))	١٢٣
١٥٥	((الجيران ثلاثة: جار له حق...))	١٢٤
٢٠٧	((جاءت أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم...))	١٢٥
٢٠٧	((جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تعرض عليه نفسها...))	١٢٦
١٤٩	((جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد...))	١٢٧
٢٣١	((جعل الله الرحمة في مائة جزء،...))	١٢٨
(الحاء)		
٣٨٢	((الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه...))	١٢٩
٢١٨-٢٠٤-٢٠٢	((الحياء لا يأتي إلا بخير....))	١٣٠
٢١٧	((الحياء من الإيمان، والإيمان...))	١٣١
٢١٥	((الحياء والإيمان قرنا جميعاً...))	١٣٢
٢٢٤	((الحياء والعِي شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ،...))	١٣٣
٣٨٧-١٨٩-١٢٠	((حق المسلم على المسلم خمسٌ: ...))	١٣٤
١١٩	((حقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِي...))	١٣٥
(الخاء)		
٣٩٩-١٤٥	((خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم وأمامة بنت أبي...))	١٣٦
٤٠٠-٣٢٧-٣٢٣	((خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بعض حيطان...))	١٣٧
١٧٢	((خلال المكارم عشر تكون في الرجل...))	١٣٨
٢٤٦	((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ...))	١٣٩

(الدال)		
٨٠	((دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا...))	١٤٠
٢٢١-٢٢١٥	((دَعَا فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ...))	١٤١
(الذال)		
٢٨٣	((ذَاكَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ...))	١٤٢
(الباء)		
٢٧٨	((رُبَّ أَشْعَبَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ...))	١٤٣
١٧٠	((رَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَائِرًا...))	١٤٤
٧٠	((رِضَا الرَّبِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِي رِضَا الْوَالِدِ...))	١٤٥
٩٥-٨٤-٨٢	((رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ،...))	١٤٦
١٦٥	((زُرْ غِيًّا تَزِدُّ حُبًّا...))	١٤٧
(السين)		
٢٤٦	((الساعي على الأرملة والمسكين...))	١٤٨
٣٤٨	((سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْخَزَائِنِ...))	١٤٩
٣٨٣	((سَكَّةٌ يَنْطَبِقُ مِنْهَا...))	١٥٠
١٥٨	((سَمِعْتُ أُنثَايَ وَأَبْصَرْتُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمْتُ...))	١٥١
(الشين)		
١٩٠	((شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ...))	١٥٢
(الصاد)		
١٢٠-١١٦	((الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ وَهِيَ...))	١٥٣
٧١-٦٦-٥٨	((الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا. قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ بَرٌّ...))	١٥٤
(الضاد)		
٢٩٥	((الضيافة ثلاثة أيام جائزته....))	١٥٥
(الطاء)		
٣٨٠	((الطاعون رجسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ...))	١٥٦

١٨٤	((طَعَامُ الْإِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ...))	١٥٧
١٩	((طَلَبُ الْعِلْمِ قَرِيضَةٌ...))	١٥٨
٣٤٨	((طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟...))	١٥٩
٢٦٤	((طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ وَوَسَعَهُ...))	١٦٠
(العين)		
١٢٠	((عَائِدُ الْمَرِيضِ فِي مَحْرِقَةِ الْجَنَّةِ...))	١٦١
٢٤٠	((عُدْبَتِ امْرَأَةٍ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا...))	١٦٢
٩٨	((عَقُوا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ تَعَفُّ نِسَاؤُكُمْ،...))	١٦٣
٣٦٠	((عُودُوا الْمَرِيضَ، وَاتَّبِعُوا الْجِنَازَةَ،...))	١٦٤
٣٨٠	((غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ...))	١٦٥
(الفاء)		
٣٨٠	((الْفِطْرَةُ خَمْسٌ - أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ...))	١٦٦
٢٣٠	((فَاللَّهُ أَرْحَمُ بِكَ مِنْكَ بِهِ...))	١٦٧
٩٣	((فَحَجِّي عَنْهُ...))	١٦٨
٢٦٥	((فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ...))	١٦٩
٢٤٥	((فَهَلَّا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ..))	١٧٠
٧٢	((فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟...))	١٧١
(القاف)		
٢٨٥	((قَبِيضَ رُوحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...))	١٧٢
٢٧٤	((قَوْمُوا فَلِأُصْلِي بِكُمْ...))	١٧٣
(الكاف)		
٣١٧	((الكِبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ،...))	١٧٤
٢٨٦-٢٧٣	((الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي...))	١٧٥
٣٤٢	((كَانَ فِي سَاقِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمُوشَةٌ...))	١٧٦
١٩٣	((كَانَ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو شُعَيْبٍ، وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ...))	١٧٧

١٨٤	((كَانَ هَذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ...))	١٧٨
٢٨٤	((كَانَ يَكُونُ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ...))	١٧٩
١٣٦	((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا...))	١٨٠
٩٤	((كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللَّهَ مَا شَاءَ...))	١٨١
٣٤٤	((كُلُّ سَلَامِي عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ...))	١٨٢
٢٩٩	((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ...))	١٨٣
١٥٥	((كَلَّا يَا فُلَانُ، إِنَّ كُلَّ صَاحِبٍ يَصْحَبُ...))	١٨٤
١٣٨-١٤٨-٣٦١	((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...))	١٨٥
٣٤٦-٣٠٠	((كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ...))	١٨٦
١٥٩	((كَمْ مِنْ جَارٍ مَتَّعَ بِجَارِهِ يَوْمًا...))	١٨٧
٩٠	((كُنْتُ أَدْعُو أُمَّيَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ...))	١٨٨
٢٨٥-٢٦٠	((كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ...))	١٨٩
١٩٤	((كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ،...))	١٩٠
(اللام)		
٢٧٥	((اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مِسْكِينًا وَأُمَّتِي مِسْكِينًا...))	١٩١
٣٨٣	((اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ...))	١٩٢
١٦١	((اللهم إني أعوذ بك من جارٍ سوء...))	١٩٣
٣٨١-١٣١	((اللهم باسمك أموت وأحيا...))	١٩٤
١٤٥	((الأخ لي صغير: يا أبا عمير...))	١٩٥
١٠٨	((الئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الممل...))	١٩٦
٣٤٠	((الأن يمتلىء جوف أحديكم...))	١٩٧
٣٣٤	((لا تحاسدوا، ولا تتاجسوا، ولا تباغضوا...))	١٩٨
١٢٢-١٦٧-١٩٥	((لا تحقرن من المعروف شيئا...))	١٩٩
٤٠١	((لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا...))	٢٠٠
٣٣٨	((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم...))	٢٠١

٢٦٦	((لا تَعْضَبْ . فَرَدَّدَ مَرَارًا...))	٢٠٢
٣٠١	((لا تُكْثِرِ الْكَلَامَ بَغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ...))	٢٠٣
٢٤٠	((لا تُنْزِعِ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ ...))	٢٠٤
٢٢١-٢١٩	((لا تُنْكِحُ الْاَيْمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ ...))	٢٠٥
٣٤٤	((لا عِدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَيَعْجِبُنِي الْفَالُ..))	٢٠٦
١٦٩-١٦٤	((لا قَلِيلَ مِنْ أَدَى الْجَارِ...))	٢٠٧
٣٤٣	((لا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لِأَعْيَابِ جَدَاءٍ...))	٢٠٨
٣٨٦	((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ...))	٢٠٩
٣٤٣	((لا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ كُلَّهُ حَتَّى يَتْرَكَ...))	٢١٠
٣٦٨	((لا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ...))	٢١١
٢٨٠-٢٧٦	((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ نَرَّةٍ مِنْ كَبِيرٍ...))	٢١٢
١٥٩	((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ...))	٢١٣
٢٤٠	((لا يَرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُ ، وَلَا يَغْفِرُ لِمَنْ ...))	٢١٤
٨١	((لا يَرُدُّ الْقِضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ...))	٢١٥
٣٩٧-٣٧٣-٢١٦	((لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ...))	٢١٦
٢٩٣	((لا يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا ...))	٢١٧
٧٢	((لا يَقَادُ مَمْلُوكٌ مِنْ مَالِكِهِ...))	٢١٨
٣٤٧	((لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبَثَتِ نَفْسِي...))	٢١٩
١٦٣	((لا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرَزَ خَشْبَهُ...))	٢٢٠
٢٦١	((لا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَنْقَلٌ...))	٢٢١
٧٣	((لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ لِطَلْقَةٍ...))	٢٢٢
٢٣٠	((لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا...))	٢٢٣
٢٨٨	((لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسْرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ...))	٢٢٤
٣٣٥	((لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مَزَجَ...))	٢٢٥
٢٦٠	((لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ...))	٢٢٦

٣٨١	((الْكَلِّ دَاءٌ دَوَاءٌ. فَإِذَا...))	٢٢٧
٢١٤	((الكل دين خلق وخلق...))	٢٢٨
٣٩٦-٧٨	((لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة: عيسى...))	٢٢٩
٣٣٢	((لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا...))	٢٣٠
٣٢٣	((لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَطْفَارٌ...))	٢٣١
٢٣٢	((لما قضى الله الخلق كتب في كتابه...))	٢٣٢
١٩٤	((لو أعلم أنك تنظر لطعنتُ به في عينك...))	٢٣٣
٣٩٣	((لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار...))	٢٣٤
٣٨٠	((لولا أن أشق على أمتي...))	٢٣٥
٢٦٨	((ليس الشديد بالصرعة...))	٢٣٦
٣١١	((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس...))	٢٣٧
٢٦٤	((ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان...))	٢٣٨
٢٢٣	((ليس المسكين الذي ترده الأكلة...))	٢٣٩
١٢٤-١١٤-١٠٨	((ليس الواصل بالمكافئ...))	٢٤٠
٢٤٩	((ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير...))	٢٤١
(الميم)		
١٨٧-١٨٦	((المؤمن يشرب في معي واحد...))	٢٤٢
٣٣٢-٢٦٤	((المستبان ما قاله فعلى البادي ما لم يعتد...))	٢٤٣
١٢٢	((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه...))	٢٤٤
٢٣٨	((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده...))	٢٤٥
١٩٥-١٩٧-١٩٧	((ما أخرجكم من بيوتكم هذه الساعة...))	٢٤٦
١٣٣	((ما اسمك؟ قال: حزن...))	٢٤٧
٢٤٩	((ما أكرم شاب شيخاً لسيئه إلا قبض الله...))	٢٤٨
٢٢٠	((ما بال أقوام يتنزّهون عن الشيء أصنع...))	٢٤٩
٢٨٤	((ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم...))	٢٥٠

١٦٠-١٦٨	((مَا تَقُولُونَ فِي الزَّنَاتِ؟ ...))	٢٥١
١٥٩-١٥٢-١١٤	((مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ...))	٢٥٢
٣٤٨	((مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ...))	٢٥٣
٢١٨-٢٠٨	((مَا كَانَ الْفَحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ...))	٢٥٤
٨٢	((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يَعْجَلَ لِصَاحِبِهِ...))	٢٥٥
١١٨	((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ...))	٢٥٦
٢٩٦	((مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَيْهِ...))	٢٥٧
٧٥	((مَا مِنْ مُسْلِمٍ لَهُ وَالِدَانِ مُسْلِمَانِ يَصْبِحُ إِلَيْهِمَا...))	٢٥٨
١٢٨-١٣٨-٣٥٩- ٣٦٧-٣٧٢-٣٨٩	((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ...))	٢٥٩
١٤٠	((مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَوَلَدًا مِنْ نَحْلٍ...))	٢٦٠
٢٧٧	((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ...))	٢٦١
٢٦٢	((مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ...))	٢٦٢
٤٠٤	((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ...))	٢٦٣
٣٤٦	((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأْتْرَاجَةِ...))	٢٦٤
٢٢٢	((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ خَضْرَاءٍ...))	٢٦٥
١٣٩-٣٧٦	((مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ...))	٢٦٦
١٠٩	((مَنْ أَبْرُؤُ؟ قَالَ: أَمَّاكَ، قَالَ...))	٢٦٧
١٦٩	((مَنْ أَطَّلَعَ مِنْ بَيْتِ جَارِهِ فَتَنَظَرَ إِلَيْهِ...))	٢٦٨
٧٦	((مَنْ بَرَّ قَسَمَهُمَا وَقَضَى دَيْنَهُمَا...))	٢٦٩
٢٨٥	((مَنْ تَرَكَ اللَّبَّاسَ تَوَاضَعًا لِلَّهِ...))	٢٧٠
٢٣٩	((مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةً...))	٢٧١
٣٢٥	((مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضٍ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ...))	٢٧٢
١١٣	((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمُدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ...))	٢٧٣
١١٦	((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ...))	٢٧٤

٢٧٥	((مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْجَارُ الصَّالِحُ...))	١٦١
٢٧٦	((مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ...))	٢٣٨-٢٩٨
٢٧٧	((مَنْ صَمَتَ نَجًا...))	٣٤١
٢٧٨	((مَنْ عَالَ جَارَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا...))	١٤٤
٢٧٩	((مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمَهُ ...))	٣٨٣
٢٨٠	((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ...))	١١٥-١٦٤-٣٥٦
٢٨١	((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ...))	١٨٠-٢٩٨-٣٠٠
٢٨٢	((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ...))	١٨٠-١٦٤-١٥٧
٢٨٣	((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ...))	١٥٨-١٨٤-٢٠٠
٢٨٤	((مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ...))	٣٢٥
٢٨٥	((مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَاقِهِ...))	٢٦١
٢٨٦	((مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْتَصِرَ...))	٢٧٩
٢٨٧	((مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ...))	١٤٥-٢٣٩
٢٨٨	((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ...))	٢٩٨
٢٨٩	((مَنْ يَأْخُذْ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلْ...))	١٧٢
٢٩٠	((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَتَيْهِ...))	٢٩٤
٢٩١	((مَنْ يُضَيِّفُ هَذَا، اللَّيْلَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ...))	١٨٠
٢٩٢	((مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ...))	١٤٤
٢٩٣	((مَهَلًا يَا عَائِشَةَ عَلَيْكَ بِالرَّقِيقِ...))	٢٦٠
(النون)		
٢٩٤	((نزلت في أربع آيات، فذكر قصته...))	٨٥
٢٩٥	((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب...))	١٧٠
٢٩٦	((نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يضحك الرجل مما...))	٣٣٤
(الهاء)		

٧٩	((هَلْ بَقِيَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ؟...))	٢٩٧
٧٦	هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟...	٢٩٨
٧٨	((هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟)) قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «فَالزَّمَهَا...»	٢٩٩
١٩٦	((هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟...))	٣٠٠
(الواو)		
٨٦-٨٠-٧٨	((الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ،...))	٣٠١
١٦٦	((وَإِنْ مَاتَ تَبِعَتْ جَنَازَتَهُ وَإِنْ أَصَابَهُ...))	٣٠٢
١٦٩-١٥٧	((وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ...))	٣٠٣
٢٤٨	((وَاللَّهُ، اللَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ...))	٣٠٤
١٦٢	((وَوَقَفْتُ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ فَجَاءَ...))	٣٠٥
١٣٢	((وَوَلِدٌ لِرَجُلٍ مِنْ غُلَامٍ فَسَمَاهُ...))	٣٠٦
٤١	((وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا،...))	٣٠٧
٦٧	((وَيَحْيَا أَحْيَا أُمَّكَ؟...))	٣٠٨
٣٤٢	((وَيَلِّ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ...))	٣٠٩
(الياء)		
٢١٤-٢٠٢	((الْإِيمَانُ يَضَعُ وَسَيُؤْنَسُ شُعْبَةً،...))	٣١٠
٢٤٨	((يَا أُنَيْسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمْرُكَ؟...))	٣١١
٢٤٣-١٤٥	((يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخْذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ...))	٣١٢
١٣٩	((يَأْتِي بِالتَّمْرِ عِنْدَ صِرَامٍ...))	٣١٣
١٦٥	((يَا أَبَا نُرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا...))	٣١٤
٢٨٤	((يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السَّكَّكِ شِئْتِ حَتَّى...))	٣١٥
٢٤٦	((يَا أَنْجَسَةَ رُوَيْدِكَ...))	٣١٦
٣٧٤-٣٢٤-١٣٣	((يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: إِحْفَظِ اللَّهَ...))	٣١٧
٣٨٢-١٣٩	((يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهَ، وَكُلَّ بِيَمِينٍ...))	٣١٨
٣٦٩-١٥٢	((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ...))	٣١٩

١٦٤	((يا نساء المسلمات، لا تحقرن...))	٣٢٠
٢٩٧	((يُجاءُ بالرجُل يوم القيامة فيلقى...))	٣٢١
٣٤٨	((يسبُّ بنو آدمَ الدهرَ، وأنا الدهرُ...))	٣٢٢
٣٠٦	((يطبع المؤمن على الخلال كلها...))	٣٢٣
٣٢٣-٣٢٧	((يعدَّبان، وما يعدَّبان في كبيرة، وإنه لكبير...))	٣٢٤

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

١- إبراهيم ، محمد إسماعيل : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، ط ٢ ، دار النصر للطباعة ، مصر ، القاهرة ، (د . ت) .

٢- إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، ط ٢ ، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، استانبول ، (د . ت) .

٣- أيوب ، حسن : السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، (د ت) .

٤- باحارث ، عدنان حسن : مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة ، ط ٩ ، دار المجتمع ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤٢٣هـ)

٥- البخاري ، محمد بن إسماعيل : التاريخ الكبير ، دار الكتب لعلمية ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) .

٦- ----- : الأدب المفرد ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت ١٤١٦هـ .

٧- ابن تيمية ، أبي العباس تقي الدين احمد بن عبد الحلیم : الاستقامة ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، مصر ، (د . ت) .

٨- ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري : اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، (١٤٠٠هـ) .

٩- ----- : النهاية في

غريب الحديث والأثر تحقيق : محمود محمد الطناحي ، طاهر احمد الزاوى ، دار إحياء الكتب ، القاهرة ، (د . ت) .

- ١٠- ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني
: الكامل في التاريخ ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، ط ١ ، دار المعرفة ،
بيروت ، (١٤٢٢ هـ) .
- ١١- الجرجاني ، الشريف علي بن محمد : كتاب التعريفات ، ط ١ ، دار الكتب
العلمية ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٣ هـ) .
- ١٢- الجزائري ، أبو بكر : منهاج المسلم ، ط ١ ، مكتبة الكليات الأزهر ، مصر ،
القاهرة ، (١٣٩٩ هـ) .
- ١٣- الجلال ، عائشة عبد الرحمن سعيد : المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم
وطرق علاجها ، ط ١ ، دار المجتمع ، المملكة العربية السعودية ، جدة ،
(١٤١٢ هـ) .
- ١٤- الجوهري ، إسماعيل بن حماد : الصحاح تاج اللغة صحاح العربية ، تحقيق :
أحمد عبد الغفور عطار ، طبع على نفقة حسن عباس الشربتلي ، مصر ،
القاهرة ، (١٩٨٢ م) .
- ١٥- أبو جيب ، سعدي : القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، ط ١ ، دار الفكر ،
سوريا ، دمشق ، (١٤١٩ هـ) .
- ١٦- الحارثي ، عائد بن محمد : المبادئ التربوية المتضمنة في (كتاب البر والصلة
الأدب) من صحيح الإمام مسلم برحمة الله ، رسالة ماجستير غير منشورة ،
جامعة أم القرى ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية ، مكة المكرمة ، عام
(١٤٢٣ هـ) .
- ١٧- الحاكم ، محمد بن عبد الله : كتاب معرفة علوم الحديث ، ط ٢ ، مطبعة
مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، حيدر آباد ، (١٣٨٥ هـ) .

١٨- -----: المستدرك على الصحيحين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د . ت)

١٩- ابن حبان ، محمد بن حبان بن احمد أبي حاتم التميمي البستي: كتاب الثقات ، ط ١ ، دار الفكر ، (١٤٠٢هـ) .

٢٠- -----: روضة

العقلاء ونزهة الفضلاء ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٥ هـ) .

٢١- حسن أحمد محمود ، احمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ط ٥ ، دار الفكر العربي ، مصر ، القاهرة ، (د . ت) .

٢٢- حسين عبد المعطي : الأسرة ومشكلات الأبناء ، ط ١ ، دار السحاب ، مصر ، القاهرة ، (٢٠٠٤هـ) .

٢٣- حكيم ، حافظ بن حكم : ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية ، دار الإصلاح ، (د . ت) .

٢٤- الحلاف ، محمد بن عبد العزيز : نماذج من المبادئ التربوية المستنبطة من الأحاديث القدسية من خلال صحيح البخاري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية ، مكة المكرمة ، عام (١٤١١هـ) .

٢٥- حلمي فوده ، وعبد الرحمن عبد الله : المرشد في كتابة البحوث التربوية ، ط ٥ ، دار الشروق ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤٠٨هـ) .

٢٦- الحلبي ، أبي عبد الله الحسين بن الحسن : كتاب المنهاج في شعب الإيمان ، تحقيق : حلمي حمد فوده ، ط ١ ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٩هـ) .

- ٢٧- ابن حنبل ، احمد بن محمد الشيباني : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٨ هـ) .
- ٢٨- ابن حيان الأندلسي : البحر المحيط ، ط ٢ ، ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٨ هـ) .
- ٢٩- خطار ، يوسف محمد : التربية الإيمانية والنفسية للأولاد في ضوء علم النفس والشريعة الإسلامية ، دار التقوى ، سوريا ، دمشق ، (١٤٢٤هـ) .
- ٣٠- الخطيب البغدادي ، أبي بكر احمد بن علي : تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) .
- ٣١- ----- : الرحلة في طلب الحديث ، تحقيق نور الدين عتر ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٥ هـ) .
- ٣٢- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : المقدمة ، دار الشعب ، القاهرة ، (د . ت)
- ٣٣- ابن خلكان ، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) .
- ٣٤- الخولي ، سناء : الأسرة والحياة العائلية ، دار النهضة ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٤ هـ) .
- ٣٥- خياط ، محمد جميل علي : المبادئ والقيم في التربية الإسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة ، (١٤١٦ هـ) .
- ٣٦- ابن أبي الدنيا ، أبي بكر عبد الله محمد بن عبيد : الصمت وحفظ اللسان ، تحقيق : محمد احمد عاشور ، ط ٢ ، دار الاعتصام ، مصر ، القاهرة ، (١٤٠٨ هـ) .

- ٣٧- ----- : مكارم الأخلاق ، حققه وشرحه
وقدم له جميز أ . بلي ، دار النشر فرانزشتاينز بقيسبادن ، (١٣٩٣هـ) .
- ٣٨- الذهبي ، شمس الدين : الكبائر ، دار الفكر ، بيروت ، (د . ت) .
- ٣٩- الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء ، تحقيق
: شعيب الأرنؤوط ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، (١٤٠٣هـ)
- ٤٠- الرازي ، الفخر : التفسير الكبير ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، طهران ،
(د . ت)
- ٤١- الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد
كيلاني ، ط الأخيرة ، مطبعة محمد مصطفى الألباني ، مصر ، (١٣٨١هـ) .
- ٤٢- الزرقاني ، محمد عبد الباقي بن يوسف : شرح الزرقاني على موطأ مالك ،
دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٧هـ) .
- ٤٣- زينو ، محمد جميل : كيف نربي أولادنا ... ، دار الفنون لطباعة والنشر ،
المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤١١هـ) .
- ٤٤- سالم ، السيد عبد العزيز : العصر العباسي الأول ، دراسات في تاريخ العرب ،
مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د . ت) .
- ٤٥- السبكي ، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين : طبقات الشافعية
الكبرى ، ط ٢ ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، (د . ت)
- ٤٦- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام
المنان ، ط ١ ، الرسالة ، بيروت ، (١٤٢١هـ) .
- ٤٧- ----- : الرياض الناضرة والحدائق النيرة
الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة ، مكتبة المعارف ، المملكة
العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٠هـ) .

- ٤٨- السيد ندا ، عبد العزيز : موسوعة الآداب الإسلامية المرتبة على الحروف الهجائية ، دار طيبة للنشر ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٤هـ).
- ٤٩- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن : طبقات الحفاظ ، تحقيق : علي محمد عمر ، ط ١ ، مكتبة الاستقلال ، مصر القاهرة ، (١٣٩٣هـ).
- ٥٠- ----- : تدريب الراوي في شرح تقريب النوي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٩هـ).
- ٥١- ----- : الدرر المنثور في التفسير بالمأثور ، ط ١ ، ج ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، (١٤٠٣هـ).
- ٥٢- الشرباصي ، احمد : موسوعة أخلاق القرآن ، ط ١ ، دار الرائد العربي ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠١هـ).
- ٥٣- شرف ، محمد جلال وعسيري ، عبد الرحمن محمد : سيكولوجية الحياة الروحية في المسيحية والإسلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، (١٩٧٢م).
- ٥٤- الشنتوت ، خالد احمد : دور البيت في تربية الطفل المسلم ، ط ٤ ، مكتبة المطبوعات الحديثة ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٩٩٠م).
- ٥٥- الشهري ، فهد عبد الله فائز : خلق الحياء في الكتاب والسنة وتطبيقاته التربوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، (١٤٢٠هـ).
- ٥٦- الشوكاني ، محمد علي : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الناشر محفوظ العلي ، لبنان ، بيروت (د . ت).
- ٥٧- الصالح ، صبحي : علوم الحديث ومصطلحاته عرض ودراسة ، ط ١٢ ، دار العلم للملايين ، لبنان ، بيروت ، (١٩٨١م).

- ٥٨- صالح عبد العزيز : التربية الحديثة مادتها - مبادئها - تطبيقاتها العلمية
(التربية وطرق التدريس) ، ط٧ ، ج٣ ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ،
(د . ت)
- ٥٩- ----- : التربية وطرق التدريس ، ط١٠ ، دار المعارف ، مصر
القاهرة ، (د . ت) .
- ٦٠- الصنعاني ، محمد بن إسماعيل : سبل السلام شرح بلوغ المرام ، ج٤ ، دار
الحديث ، مصر ، (د . ت) .
- ٦١- بن صنيتان ، مرزوق بن صنيتان بن تنباك : موسوعة القيم ومكارم الأخلاق
العربية والإسلامية ، فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية ، دار رواح ، المملكة
العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) .
- ٦٢- الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير : جامع البيان على تأويل القرآن ، دار
الفكر ، بيروت ، (١٤٠٨هـ) .
- ٦٣- العبادي ، عبد الله عبد الرحمن : من الآداب والأخلاق الإسلامية ، المكتبة
العصرية ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) .
- ٦٤- عبد الحميد جابر ، واحمد كاظم : مناهج البحث في التربية وعلم النفس ،
ط٢ ، دار النهضة العربية ، مصر ، القاهرة ، (١٩٧٨م) .
- ٦٥- عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ، دار الفكر لبنان ، بيروت ، (د .
ت) .
- ٦٦- عبد العزيز بن باز ، ومحمد بن عثيمين : فضل بر الوالدين وصلة الأرحام ،
جمع وترتيب أحد طلبة العلم ، ط١ ، دار ابن خزيمة ، المملكة العربية
السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ)

- ٦٧- عبدالباري ، عبد الباري محمد داود : اللسان بين ميزان الصمت والكلام ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، القاهرة ، (د . ت) .
- ٦٨- ابن عثيمين ، محمد صالح : القول المفيد على كتاب التوحيد ، ط ٣ ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، (١٤١٩ هـ) .
- ٦٩- العرافي ، زين الدين عبد الرحمن بن الحسين : التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر العربي ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) .
- ٧٠- العسقلاني ، احمد بن علي : تهذيب التهذيب ، ط ١ ، دائرة المعارف النظامية ، الهند ، (١٣٢٦ هـ) .
- ٧١- العسقلاني ، احمد بن محمد بن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المكتبة العصرية لطباعة والنشر ، لبنان ، بيروت ، (١٤٢٣ هـ) .
- ٧٢- عطار ، ليلي عبد الرشيد : الجانب التطبيقي في التربية ، ط ٢ ، دار المجتمع ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤١٩ هـ) .
- ٧٣- عقله ، محمد : نظام الأسرة في الإسلام ، ط ١ ، مكتبة الرسالة ، الأردن ، عمان ، (١٩٨٣ م) .
- ٧٤- بن علان ، محمد علان الصديقي الشافعي المكي : دليلي الفالحين لطريق رياض الصالحين ، دار الريان ، بيروت ، ط ١ ، (١٤٠٧ هـ) .
- ٧٥- علوان عبد الله ناصح : تربية الأولاد في الإسلام ، ط ٣٨ ، دار السلام ، القاهرة ، (١٤٢٣ هـ) .
- ٧٦- عوض بن رده السعدي : المبادئ التربوية المستنبطة من الأربعين النووية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية ، مكة المكرمة ، عام (١٤٠٨ هـ) .

- ٧٧- أبو العينين ، علي خليل مصطفى: القيم الإسلامية والتربية، دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتنميتها ، ط١، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة، (١٤٠٨هـ).
- ٧٨- العيني ، بدر لدين أبي محمد محمود احمد العيني : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، دار الفكر ، لبنان بيروت ، (د.ت).
- ٧٩- الغزالي ، أبي حامد محمد : "المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ، تقديم : محمود النواوي مكتبة الكليات الأزهر ، مصر ، (١٩٦١م).
- ٨٠- ----- : إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٢هـ).
- ٨١- ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا : مقاييس اللغة ، ط ٢، دار مكتبة مطبعة الحلبي ، مصر ، القاهرة ، (١٣٩٢هـ).
- ٨٢- الفيروز آبادي ، مجد الدين بن يعقوب: عون المعبود شرح سنن أبي داود إشراف : صدقي محمد جميل العطار ، دار الفكر ، بيروت، (١٤١٥هـ).
- ٨٣- ----- : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية ، بيروت ، (د.ت) .
- ٨٤- ----- : القاموس المحيط، دار الجيل ، بيروت ، (١٤٠٧هـ).
- ٨٥- القارى ، على سلطان محمد القارى : من مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، المكتبة الإسلامية لصاحبها رياض الشيخ ، (د.ت) .
- ٨٦- ابن قدامة ، أبي محمد عبد الله بن احمد : المغني ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، عبد الفتاح محمد الحلو ، ط٣ ، عالم الكتب ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٧هـ).

- ٨٧- القرطبي ، أبي عبد الله أحمد الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن ، ط ٣ ، ج ٢ ،
دار الكتاب العربي ، مصر ، (١٣٨٧ هـ) .
- ٨٨- القسطلاني ، أبي العباس شهاب الدين احمد : إرشاد الساري لشرح صحيح
البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، (د ، ت) .
- ٨٩- القطان ، مناع : التشريع والفقہ في الإسلام تاريخاً ومنهجاً ، ط ٢ ، مؤسسة
الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢ هـ .
- ٩٠- قطب ، محمد علي : أولادنا في ضوء التربية الإسلامية ، ط ١ ، مكتبة
القرآن ، مصر ، القاهرة ، (د . ت) .
- ٩١- قطب ، محمد : منهج التربية الإسلامية ، ط ٥ ، دار الشروق ، لبنان ،
بيروت ، (١٤٠٣ هـ) .
- ٩٢- قطب ، سيد : في ظلال القرآن ، ط ٩ ، دار الشروق ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٠ هـ) .
- ٩٣- ابن القيم ، أبي عبد الله شمس الدين محمد أبي بكر : مفتاح دار السعادة
ومنشور ولاية العلم والأرادة ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) .
- ٩٤- ----- : الداء والدواء ، تحقيق :
عبد الغفار سليمان ، ط ١ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، (١٤١١ هـ) .
- ٩٥- ----- : الفوائد ، تحقيق : عبد السلام شاهين
، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٧ هـ) .
- ٩٦- ----- : تحفة المودود بأحكام المولود ، ط
٢ ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٣ هـ) .
- ٩٧- ----- : إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ،
تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) .

٩٨- ----- : مدارج السالكين بين إياك نعبد

وإياك نستعين ، تحقيق : محمد حامد الفيبي ، دار الكتاب العربي ، لبنان ،
بيروت ، (١٣٩٢ هـ) .

٩٩- ابن كثير ، إسماعيل بن كثير الدمشقي : البداية والنهاية ، ط ٢ ، مكتبة
المعارف ، لبنان ، بيروت ، (١٩٧٧ م) .

١٠٠- ----- : تفسير القرآن العظيم ، المكتبة

العصرية ، لبنان ، بيروت ، (١٤٢٤ هـ) .

١٠١- الكيلاني ، ماجد عرسان : تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، دراسة
منهجية في الأصول التاريخية للتربية الإسلامية ، ط ٢ ، دار ابن كثير ، سوريا
، دمشق ، (١٤٠٥ هـ) .

١٠٢- ابن ماجه، أبي عبد الله محمد بن يزيد : سنن ابن ماجه ، دار الفكر، (د . ت) .

١٠٣- الماوردي ، أبي الحسن علي محمد حبيب البصري : أدب الدين والدنيا ،
تحقيق : مصطفى السقا ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) .

١٠٤- المباركفوري ، أبي العلاء محمد بن عبد الرحمن : تحفة الاحوذى لشرح
جامع الترمذي ، دار الفكر ، بيروت ، (١٤١٥ هـ) .

١٠٥- المظاهري ، تقي الدين الندوي : الإمام البخاري ، أعلام الإسلام ، (د . ت) .

١٠٦- محمد ، محمد محمود : علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام ، ط ٣ ، دار
الشروق ، جدة ، (١٤١٦ هـ) .

١٠٧- مرسي ، أكرم ضياء : الأسرة المسلمة في العالم المعاصر ، ط ، وزارة
الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، الدوحة ، (١٤٢١ هـ) .

١٠٨- المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب تصنيف
ومعادن الجواهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٥ ، دار المعرفة
، بيروت ، (١٣٩٣هـ).

١٠٩- ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر
(٢٠٠١ م) ،

١١٠- المكي ، أبي العباس احمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيثمي :
الزواجر عن اقتراف الكبائر ويليها : ١- كف الرعاع عن محرمات اللهو
والسماع ، ٢-الإعلام بقواطع الإسلام دار المعرفة، لبنان ، بيروت ،
(١٤٠٨هـ).

١١١- المناوي ، محمد عبد الرؤف : التوقيف في مهمات التعاريف ، تحقيق : عبد
الحميد صالح حمدان ، القاهرة التعريفات ، (١٤١٠هـ) .

١١٢- ابن منظور ، جمال الدين : لسان العرب ، المطبعة المصرية ، مصر ،
القاهرة ، (د . ت) .

١١٣- منى بنت محمد الصانع : الدلالات التربوية للأحاديث التي روتها أم المؤمنين
عائشة في كتاب العلم في الصحيحين ، إشراف : أ . د / حامد الحربي ،
رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، قسم التربية وعلم النفس ،
جده ، عام (١٤١٧هـ) .

١١٤- الميداني ، عبد الرحمن حسن جنكه : الأخلاق الإسلامية وأسسها ، ط ٤ ، ج
٢ ، دار القلم ، دمشق ، (١٤١٧هـ) .

١١٥- النحلاوي عبد الرحمن : أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت
والمدرسة والمجتمع ، ط ٢٣ ، دار الفكر ، سوريا ، دمشق ، (١٤١٧هـ) .

١١٦- النرشخي ، أبي بكر محمد بن جعفر : تاريخ بخارا ، ذخائر العرب ، تحقيق : أمين عبد المجيد بدوي ، نصر الله مبشر الطرازي ، دار المعارف ، مصر ، (د . ت .) .

١١٧- النسفي ، عبد الله بن احمد بن محمود : تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ط ١ ، راجعه وضبطه : إبراهيم محمد رمضان ، دار القلم ، لبنان ، بيروت ، (د . ت .) .

١١٨- نشأت المصري ، أختي المسلمة كيف تستقبلين مولودك الجديد ، القاهرة ، مكتبة القآن ، (١٤٠٣هـ) .

١١٩- النووي ، مجي الدين أبو زكريا الحزامي الشافعي : صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الطباعة المصرية ، مصر (د . ت .) .

١٢٠- الهاشمي ، محمد على : شخصية المسلم كما بصوغها الإسلام في الكتاب والسنة ، ط ٩ ، دار النشر الإسلامية ، لبنان ، (١٤٢٢هـ) .

١٢١- الهلالي ، أبو أسامة سليم عيد : بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين ، ط ٢ ، (د . ت .) ، ٦٧٨ - ٦٧٩ نقلا عن احمد عليان : الأخلاق في الشريعة الإسلامية ، ط ١ ، دار النشر الدولي ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠هـ) .

١٢٢- الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ط ٣ ، ج ٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (١٤٠٢هـ) .

١٢٣- ياقوت الحموي ، أبي عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، (د . ت .) .

١٢٤- يالجن ، مقداد يالجن : التربية الأخلاقية الإسلامية ، ط ٢ ، دار عالم الكتب ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٧هـ) .

١٢٥- أبي يعلى ، أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي : طبقات
الحنابلة ، حققه وقدم له وعلق عليه : عبد الرحمن بن سلمان العثيمين ، الأمانة
العامة للاحتفال بمرور مائة عام ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ،
(١٤١٩هـ) .